نفائس العرفان من أنفاس الرحمن

ويليه

المعارج

كلاهما تأليف

سيدي محمد بن محمد وفا الكبير

المتوفى ٧٦٥ هـ سنة

وفي المقدمة

مزيل نقاب الخفا عن ساداتنا بني الوفا

للشيخ أبي الفيض محمد بن محمد المرتضى الزبيدي

المتوفى ١٢٠٥ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي



DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

مُزيل نقاب الخفا
عن ساداتنا بني الوفا

للشيخ أبي الفيض محمد بن محمد المرتضى الزبيدي
المتوفى ١٢٠٥هـ

تحقيقه وتخريجه وتعليقه
أحمد فريد المزيدي

ترجمة الشيخ الزبيدي

هو الشيخ الإمام العلامة المحدث المسند اللغوي الضليع: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، الملقب بالمرتضى، والمكني بأبي الفيض وأبي الوقت، الحسيني نسبًا، العراقي أصلاً، الهندي ولادة ونشأة، ثم الزبيدي تعلمًا وشهرة، ثم المصري مقامًا ووفاة، الحنفي مذهبًا، الشاذلي الوفائي طريقة.

ولد سنة 1145 هـ، وتوفي في شهر شعبان سنة 1205 من أثر داء الطاعون.

من مصنفاته:

- تاج العروس من جواهر القاموس.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين.
- الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب أبي حنيفة.
- شرح حزب البر لسيدنا الشاذلي.
- بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب.
- حكمة الإشراق إلى كُتاب الآفاق.
- ألفية السَّند.

وانظر في ترجمته:

- عجائب الآثار (199/2).
- فهرس الفهارس (526/1).
- الأعلام (70/7).
- معجم المؤلفين (681/2).

نماذج من صور المخطوط

مزيل نقاب الخفا عن كنى ساداتنا

بني الوفا رضي الله عنهم اجمع

الفقير الى الله ابي الفيض

محمد مرتضى الحسيني

نسبا الوفائي

مشربا

لطف الله به

في الامور

امين

يا سيدا طالعه ان راق معناه فجد

وافتح له باب الرضا وان تجد عيبا فسد

صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي أيدنا بالتوفيق والاعتنا، وميز بين الأرواح والأشباح
بالأسماء والألقاب والكنى، وأظهر لنا من التعارف والتناكر
بنصب أعلام الهياكل سرا متقنا، نحمده على أشرف هداها،
والسنة أطال في شأو البيان مداها، ونصلي على سيد المرسلين
خيرة العالمين، الذي ختمت بنبوته العامة النبوة، ونسخت
بشريعته التامة الكتب المتلوة، وعلى آله وصحبه أهل الوفا
والديانة، المميزين بعلو المنزلة والمكانة، وسلم تسليما ونسأل
الله تعالى لسيدنا الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، مجدد معالم
الأسرار، المكنى بأبي الأنوار، سعدا يعلي أعلامه، وتوفيقا
يمد بالسكينة عصامه، وتأبيدا يظهر أمره واعتزامه،
حتى تنتظم شذاذ المعارف في سلك طي نشره، وتزدحم وفود
العوارف

صورة الصفحة الأولى

المقدسي ، والكمال ابو بكر بن محمد بن ابي بكر الاسيوطي والد الجلال ابو المواهب
كنية الحسن بن هبة الله بن صصري الحافظ ، وعبد الرحمن بن محمد الكازروني
المدني ، وابو بكر بن سالم بن احمد الحسيني المكي ، ومحمد بن محمد ابيض الوجه
البكري ، وابن ابن اخيه محمد بن محمد بن محمد ، وعلي بن محمد بن محمد الحراني الحسيني
جد بيت زهرة بحلب ، واحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي ن ابو النور
كنية ثعلب بن يعقوب بن مسلم الجعفري فخر العرب ، وابراهيم بن علي
الزرهوني الملاحي المتوفى سنة ٩٢٦ ابو النوال كنية محمد بن محمد بن ناصر
الدرعي ابو النعا كنية رزق الله بن نحير الصعيدي ابو النما كنية زيادة
ابن عمران بن زيادة المقرئ الضرير المالكي القاهري ابو النصر كنية
السلطان المؤيد شيخ المحمودي ، ومحمد بن محمد الطبلاوي ، ومحمد بن محمد بن فهد
الهاشمي المكي ، ومحمد بن عيسى الغزاهي مؤلف نصاب الصبيان ابو النجا
كنية سالم بن علي الاندلسي نزيل فوه ، وسالم بن محمد السنهوري المالكي ،
والجمال محمد بن محمد بن احمد العمري الصافاني المكي ، والجمال محمد بن اسمعيل
ابن محمد بن احمد بن مبارز الزبيدي ابو النجاح محمد بن احمد بن يحيى الصالحي
نزيل القاهرة د ابو الوفا كنية محمد تاج العارفين الحسيني الكردي

احد شيوخ العراق ، ومن ولده شمس الدين ابو الوفا محمد بن داود بن محمد الحافظ
الحسيني المقدسي ، وابن ابن اخيه تاج الدين ابو الوفا محمد بن علي بن احمد بن داود
وهو ايضا كنية احمد بن سليمان بن داود الامير المحسني بالصفراء ، ومحمد بن علي بن
احمد الكبريت الاعرج الحسيني بحلب ، ومحمد بن محمد بن احمد بن موسى الغزي
الشافعي ، وبديل بن ابي القسم بن بديل النحوي المحدث ، وصابر بن عبد الله
ابن نصر القدسي المصري عرف بابن الانجب ، وراجح بن اسمعيل بن ابي القسم
الاسدي الحنبلي الشاعر ، ومحمود بن ابراهيم بن سفيان بن ابراهيم بن منده
الاصبهاني ، وعوض بن محمود بن صاف بن علي البوشي المالكي ، وفضايل بن علي
ابن عبد الله الارسوفي الفقيه ، واحمد بن محمد بن العجل اليماني العمري ، والشمس
محمد بن القسم القادري الحسني ، ومصطفى بن يوسف النسيمي بحلب ، والجمال
محمد بن احمد العمري المكي ، ومحمد بن اسمعيل بن ابراهيم القاهري الحنفي ابو الود
كنية احمد بن احمد الوفائي المتوفى سنة ١١١٦ ابو الوحش كنية ثعلب بن احمد بن
ابن سليمان بن قاسم المقرئ الضرير المصري ، وبري بن عبد الجبار المقدسي
الشافعي ه ابو هاشم كنية داود بن القسم بن عبد الله الحسيني امير المدينة
وحفيده مالك بن منيف ، ومحمد بن زيد بن علي الحسيني نقيب كرمان ،
ومحمد .

صورة الورقة قبل الأخيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي أيدنا بالتوفيق والاعتناء، وميّز بين الأرواح والأشباح بالأسماء والألقاب والكنى، وأظهر من التعارف والتناكر بنصب أعيان الهياكل سرًّا متقنًا.

نحمده على أفئدة هداها وألسنة أطال في شأو البيان مداها، ونصلي على سيد المرسلين خيرة العالمين، الذي خُتمت بنبوته العامة النبوة، ونسخت بشريعته التامة الكتب المتلوة وعلى آله وصحبه أهل الوفاء والديانة المميزين بعلو المنزلة والمكانة وسلم تسليمًا.

ونسأل الله تعالى بسيدنا الإمام المعصوم المهدي المعلوم مجدد معالم الأسرار المكنى بأبي الأنوار سعدًا بعلي أعلامه، وتوفيقًا يمد بالسكينة عصامه، وتأييدًا يظهر أمره واعتزامه، حتى تنتظم شُذّاذ المعارف في سلك طي نشره وتزدحم وفود العوارف على غامر بره، وتنطوي ضمائر القلوب على إخلاص حبه والانثناء لأمره. وأقره الله عينه بولده. ولي عهده، بقية الله أبي الخير وحرسه بعين رعايته من حوادث الغِيَر في الإقامة والسير، آمين .

أما بعد:

فإن أول ما تقترحه القرائح، وأعلى ما تجنح إليه الجوانح، وأبهى ما تتنافس فيه ذوو الأخطار، وأغلى ما تتصافن في عافي إنائه أهل الأسرار، بيان حقائق الكنى والارتياح لأوضاعها المعنوية بغاية الاعتناء، ولم يزل في كل عصر من حملة العلوم من أومأ إلى حقائقها، ورمز إلى كشف دقائقها، واهتم في ردع الجهلة المتشدقين، والردّ على المنكرين بالبرهان المبين، ولم يخل من مُكدِّ ذهنه في تتميم ما غادره الأول، حتى تمكن حسن تعبيره وتأصل، وتنوع معنى إحسانه وتحصل، فراق المجتلى والمجتنى، وتناهي الحسن والإحسان في اللفظ والمعنى، فشمَّرتُ ساعد عزمي في جمع ما تشتت من أقوالهم.

وجعلت الاعتناء سهم فَهمي بتوضيح مقالهم، وضممتُ ما انتشر من الفوائد،

ونظمت ما انتشر من الفرائد، في نبذة أغنت عن كل تأليف تقدم فيها، ولم تحوج إلى سواها في الكشف عن رموز مطاويها ومخافيها.

وقد سميتها: «**مزيل نقاب الخفا عن كنى ساداتنا بني الوفا**» رضي الله عنهم وعنا بهم آمين.

مُستوعبًا فيها لمهمات عديدة، ونكت مفيدة، مرتبًا لها على مقدمة ومطالب وخاتمة، هي لشوارد الكنى تتمة وخاتمة، فجاءت بذلك غاية في الباب حاوية لب اللباب، مغنية عن مراجعة كل كتاب، كل ذلك بلطف الله تعالى وبيمن من شرفتها بخدمته، وبنيتها على أداء شكر نعمته، ونصبت نفسي لأقف ببابه الأعلى، وأتزين بلثم أعتابه، فأنا العبد وهو المولى، من لم يتم جمالها إلا ببركته، ولا حرس كمالها إلا بحسن ملاحظته، وها أنا أشرع في المقصود، مصليًا ومسلمًا على النبي المحمود.

المقدمة وفيها مهمتان:

الأولى: في تحقيق لفظ الكنية لغة

قال الجوهري في صحاحه: الكنية بالضم والكسر: واحدة الكنى، واكتنى فلان بكذا وفلان يكنى بأبي عبد الله، ولا تقل يكنى بعبد الله وكنيته أبا زيد، وبأبي زيد، تكنية، وهو كَنِيّه كما تقول سميته.

وقال الفيومي في مصباحه: الكنية: اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبي حفص، وأبي حسن، أو علامة عليه، والجمع كنى بالضم في المفرد، والجمع، والكسر فيهما لغة مثل برمة وبرم، وسدرة وسدر، وكنيته أبا محمد وبأبي محمد.

قال ابن فارس: وفي كتاب الخليل الإتيان بالباء هو الصواب، واكتنى زيد بأبي محمد انتهى.

قلت: والذي في كتاب العين تأليف الليث، تقول أهل البصرة: فلان يكنى بأبي عبد الله، وقال غيرهم: يكنى بعبد الله.

قلت: وتقدم عن الجوهري منع ذلك.

وقال الفراء: أفصح اللغات أن تقول: كنى أخوك بعمرو، والثانية كنى أخوك أبا عمرو.

وقال ابن سيده في المحكم: كنتيت الرجل بأبي فلان، وأبا فلان على تعدية الفعل بعد النقاط الحرف كِنُية وكُنْية. قال الراجز:

رَاهِـــبَةٌ تُكْنَـــى بـــأُمّ الخيـــر

وكذلك كنَّيته عن اللحياني. وفي العين: يقال كنوته وكنيته واكتنيته وكنيّته، ونقل ابن سيده عن الكسائي أنه لم يعرف اكتنيته، قال وهذا يوهم أن غيره عرفه، ثم قال: وكنية فلان أبو فلان، وكذلك كِنيته أي الذي يكنى به وكُنوة فلان أبو فلان، وكذلك كِنوته كلاهما عن اللحياني وكنوته لغة في كنيته، قاله أبو عبيدة، وأنشد أبو زياد الكلابي:

وَإِنّـي لأكـنُو عَـنْ قَـذُورٍ بِغَيْـرِهَا وَأَعْـرِبُ أحـيانًا بَهَـا فأُصَـارِحُ

هكذا هو نص المحكم، وأنشده الجوهري وإني لأكني، وقال ابن بري: شاهد كنيت قول الشاعر :

وَقَد أَرسَلَت في السِرِّ أَن قَد فَضَحتَني وَقَد بُحتَ بِاِسمي في النَسيبِ وَما تَكْني

وفي الصحاح وكُنى الرؤيا هي الأمثال التي يضربها ملك الرؤيا يكنى بها عن أعيان الأمور.

قلت: ومنه الحديث: «**إن للرؤيا كنى ولها أسماء فكنوها بكناها واعتبروا بأسمائها**[1]».

قال ابن الأثير في النهاية: الكنى جمع كنية من قولك كنيت عن الأمر وكنوت عنه إذا دريت عنه بغيره أراد مثلوها أمثالاً إذا عبرتموها. وهي التي يضربها ملك الرؤيا في منامه لأنه يكنى بها عن أعيان الأمور كقولهم في تعبير النخل: « إنها رجال ذووا أحساب من العرب ».

وفي الجوز: إنها رجال من العجم.

وقوله: فأعبروها بأسمائها: أي اجعلوا ما يُرى في المنام عبرةً وقياسًا: كأن رأى رجلاً يسمى سالمًا فأوله بالسلامة، وغانمًا فأوله بالغنيمة انتهى.

وأما الكناية فهو أن تتكلم بشيء وتريد به غيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوهما، وفي الحديث: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه أير أبيه ولا تكنوا**[2]».

وفي حديث بعضهم: « رأيت عليًا يوم القادسية قد تكنى وتحجى»: أي تستر من

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (179/6).

(2) رواه النسائي (272/5)، وأحمد (136/5).

كنى عنه إذا ورى، أو من الكنية كأنه ذكر كنيته عند الحرب ليعرف، وهو من شعار المبارزين في الحرب، يقول أحدهم: أنا فلان، وأنا أبو فلان.

ومنه قول علي ﷺ: أنا أبو حسن القرم.

وفي المحكم: الكنية على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكنى عن الشيء يستفحش ذكره، والثاني: أن يكنى الرجل باسمه توقيرًا وتعظيمًا، والثالث: أن تقوم الكنية مقام الاسم فيُعرف صاحبها بها كما يُعرف باسمه، كأبي لهب عرف بكنيته فسماه الله بها .

الثانية: في بيانه قولهم أبو فلان.

قال الجوهري: وأما قولهم أبو فلان، فإن الأب أصله أبو بالتحريك والجمع آباء، وهو الجيد كما صرح به الأزهري، ومنه قول الفرزدق:

أولَـئِكَ آبائـي فَجِئني بِمِـثلِهِم إذا جَمَعَتـنا يـا جَريـرُ المَجامِـعُ

قال: ويجوز أن يجمع بالنون فيقال: هؤلاء أبوكم: أي آباؤكم.

قال: ومن العرب من يقول: أبوتنا أكرم الآباء، يجمعون الأب على فعولة، كما يقولون: هؤلاء عمومتنا وخؤولتنا.

قال الجوهري: وكان الأصمعي يروي قول أبي ذويب الهذلي:

لَو كانَ مِدحَةُ حَيٍّ أَنشَرَت أَحَدًا أَحـيا أُبُـوَّتَكِ الـشُمَّ الأَمَـاديحُ

قال ابن بري ومثله قول لبيد:

وَأَنـبُش مِـن تَحـتِ القُـبورِ أُبُـوَّةً كِـرامًا هُـمُ شَـدّوا عَلَـيَّ الـتَمائِما

قال وقال الكميت :

نُعَلِّمُهُـم بِهَـا مَـا عَلَّمَتـنَا أُبُوَّتُـنَا جَـوارِيَ أَو صُـفُونَا

ويُجمع الأب أيضًا على أبو كعلو عن اللحياني، وأنشد القناني يمدح الكسائي :

أَبى الذَّمُّ أَخلاقَ الكِسائِيِّ، وانْتَمى لـه الـذِّروة العُلْـيا الأُبُـوُّ الـسَّوابِقُ

وقال الأزهري: إنما شددوا الأب والفعل منه وهو في الأصل غير مشدد؛ لأن الأب أصله أبو بالتحريك، فزادوا بدل الواو ياء، كما قالوا: قن للعبد وأصله قني، ومن العرب من قال لليد يدّ فشدد الدال؛ لأن أصله يدي.

قال: والأبا لغة في الأب لم تُحذف لامه كما حُذفت في الأب يُقال: هذا أبا ورأيت أبا ومررت بأبا، كما تقول: هذه قفا ورأيت قفا ومررت بقفا.

ورُوي عن محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ثعلب: يقال هذا أبوك، وهذا أباك، وهذا أبك. قال الشاعر:

سِوَى أَبِكَ الأدنى وأنَّ محمدًا ... على كلِّ عالٍ يا ابنَ عَمِّ محمد

فمن قال: هذا أبوك أو أباك فتثنيته أبوان، ومن قال: هذا أَبُك فتثنيته أبان، على اللفظ، وأبوان على الأصل، ويُقال: هما أبواه لأبيه وأمه.

وأما المطالب فإنها عشرون مطلبًا.

المطلب الأول: في الفرق بين الكنية والاسم واللقب والعلم.

قال المرادي في شرح الألفية: العلم على ثلاثة أقسام: اسم وكنية ولقب؛ لأنه إن صدر بأب أو أم فهو كنية، كأبي بكر وأم كلثوم، وإلا فإن أشعر برفعة المُسمَّى أو ضعته فهو لقب كالصديق والفاروق في الأول، وكبطة وأنف الناقة في الثاني، وإن لم يكن كذلك فهو اسمٌ كزيد وعمرو.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: الاسم والكنية واللقب يجمعها العلم وتتغاير بأن اللقب ما أشعر بمدح أو ذم، والكنية ما صدرت بأب أو أم، وما عدا ذلك فهو الاسم.

ونقل شيخنا في حاشية القاموس الاتفاق من الأئمة في أن اللقب ما أشعر بالرفعة أو الضعة، ولا يصدر بالأب والأم والابن والبنت على الأصح في الأخيرين.

قلت: وهو قول الرضا وسبقه إليه الفخر الرازي كما أشار إليه شيخ الإسلام زكريا، ونص الرضي: الكنية ما صدر بأب كأبي عمرو، أو أم كأم كلثوم أوابن: كابن آوى أو بنت كبنت وردان، ويقصد بها التعظيم والفرق بينها وبين اللقب أن معنى اللقب يمدح الملقب أو يذم والكنية لا تعظم لمعناها بل لعدم التصريح للاسم فإن بعض النفوس تأنف من المخاطبة باسمها، وقد يكنى الصغير تفاؤلاً، انتهى.

وذكر الكرماني في شرح البخاري نحو ما ذكره المرادي وغيره من شراح الألفية، وفسر الجوهري والمجد اللقب بالنبز، والنبز بالتحريك يكثر فيما كان ذمًّا.

ومنه الحديث: «**إن رجلاً كان ينبز قرقورًا**[1]»: أي يلقب به.

وقال الخليل: الأسماء على وجهين: أسماء نبز مثل: زيد وعمرو، وأسماء عام مثل:

(1) رواه أحمد في المسند (275/4).

فرس ورجل ونحوه.

قلت: وهذا بالنظر إلى الوضع الاصطلاحي، وأما بحسب الوضع الأولي فإن الأسماء تُطلق على الأنواع الثلاثة: المخبر عنه، والخبر، والرابطة بينهما المُسمَّى بالحرف، وبه فُسِّرت الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾؛ إذ معرفة الأسماء لا تحصل إلا بمعرفة المسمى، وحضور صورته في الضمير كما حققه الراغب في المفردات والسمين في عمدة الحفاظ.

وفي بصائر ذوي التمييز للمجد اللغوي: اللقب اسمٌ يسمى به الإنسان سوى اسمه الأصلي ويراعى فيه المعنى بخلاف الأعلام.

ولهذا قال الشاعر :

وَقَلَّمَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ ... إلا وَمَعْنَاه إنْ فتشتَ في لَقَبِهْ

قال: والألقاب ثلاثة: لقب تشريف، ولقب تعريف، ولقب تسخيف، وإياه عني بقوله تعالى: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: 11].

المطلب الثاني: في بيان موضوعها الأصلي وميقاتها المعنوي.

أما موضوعها الأصلي فقالوا: إنما جيء بالكنية لاحترام المعنى بها وإكرامه وتعظيمه؛ لئلا يصرح في الخطاب باسمه، وقيل: الأصل في ذلك أن الرجل كان يكنى بابنه ثم توسعوا فصار يكنى، وإن لم يكن لَه ابن تفاؤلاً بأن يكون لَه ابن.

وأما ميقاتها المعنوي فهو من باب وضع الشيء في محله، وذلك أن السالك إذا صح في سيره واستوى على أفق عزمه طارحًا ملاحظة غيره جاز له أن يكنى عنه لغيبوبته عن نفسه وذهوله عن حسه.

المطلب الثالث: في بيان حكم التكنية بأبي القاسم لمن كان اسمه محمدًا أو أحمد نهيًا ورخصة، فيه مهمات:

الأولى: في بيان اختلاف العلماء في هذه المسألة:

قال أهل الظاهر، لا يحل التكني بأبي القاسم لأحد سواء كان اسمه محمدًا أو أحمد أو لم يكن نظرًا لظاهر الحديث الآتي.

وقال مالك: يباح التكني به سواء كان اسمه أحمد أو محمدًا أم لا؛ لأن هذا كان في زمانه ﷺ للالتباس بكنيته.

وقال ابن جرير: إنما كان النهي للتنزيه والأدب لا للتحريم.

والمشهور عن الشافعي المنع، ففي شرح المنهاج في باب العقيقة، ويحرم التكني بأبي القاسم مطلقًا، وقيل يختص ذلك بزمانه، وقيل بمن تسمى باسمه محمدًا وأحمد، ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين، ومنهم من نهى عن التسمية بالقاسم أيضًا؛ لئلا يكنى أبوه بأبي القاسم، ومنهم من نهى عن التسمية بمحمدٍ مطلقًا سواء كان له كنية أو لا، لما رُوي عنه ﷺ: «**تسمون أولادكم محمدًا ثم تلعنون الثانية**[1]» في بيان حديث: «**تسمُّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي**[2]».

روي ذلك عن أبي هريرة، وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ﷺ.

أما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري في صحيحه عن علي بن عبد الله وأبو بشر الدولابي في كتاب الكنى عن محمد بن منصور الجواز، ومحمد بن عبد الله بن يزيد المقري، الثلاثة عن سفيان بن عيينة عن محمد بن سيرين عنه.

وأما حديث جابر فأخرجه البخاري عن محمد بن كثير عن شعبة عن منصور هكذا في رواية الأكثر، وفي رواية أبي علي بن السكن سفيان بدل شعبة.

ومال الجياني إلى ترجيح الأول بأن مسلمًا أخرجه من طريق شعبة عن منصور.

وأخرجه الدولابي عن إبراهيم بن مرزوق عن بشر بن عمر الزهراني، عن شعبة عن منصور وقتادة وسليمان وحصين، الأربعة عن سالم بن أبي الجعد، عنه.

وروي عن جابر أيضًا قال: «ولد لرجل منا غلام سماه القاسم، فقلنا: يا عدو نفسه تريد أن نكنيك بكنية رسول الله ﷺ، فغدونا على رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك لَه فنهى رسول الله ﷺ أن نكتني بكنيته» أخرجه الدولابي عن طريق موسى بن عبيدة بن محمد بن المنكدر عنه، ومن طريق إسحاق بن إبراهيم عن صفوان بن سليم الزرقي عن أبي الزبير عن جابر وفيه: «قد أحسنت الأنصار تسموا بي ولا تكنوا بي[3]».

وأما حديث أنس فأخرجه البخاري عن حفص بن عمر عن شعبة والدولابي عن يزيد بن سنان عن حماد بن مسعدة، كلاهما عن حميد الطويل عنه، « وفيه نادى رجل بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت إليه النبيﷺ فقال: إني لم أعنك يا رسول الله، إنما عنيت

---

(1) ذكره الهندي في الكنز (547/16) وعزاه للبزار عن أنس.

(2) رواه البخاري (52/1)، (1301/3)، ومسلم (1682/3، 1684).

(3) رواه أحمد (298/3)، والحاكم في المستدرك (308/4).

فلانًا، فقال رسول الله ﷺ «**تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي** [1]».

وروى ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي، أنا أبو القاسم، الله يرزق، وأنا أقاسم[2]» أخرجه الدولابي من طريق أبي عاصم عنه، وفي كتاب المبسوط لأبي القاسم ابن خداع النسابة أنه جمع بينهما رجل في زمن المأمون فأحضر النطع والسيف بعد أن حده فسأل في أمره يحيى بن أكثم فتجاوز عنه.

الثالثة: في بيان الرخصة في الجمع.

روى فطر بن خليفة عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب، قال: قلت: «يا رسول الله، إن وُلِدَ لي ولدٌ بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك، قال نعم»[3]. قال: فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب.

وقال: هشيم عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان محمد بن الأشعث يكنى أبا القاسم، وكان يدخل على عائشة، وكانت تكنيه به.

وقال الدولابي: أخبرني محمد بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن محمد بن عمر قال محمد ابن الحنفية، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن الأشعث بن قيس، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن حاطب يكنون بأبي القاسم، وقال إسماعيل بن أبي أويس: سألت مالك بن أنس ما كنية ابنه محمد، فقال: أبو القاسم.

المطلب الرابع: في القول الجامع في الكنى .

اعلم أنه قد غلب على أسماء كنى صارت عليها كالأعلام، وهي على وجوهٍ منها ما جاء في أصل النسبة على لفظ الكنية كأبي القاسم وأبي بكر، وأبي علي، وما أشبه ذلك، فهذا لا يليق به الكنى؛ لأن المراد قد حصل في أصل التسمية إلا ما جاء نادرًا كما وقع للشريف جلال الدين أبي القاسم الطهطاوي الحسيني، فإن اسمه على الصحيح أبو القاسم، ويكنى أبا علي، والقطب الجارحي اسمه على الصحيح أبو السعود، ويكنى أبا

---

(1) رواه البخاري (52/1)، (1301/3)، ومسلم (1682/3، 1684).

(2) رواه أحمد (433/2)، وابن حبان في صحيحه (134/13).

(3) رواه أبو داود (292/4)، وأحمد (95/1).

علي، ومنها - أي من الأسماء- ما جاء مركبًا مضافًا كعبد الله وعبد الواحد وعبد الصمد، وما أشبه ذلك مما أضيف إلى الرب سبحانه، فإن غالب هذه الأسماء تكنى بأبي محمد إلا ما ندر كعبد العزيز يكنى أبا العز، وعبد المجيد يكنى أبا المجد، وعبد الكريم يكنى أبا الكرم، ومنها ما جاء مفردًا، والأمر في ذلك يطول ومسألة الحصر فيه تعول؛ لأن الأسماء أكثر من أن تحصر وتحصى، وأجلُّ من أن تستوفى وتستقصى، وكيف تحصى وهي المزية التي خص بها آدم عليه السلام دون غيره من الأنبياء الكرام، إلا أنه يؤخذ من ذلك ما أمكن، ويجعل مثالاً لما لا يذكر، فالأشياء تحمل على نظائرها، والفروع تحمل على الأصول، وهذه جملة أسماء مكناة نوردها على ترتيب حروف المعجم .

(أ) أنس: أبو حمزة، أحمد: أبو العباس، إبراهيم: أبو إسحاق، أيوب: أبو الصبر، أبو بكر: أبو الصدق.

(ب) بكر: أبو الصديق، بدر: أبو النجم.

(ث) ثعلب: أبو الحصن.

(ج) جميل: أبو الحسن وأبو حسان، جبريل: أبو البلاغ وأبو الأمانة، جعفر: أبو الفيض إشعارًا بأن جعفر من أسماء الأنهار.

وقال الجوهري، ويسمى نيل مصر الفيض، وبه كناني حضرة الأستاذ المشار إليه أمد الله في عمره.

(ح) حسان: أبو جميل: الحسن: أبو عبد الله وأبو محمد وأبو علي وأبو المعالي، حمد: أبو الشكر، حمدان: أبو عبد الله، وأبو عدي، حاتم: أبو الجود، وبه كناني المرحوم السيد محمد أبو هادي الوفائي، رحمه الله تعالى، حمزة: أبو المكارم، الحسيني: أبو عبد الله وأبو الثناء، حماد: أبو الثناء.

(خ) خالد أبو البقاء، خليل: أبو إسحاق، وأبو إسماعيل، وأبو علي وأبو الذبيح، خطاب: أبو عمر.

(د) داود: أبو سليمان.

(ذ) ذو الفقار: أبو الصمصام.

(ر) ربيع: أبو النبات، رزين: أبو معوية.

(ز) الزبير: أبو العوام، زكريا: أبو يحيى، زايد: أبو النماء.

(س) سعد: أبو عمرو وأبو حسان، سليمان: أبو داود وأبو الربيع، سلمان: أبو الخير، سيف: أبو المضاء: سعود: أبو غالب، ساجي: أبو الفلاح، سالم: أبو النجا وأبو ناجي.

(ش) شكر: أبو الثناء وأبو أحمد وأبو المعالي، شرف: أبو المجد.

(ص) الصديق: أبو بكر، صالح: أبو الصلاح، صارم: أبو مرهف، صدقة: أبو البر.

(ط) الطاهر: أبو المجد، طالب: أبو العزم.

(ع) عمران: أبو موسى، عبد الرحمن: أبو هريرة، عوف: أبو عبد الرحمن، العباس: أبو الفضل، عياش: أبو المعمر، عدي: أبو حاتم، علوان: أبو الحسن، عمر: أبو الخطاب، عيسى: أبو مهدي، عساكر: أبو الجيوش.

(غ) غانم: أبو بدر، غيث: أبو مطر.

(ف) فتح: أبو العطاء، الفضل: أبو العباس، كرم: أبو العطاء.

(م) منصور: أبو الحارث، مقاتل: أبو غانم، مؤمل: أبو سلطان، مكرم: أبو السخاء، محمود: أبو الثناء، محمد: أبو عبد الله وأبو قناع، مصطفى: أبو درويش وأبو الصفان.

(ن) ناجي: أبو سالم، ناهض: أبو العزم، نور: أبو الجمال، النعمان: أبو حنيفة.

(و) وهبان: أبو العطا، الورد: أبو الزهر.

(هـ) الهادي: أبو محمد.

(ي) يحيى: أبو زكريا، ياسر: أبو زرارة، يونس: أبو النون.

المطلب الخامس: في ذكر كنى من وقع في نسبه الشريف ﷺ.

آدم عليه السلام يكنى أبا البشر، وهي كنيته العامة، ويكنى أيضًا أبا محمد، والعادة عند العرب كنية الإنسان بأجل ولده، ولأجل محمد ﷺ خلق آدم وشرفه أن جعله من ظهره الطاهر، ينقل في الأصلاب الفاخرة نوره إلى أن ظهر أمر الله، وعلت كلمة الحق به ﷺ، ويروى عن عكرمة قال: كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان، قال: وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوت أحد، وإسماعيل عليه السلام يكنى أبا السباع؛ لأنه أول من ذللت له وحوش الخيل، وأبا الفداء وأبا الذبيح، وأد بن أدد يكنى أبا ذبيان، ومعد بن عدنان يكنى أبا قضاعة، وفيه يقول الشاعر:

أَبُوكُم مَعَدٌ كَانَ يُكْنَى بِبَكْرَةٍ قُضَاعَةَ مَا كَنَّى بِهِ مَنْ نُحَمْحَمَا

وأبو كبشة كنية الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن حلان بن ناصرة بن قصية بن

نصر بن سعد، وهو والد رسول الله ﷺ من الرضاعة وإياه عنى أبو سفيان لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبي كبشة، وفيه أقاويل غير هذا منها أن جده لأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب كان يكنى أبا كبشة، فنسبوه إلى جده لأمه، وكان عمرو بن زيد بن أسد النجاري الخزرجي أبو سلمى أم عبد المطلب أيضًا يكنى أبا كبشة، وقيل لحظوا بذلك إلى جزءين غالب بن عامر بن الحارث بن غبشان وهو أبو قيلة أم وهب بن عبد مناف والد السيدة آمنة رضي الله عنها، على ما بيَّنه السهيلي في الروض، وفصلناه في شرحنا على القاموس، وإلياس كنيته أبو عمرو، ومدركة كنيته أبو الهذيل، وقيل أبو خزيمة، وخزيمة كنيته أبو الأسود، وكنانة كنيته أبو النضر، وقيل: أبو قيس، ومالك بن النضر كنيته أبو الحارث، وفهر كنيته أبو غالب، وغالب كنيته أبو تيم، ولؤي كنيته أبو كعب، وكعب كنيته أبو هُصيص، ومرة كنيته أبو يقظة، وكلاب كنيته أبو زهرة، وقصي كنيته أبو المغيرة، وعبد مناف كنيته أبو البطحاء.

ومنه حديث رقيقة: «هنيئًا لك أبا البطحاء»[1]، ويُقال لَه أيضًا: قمر البطحاء، ويكنى أيضًا أبا عبد شمس.

وقال الجوهري: كان هاشم بن عبد مناف يكنى أبا نضلة.

وقال ابن الأثير: عبد المطلب كنيته أبو الحارث، قال: وعبد الله بن عبد المطلب يكنى أبا قُثم، وقيل: أبا أحمد، وقيل: أبا محمد، فهؤلاء في عمود نسبه ﷺ.

واختلفوا في كنية الخضر عليه السلام، فالأشهر أبو العباس؛ إشعارًا بأن اسمه الكريم: أحمد كما جزم به بعضهم وفيه خلاف.

وهل هو نبي أو ولي، الأكثر على الأول، وبه جزم ابن الصلاح ،وأقره عليه النووي، ورجحه الجمهور[2].

(1) رواه الطبراني في الكبير (260/24).

(2) قال وهب بن منبه: الخضر اسمه يلياء بن ملكان بن فالغ بن عابر بن سالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

واختلف في نبوَّته فقال الثعلبي في تفسيره: الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار، قيل له: إنك لا تموت إلا في آخر الزمان حين يُرفع القرآن.

واختلف في حياته أيضًا، والصحيح أنه حي.

قال ابن الصلاح: الخضر حي عند جمهور العلماء، وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين، وفي شرح مسلم عن الجمهور أنه حيٌّ موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند السَّادة الصوفية،
-

المطلب السادس: في ذكر كناه ﷺ وكنى العشرة المشهود لهم بالجنة، وكنى الأئمة من بعدهم.

فأما رسول الله ﷺ فكنيته المشهورة أبا القاسم بابنه القاسم أكبر أولاده كما ذكره جماهير أهل السير، وقد تقدم ما روي عن أبي هريرة عنه ﷺ قال: « أنا أبو القاسم، الله يرزق وأنا أقاسم » ويروى: «الله يعطي وأنا أقاسم[1]».

ثم أطلق على الاسم الكريم في الاصطلاح العرفي، الكنية بأبي عبد الله باسم أبيه، ثم أحمد؛ لأنه من أسمائه ﷺ، وكنية هذه الاسم الكريم أبو الحسن، وأبو العباس، ومن كناه ﷺ، أبو إبراهيم.

روى الزهري عن أنس قال: «لما ولدت مارية القبطية جارية النبي ﷺ أتاه جبريل فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم[2]». أخرجه البيهقي في الدلائل، والدولابي في الكنى.

ومن كناه ﷺ: أبو الأرامل، لمحبته ﷺ لهم؛ لأنه كان عونًا لهم على فقرهم، نقله ابن دحية عن صاحب الذخائر والأعلاق.

ومن كناه ﷺ أبو المؤمنين، نقله السيوطي في النهجة السوية في الأسماء النبوية، وتبعه الشامي في سيرته، ويستأنس ذلك من قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر.

وعن كعب الأحبار ﷺ «أربعة من الأنبياء أحياء أمان لأهل الأرض: اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى»، عليهم السلام أجمعين.

قال وهب: ولما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: إن لي عبدًا من عبادي الذين لم أجعل للشيطان عليهم سبيلا، وأن مسكنه في جزيرة من جزائر البحر، فانطلق نحو البحر فإنّي أرشدك إليه، «فسار موسى ومعه فتاه يوشع بن نون عليهما السلام حتى وصلا إلى عين الحيَّات، وأحيا الله السمكة التي كانت مع يوشع؛ لأجل غدائهم، ونسي يوشع أن يخبر موسى، فسارا طويلاً حتى طلب موسى الغداء، فذكر يوشع حياة السمكة، فأخبره بها، فارتدا على آثارهما قصصًا، فوجداه يعبد الله، فسأله موسى عليه السلام المصاحبة، وكان منه ما قصّه الله تعالى».

وأنا أسأل الله الكريم أن ينفعني ببركاته، ويفيض عليّ من نفحاته، ويمن عليَّ بملاقاته، وأنّي لم أكن أهلاً لذلك المجد العظيم، والشرف الجسيم ولو رؤيا منام، والله ذو الفضل العظيم.

(1) رواه أحمد في المسند (433/2).

(2) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (135/1).

﴿أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الحجرات: 6].

وقرأ أبيّ بن كعب «وهو أب لهم»: أي كأبيهم في الشفقة والرأفة والحنو.

وفي الحديث: « إنما أنا لكم مثل الوالد [(1)]».

وأما أبو بكر الصديق ﷺ فقيل اسمه كنيته، وقيل كنى بذلك لابتكاره أمورًا لم يسبق إليها وعد منها إسلامه أولاً وإسلام جماعة على يديه، وغير ذلك كما في شروح البخاري.

واختُلف في اسمه فقيل: عبد الله، روي ذلك عن عائشة، وعبد الله بن الزبير وأخيه عروة، ورجحه يحيى بن معين، وقيل عتيق، روي ذلك عن عبد الرحمن بن القاسم قال: وكانوا أخوة ثلاثة بني أبي قحافة: عتيق، ومعتق، وعُتيق، ووافقه عليه الزهري، وقيل: بل هو لقب له لجمال وجهه أو لأنه ﷺ قال: أنت عتيق من النار، أو قالت له أمه: هذا عتيقك من الموت فهبه لي.

وأما عمر بن الخطاب ﷺ فكنيته أبو حفص، روى الزهري بسنده أن النبي ﷺ قال لعمر :« يا أبا حفص[(2)]».

وفي حديث أنس وذكر دخوله ﷺ الجنة، وفيه قال: « فذكرت غيرتك أبا حفص فلم أدخله[(3)]».

وأما عثمان ﷺ فكنيته أبو عبد الله، وأبو عمرو، وأبو ليلى، وأبو محمد، وزاد بعضهم أبا سعيد. قال الزهري: ولدت رقية بنت رسول الله ﷺ لعثمان ولدًا اسمه عبد الله، وبه كان يكنى أول مرة، حتى كنى بعد ذلك بعمرو بن عثمان، وقال يحيى بن معين: كنية عثمان بن عفان، أبو عمرو.

وأما علي ﷺ فله كنيتان: أبا الحسن، وأبو تراب.

روى سفيان عن يحيى بن سعيد قال: قال علي: أنا أبو الحسن القرم.

وروى عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول أنا أبو حسن، وكان أحب كناه إليه أبو تراب؛ لأن النبي ﷺ كناه بها فيما رواه سهل بن سعد

---

(1) رواه النسائي (38/1)، وابن ماجه (114/1).

(2) رواه أحمد في المسند (191/3)، وأبو داود (91/1).

(3) رواه البخاري (1346/3)، ومسلم (2577/6).

أنه ﷺ وجده نائمًا في ظل جدار المسجد، وقد سقط الثوب عنه فجعل ﷺ ينفض التراب عن جسده، ويقول لَه: «قم أبا تراب، قم أبا تراب»[1].

قال سهل: فما كان أحب إلى علي أن يُدعى به من أبي تراب، وفيه يقول القائل:

إِذَا مَـا مُقْلتِـي رَمَـدَتْ فَكَحِّلِـي   تُـرَابَ مِـنْ نِعَـالِ أَبِـي تُـرَابِ

هُـوَ الـبُكَاءُ فـي المحـرابِ لـيلاً   هـو الطعـانِ فـي يـومِ الـضِّرابِ

وقد كنى كذلك جماعة من ولده منهم محمد بن محمد بن علي البطحاني الحسني جد أشراف بلخ، وحيدرة بن محمد بن القاسم الحسيني المصري.

وأما الزبير بن العوام ﷺ فكنيته أبو عبد الله، نقله العباس الدوري عن يحيى بن معين.

وأما طلحة بن عبيد الله ﷺ فكنيته أبو محمد، وقد روى طلحة بن يحيى عن أبيه طلحة بن عبد الله قال: دخلت على رسول الله ﷺ وفي يده سفرجلة، فقال« دونكها يا أبا محمد فإنها تجم الفؤاد[2]».

وهي أيضًا كنية عبد الرحمن بن عوف ﷺ، روى هشام بن عروة عن أبيه أن النبيﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: « يا أبا محمد[3] ».

وأما سعد بن أبي وقاص ﷺ فكنيته أبو إسحاق، رواه مصعب الزبيري في كتاب النسب.

وأما سعيد بن زيد ﷺ كنيته: أبو الأعور، نقله الدولابي في كتاب الكنى، وأما أبو عبيدة بن الجراح ﷺ فاسمه عامر بن عبد الله بن الجراح، قاله يحيى بن معين.

وأما كنى الأئمة الأربعة ﷺ فإن الثلاثة ما عدا النعمان بن ثابت يكنون أبا عبد الله اتفاقًا، والإمام الرابع يكنى أبا حنيفة بابنة له تُسمَّى حنيفة، صرَّح بذلك بعضهم.

المطلب السابع: في ذكر كنى ساداتنا بني الوفا ﷺ وعنا بهم آمين.

وهذا الفضل هو المقصود بالذات من تأليف هذا الكتاب، وما عداه فروع حصرت عليه، ولنشرع في بيان ذلك على ترتيب المعجم إيضاحًا للمبهم.

---

(1) رواه البخاري (169/1).

(2) رواه ابن ماجه (118/2).

(3) رواه مالك (366/1).

أبو الأنوار: كنية سيدنا ومولانا الأستاذ الأعظم والملاذ المفخم السيد محمد بن وفا صاحب السجادة، والكنية حالاً حفظه الله تعالى من الأسواء مالاً ومآلاً، وهي كنية الشمس؛ لكونها مصدر الأشعة:

ثلاثــةٌ تــشرقُ الدُّنــيَا بِبَهْجَــتِهَا   شـمسُ الـضُّحَى وَأَبُو الأنـوارِ والقمرُ

وكان شرف جلوسه على السجادة في تاسع محرم من سنة اثنتين وثمانين بعد المائة والألف، والأنوار جمع النور، والنور نوران: دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأنوار الإلهية كنور العقل، ونور الإيمان، ونور القرآن. ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجرام النيرة كالقمرين والنجوم المنيرة، وأنشد بعض المفسرين:

ثلاثــةُ أنــوارٍ تــضيءُ مــنْ الــسَّما   وفــي ســرِّ قلبــي مــثلُهن مــصوَّرُ
فأولـــه بَـــدْرٌ وثانـــيه كـــوكبُ   وثالـــثه شـــمسٌ منيـــر مـــدوَّرُ
عُلُومِـي نجـومُ القَلْـبِ والعَقْـلُ بَـدْرُهُ   ومعـــرفةُ الـــرَّحمنِ شـــمسُ مـــنوَّرُ
أمامــي كــتابُ اللهِ والبَــيْتُ قِبلَتِــي   ودينــي مــنْ الأديــانِ أعلــى وأفخــرُ
شَــفِيْعِي رَسُــولُ الله والله غافــرُ   ولا ربَّ إلا الله والله أكبـــــــــرُ

فمن النور الإلهي قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ ﴾ [المائدة: 15].
وقوله تعالى: ﴿ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء ﴾ [النور: 35].
وأنشد بعضهم:

فـي القلـبِ نـورٌ ونـورُ الحقِّ يمـدهُ   يــا حــبذا نــورُهُ مــنْ واحــدٍ أحــدِ
نــور علــى الــنور مــن نــور تــنوره   نــور علــى الــنور دلال علــى الــصمدِ
إنْ رُمْــتِ أولَــه يهــدى إلــى أزلٍ   أو رمــتَ آخــرَه يطــوي علــى الأبــدِ

ومن النور المحسوس الذي يرى بعين البصر قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: 5].

ومما هو عام فيهما قولُه تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: 69].

ومن النور الأخروي قوله تعالى: ﴿ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الحديد: 12]، وسمى الله تعالى نفسه نورًا من حيث إنه النور، فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: 35].

وقيل: النور هو الذي يبصر بنوره ذو العماية، ويرشد بهداه ذو الغواية.

وقيل هو الظاهر الذي به كل ظهور، فالظاهر في نفسه المظهر لغيره، يسمى نورًا.

وسُئل رسول الله ﷺ: «**هل رأيت ربك ؟ فقال: نور أنى أراه** [1]» أي: هو نور كيف أراه.

وسُئل عنه الإمام أحمد، فقال: ما زلت منكرًا لَه، وما أدري ما وجهه.

وقال ابن خزيمة: في القلب من صحة هذا الحديث شيء.

وقال بعض أهل الحكمة: النور جسم وعرض، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض، وإنما حجابه النور. وكذا روي في حديث أبي موسى ﷺ، والمعنى كيف أرى وحجابه النور، أي النور يمنع من رؤيته.

وفي الحديث: « **اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا** [2]»: أي استعمل هذه الأعضاء مني في الحق، واجعل تصرفي ومتقلبي فيها على سبيل الصواب والخير.

---

(1) رواه مسلم (161/1).

وقال سيدي عبد القادر الأمير في «المواقف» في الكلام على هذا الحديث: والتحقيق عندنا أنه رآه يقظةً ليلة الإسراء، وما زاغ بصره وما طغى، وجوابه للسائل إنما لكونه عرف منه أنه لا يعرف إلا رؤية الذات البحت مجردًا عن المظاهر، ولا يعرف هذا السائل أمر التجلي، فكان هذا الجواب الساذج أولى به، وإمَّا أن يكون السائل لا يعرف إلا الرؤية المعتادة عند العامة التي تمنع أنوار الأشعة من تحقيق ما رأى فورًى له ﷺ بأن الحق تعالى اسمه النور، وأمر النور في منع تحقيق الرؤية مشهورٌ، ما قال: (ما رأيته)؛ لأن هذا السائل لا يعرف أن من رأى الحق إنما يراه ببصر الحق لا ببصره المقيد، فإنه قال: (فإذا أحببته كنت سمعَه وبصره) الحديث اهـ.

ثم قال: فمحمدٌ ﷺ رأى ربه يقينًا في مظهرٍ، وهو التعيُن الأول، وهو الخاصُّ بمحمدٍ ﷺ، لا يشاركه فيه غيره من رسولٍ أو مَلَكٍ، والرؤية في غير تعيُّن محالٌ، وهذة الرؤية التي حصلت لمحمدٍ ﷺ هي التي سألها موسى، فمنعها على حسب سؤاله لا مطلقًا اهـ. **ثم قال**: والمحققون من العارفين لا يقولون إنهم يرون الحق تعالى حال شهودهم، بل يقولون إنهم ما رأوه قطعًا، وإنما يرون صورهم ومراتبهم واستعداداتهم في الوجود الحق، فلا يشبه الشاهد منًّا إلا نفسه؛ لأن المشاهدة على قدر ما يعلمه منه، وإن كان العلم خلاف الشهود والرؤية فكل مشهودٍ معلومٌ ما شهد منه، وما كل معلومٍ مشهودٌ، فما يلزم من شهود الشيء العلم بحده وحقيقته، وإلا فما علمه؟! ولذا كان علمنا بالله شعورًا فقط، والشعور علمٌ إجماليٌّ يعطي أن ثَمَّ مشعورًا به، ولكن ما يعلم ما هو اهـ (ص204,205).

(2) رواه البخاري (2327/5)، ومسلم (528/1).

وقد يُطلق النور، ويُراد به النبي ﷺ [1].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة:15]، أو القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ [الأعراف: 157].

أو الإسلام ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ [الصف: 8]، حققه المجد اللغوي في البصائر تبعًا للسمين في عمدة الحفاظ، والراغب في المفردات، وهما عمدته فيما أورده في الكتاب المذكور.

(أ): **أبو الإكرام:** كنية السيد عبد الفتاح بن يوسف بن عبد الوهاب بن وفا، أجلِّ أولاد أبيه، كان فاضلاً محتشمًا، وهو والد سيدنا المرحوم السيد محمد أبو هادي بن وفا، الآتي ذكره. وهي أيضًا كنية السيد عبد الفتاح بن عبد الرازق بن إبراهيم بن وفا، ولد سنة ثلاث بعد الألف، وخلف عمه أبا الفضل في المشيخة بإشارة منه، فإنه قدمه مرة في زاوية أجدادهم صلى به إمامًا، وقرأ العلم على النور على الأجهوري، وغيره، وكان ذا رشد وصلاح، وأوراد وأذكار وأحوال ظاهرة وكرامات باهرة، مات ليلة الجمعة حادي عشر ذي الحجة سنة أربع وخمسين بعد الألف بمصر القديمة، وصلى عليه في جامع عمرو، ودفن عند أجداده.

أبو الإرشاد: كنية السيد يوسف بن عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرازق بن وفا، خلف والده في المشيخة، وكان سليم الصدر، كريم النفس، محتشمًا، زاهدًا، أوحد عصره، ترجمه غير واحد من أهل عصره، توفي في إحدى عشر محرم من سنة ثلاثة عشر بعد المائة والألف، وكانت جنازته مشهورة، ودُفن في الزاوية عند أجداده.

أبو الإسعاد: كنية السيد يوسف بن عبد الرازق بن إبراهيم بن وفا، وُلد سنة ثلاث أو أربع وتسعين وتسعمائة، أنفق عمره في طاعة الله ما بين دروس علم وذكر، وقيام ليل وحج وزيارة، وتصدق على الفقراء والمساكين، وقضاء حوائج الخاص والعام مع

---

(1) روى عبد الرزاق في المصنف (18) عن معمر عن ابن المنكدر عن جابر قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيءٍ خلقه الله تعالى؟ فقال: هو نور نبيك يا جابر خلقه الله، ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شيء... الحديث، وانظر: الجزء المفقود من الجزء الأول من مصنف عبد الرزاق (ص 63)، وتلقيح الفهوم للشيخ الأكبر (تحت الطبع بتحقيقنا)، وشرف المصطفى للخركوشي (703/1)، وكشف الخفاء للعجلوني (311/1)، والمواهب اللدنية (71/1)، ومواكب ربيع في مولد الشفيع للحلواني (ص27، 33).

تواضع، ومكارم أخلاق، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ: أبي النجا سالم السفهوري، وأبي بكر الشنواني، وعبد الله الدنشوي، والشيخ موسى الدمشقي، وسالم الشبيشري، وحج سنة خمسين وألف، وحج معه جمع كثير من الفضلاء منهم الشهاب أحمد العجمي، واجتمع بمكة مع الشيخ تاج الدين العثماني، رئيس الطائفة النقشبندية، وأخذ كل منهما عن الآخر ورجع إلى مصر، وقرأ بمنزله الشريف المواهب اللدنية، والجامع الصغير، وقطعة من تفسير البيضاوي، والشفا لعياض، فلازمه سيدي علي الأجهوري، والشهاب المقَّري، وأحمد الدواخلي، وفتح الله البيلوني، وغرس الدين الخليلي، ومحمد الشبراملسي المالكي، والغنيمي، وعلي الحلبي، وحجازي الواعظ، وتلميذه علي العزيزي، وكان يقرأ درسه بحضور هؤلاء مجتمعين ومفترقين تارة.

وكان ممن يحضر درسه محمد بن ياسين المنوفي، والنور الشبراملسي، وبركات البحيري، السفطي، ومحمد البهوتي الخلوتي.

ومما قرأ بمنزله الشريف أيضًا سيرة ابن سيد الناس مع حاشيتها نور النبراسي، وبعض صحيح مسلم بشروحه، ومختصر البخاري لابن أبي جمرة، وشرح الهمزية لابن حجر، وشعب الإيمان للقصري، وتفسير الثعالبي، وشرح الحكم العطائية، ومتن الشمائل بشرحه للمناوي.

وله مؤلفات منها: شرح الرسالة المسماة: نور الحديقة للشيخ أبي بكر بن سالم، وله ديوان شعر تلقاه الناس بالقبول.

وكان هو وأخوه أبو الإكرام كأنهما روح في جسدين.

تُوفي ليلة الأحد سلخ صفر سنة إحدى وخمسين بعد الألف وصلى عليه صبيحتها بالجامع الأزهر في مشهد عظيم، ودُفن بتربة أجداده.

أبو الإشراق: كنية السيد محمد بن يوسف بن عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرزاق بن وفا.

خلف في المشيخة عمه عبد الخالق أبا الخير في نهار الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين بعد المائة والألف.

وكان شيخًا بهيًّا محتشمًا سليم الصدر، كريم النفس، بشوشًا، صاحب كرامات وإشارات وأحوال.

تُوفي سادس جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين بعد المائة والألف، ودفن في

الحوطة عند أجداده.

وهي أيضا كنية السيد أمين الدين بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا والد السيد يحيى أبي اللطف.

أبو الإمداد: كنية السيد أحمد بن وفا، خلف السيد محمد أبا هادي في المشيخة، وتولى قبل ذلك نقابة السادة الأشراف، بمصر استقلالاً، وكان إنسانًا حسنًا ذا أخلاق رضية وآداب مرضية، وانجماع عن الناس.

تُوفي نهار الأربعاء، ثامن محرم سنة اثنتين وثمانين بعد المائة والألف.

وصلي عليه بالأزهر، ودُفن بالحوطة قريبًا من جده، وهو الذي تولى بعده حضرة سيدنا الأستاذ المشار إليه.

(ت): **أبو التخصيص:** كنية السيد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا، ولد في ذي القعدة سنة ثلاثين وألف كما وجد بخط والده، وتفقَّه على جماعة أعلام، وخلف في المشيخة عن ابن عمه أبي اللطف بن الوفا، وروى بالإجازة عن عالم المدينة الوجيه عبد الرحمن الخياري.

ومن شيوخه: الشهاب الدواخلي، ومحمد الشبراملسي المالكي، والشمس البابلي، وسلطان المزاحي، وإبراهيم الميموني.

وممن حضر عليه في منزله عند إقرائه الكتب: الشيخ عبد الباقي الزرقاني، والنور الشبراملسي، وأحمد الغرقاوي، ومحمد البهوتي الخلوتي، وعلي بن أحمد السطيحة.

وكان للجميع فيه اعتقاد تام باطنًا، وله كرامات كالشمس في رابعة النهار.

تُوفي ثاني رجب سنة ثمان وتسعين بعد الألف، ودفن عند أجداده.

أبو التداني: كنية السيد محمد بن محمد بن محمد النجم الملقب بوفاء.

ولد بثغر الإسكندرية سنة اثنتين وسبعمائة، ونشأ بها، وسلك طريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي في التصوف، على يد الإمام داود بن باخلا، واجتمع بياقوت العرشي قدس سره.

ثم سار إلى أخميم من أرض الصعيد، وتزوج بها واشتهر هناك، ثم قدم مصر فأقام بالروضة مدة طويلة ثم سكن القاهرة، وتوفي بها يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الأول سنة خمس وستين وسبعمائة عن ثلاث وستين سنة، ودفن بالقرافة ما بين تربة الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله، وتربة الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر بإشارة منه.

وله مصنفات: منها كتاب التأصيل، وكتاب الشعائر، وكتاب الأنفاس، وكتاب أصول الحقائق، وكتاب الأزل، وكتاب الصور، وكتاب مفتاح الصور، وكتاب المقامات السنية للسادة الصوفية، وكتاب العروس، وديوان شعر في مجلد، وله رموز في منظوماته مطلسمة إلى وقتنا هذه، لم يفك أحد ما فيها من الأسرار والعجائب.

(ج): **أبو الجود**: كنية السيد حسن بن شهاب الدين أحمد بن محمد وفا، توفي في حياة والده سنة 808هـ، وهو ابن تسع عشرة سنة، وقيل: ابن تسع وعشرين كذا في العقود للمقريزي، وذكره السخاوي في معجمه أيضًا.

(ح): **أبو الحسن**: كنية القطب الشهير والفرد الكبير سيد علي بن محمد بن محمد بن محمد وفا ،ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة. فلما بلغ سبع عشرة سنة، أو تسع عشرة جلس مكان والده، وعمل الميعاد، وشاع ذكره، وبَعُد صيته، وكثر أتباعه، وذكر بمزيد اليقظة وجودة الذهن، وكان أكثر إقامته بالروضة قريب المشفى.

وله من التصانيف الباعث على الخلاص في حسن الظن بالخواص، رد به على الزين العراقي رسالته، والكوثر الأترع من الأبحر الأربع في الفقه، وله ديوان شعر مقبول بين أيدي الناس، وترجمته في مجلد.

تُوفي بمنزله في الروضة يوم الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة سنة سبع وثمانمائة عن ثمان وأربعين سنة، ودفن تجاه والده على سرير في صفه.

وهي أيضًا كنية السيد علي بن يوسف بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا، ولد في سنة أربعين وألف، وحصل لَه من والده النظر التام، ونشأ مكبًا على القرآن والاشتغال بالعلم والذكر والعبادة والأوراد الخفية والتواضع والشيم المرضية.

حج مرارًا، ولازم النور الأجهوري في العلم مدة، وكان يعقد في منزله في كل يوم خميس درسًا يحضره أكابر الفضلاء كالشيخ عبد الباقي الزرقاني، والشيخ محمد الخلوتي، وغيرهما، توفي بالمدينة ثامن عشر بيع الأول سنة ثمان وثمانين بعد الألف، ودُفن بجوار سيدنا عثمان ﷺ.

(خ): **أبو الخير**: كنية السيد عبد الخالق بن عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا، خلف في المشيخة أخاه أبا الإرشاد في ثاني عشر محرم سنة 1113هـ.

وكان شيخًا مهيبًا، أسمر اللون، نحيفًا بشوشًا، ذا وقار، وكرم مفرط ونباهة وجلالة

ومهابة عند الخاص والعام، وعمر طويلاً حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وقد تلقى عنه أكابر العلماء وأحبوه، ولم يزل على سيرة حميدة وعيشة سعيدة حتى لبّى مولاه في ثاني عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين بعد المائة والألف، وصلى عليه بالأزهر في جنازة حافلة ودُفن عند آبائه.

وهي أيضًا كنية السيد بقية الله ابن سيدنا الأستاذ المشار إليه، دام ممتعًا بالتهاني، وحرسه بالسبع المثاني، وُلد ثالث عشر جمادى الأولى من شهور 1187.

إنَّ الهِلالَ إذا رَأَيتَ نُمُوَّهُ أَيقَنتَ أَن سَيَكونُ بَدراً كامِلا

أقر الله عين سيدنا به وجعله مشمولاً بملاحظة جده، وفي حسبه آمين يا رب العالمين.

(س): **أبو السيادات**: كنية السيد يحيى ابن السيد شهاب الدين أحمد بن محمد وفا، وُلد بالقاهرة سنة 798.

وخلف في المشيخة أخاه أبا الفتح في سنة اثنتين وخمسين، وتكلم على الناس في المواعيد، فرزق القبول وأكثر الناس من زيارته، وكان حسن الصوت في المحراب، ذا نظم حسن، توفي يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ودُفن عند أخيه في تربة أجداده.

(ط): **أبو الطيب**: كنية السيد محمد ابن القطب السيد علي بن محمد وفا، تُوفي بعد أبيه بثلاثة أيام، ذكره السخاوي في المعجم، والمقريزي.

أبو الطاهر: كنية السيد محمد ابن القطب سيدي علي بن محمد وفا، وهو أخو الأول وُلد بالقاهرة، وأخذ عن أبيه، وتكلم في الميعاد بعد وفاته، ثم ارتحل إلى اليمن، وانقطع خبره، ذكره السخاوي هكذا.

(ع): **أبو العطا**: كنية السيد عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا، كان هو وأخوه أبو الفضل كأنهما روح واحد في جسدين يضرب المثل في اتفاقهما، تُوفي في شوال سنة خمس بعد الألف في حياة أخيه.

وهي أيضًا كنية السيد عبد الرزاق بن عبد الفتاح بن عبد الرزاق المذكور، كان كثير التردد إلى الحرمين الشريفين، والمجاورة بهما حتى صارت أخلاقه وأحواله كأهلهما.

أبو العز: كنية السيد أمين الدين بن عبد الرزاق بن وفا، ويُقال أبو الإشراق، وقد تقدم. وهو ولد أبي اللطف الآتي ذكره.

أبو العباس: كنية السيد شهاب الدين أحمد بن محمد وفا أخي القطب سيدي علي المشار إليه، وُلد بظاهر مصر سنة 756، ونشأ على طريقة حسنة ملازمًا للخلوة والانجماع عن الناس، وكان عنده سكون وأحوال غريبة خلف في المشيخة أخاه المشار إليه، وكان يعمل المواعيد مع خواص أصحابه توفي يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة 814، ودُفن عند أبيه وأخيه.

وهي أيضًا كنية السيد شهاب الدين أحمد بن محمد وفا، وُلد سنة 790، وتُوفي سنة 826، عن ست وثلاثين سنة.

(ف): **أبو الفضل:** كنية القطب سيدي محمد وفا، كما جزم به التاج الرسيمي في شرح الحزب، وقيل أبو التداني، وقد تقدم.

وهي أيضًا كنية السيد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد وفا، ومنهم من سماه محمدًا، ويعرف بغريق النيل، وُلد قبل السبعين وسبعمائة، ونشأ على طريقة أبيه وعمه، وحضر مجلس السراج البلقيني، وتولع في النظم حتى برع فيه ورثى أباه وعمه، وعمل المقاطع الجيدة على الطريقة النُباتية، وكان حسن الأخلاق كيس العشرة، مات غريقًا في النيل في يوم عاشوراء قريبًا من روضة مصر سنة أربع عشرة وثمانمائة أو ثلاث عشرة أو خمس عشرة، والأول أصح، ورجح السخاوي الثاني، وغرق معه الجمال محمد بن أحمد بن محمد الزبيري، قاضي المالكية، ويعرف بابن التنيسي.

وهي أيضًا كنية حفيده السيد محب الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالمجذوب، خلف أباه في المشيخة، وكان شديد الذكاء، متين الذوق، قرأ يسيرًا في النحو وغيره ثم عرض لَه الجذب، توفي عن خمس وثلاثين عامًا في ليلة رابع عشر جمادى الأولى من سنة ثمان وثمانين وثمانمائة.

وهي أيضًا كنية السيد محمد بن علي بن محمد وفا، نقله السخاوي، وهي أيضًا كنية السيد محمد بن إبراهيم بن محمد الملقب بالفيل الأبيض، كان على قدم عظيم من التقوى، وله مكاشفات، خلف في المشيخة والده، تُوفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة 942 بالمشتهى، وحُمل إلى القاهرة، ودُفن عند سلفه بالزاوية.

وهي أيضًا كنية حفيده السيد محمد بن إبراهيم بن محمد، خلف أباه في المشيخة، وكان على قدم عظيم من المراقبة والتواضع والحلم والأمر بالمعروف، وله كرامات، توفي في سنة ثمان بعد الألف، ودفن عند سلفه.

وهي أيضًا كنية السيد محمد بن عبد الفتاح بن عبد الرازق بن إبراهيم ابن الفيل الأبيض، توفي سنة 1084.

أبو الفتح: كنية السيد فتح الدين محمد بن أحمد بن محمد وفا، وهو بكنيته أشهر، وُلد تقريبًا سنة سبعين أو تسعين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ بها فحفظ القرآن، وكتبًا، وأخذ عن العز بن جماعة، والشمس البساطي، والبرماوي ،وغيرهم، وسمع مجلس الختم من البخاري علي ناصر الدين ابن الفاقوسي في سنة إحدى وثلاثين، وبرع وقال الشعر الحسن وتكلم على الناس بعد والده، وصار أعلم بني الوفا قاطبة، وأشعرهم وحضر مجلسه أكابر العلماء كالبساطي والبرماوي والشرف عيسى المغربي، والظاهر جقمق قبل سلطنته.

مات بالروضة يوم الإثنين مستهل شعبان سنة 852، وحُمل إلى مصر فصلي عليه بجامع سيدنا عمرو بن العاص، ودُفن في الزاوية عند آبائه.

وهي أيضًا كنية السيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن وفا

(ق): أبو القاسم: كنية السيد محمد ابن القطب سيدي علي بن محمد وفا، وُلد بمصر سنة 788، وأخذ عن أبيه وتكلم على الناس في البندقانيين، وعمل الميعاد، وتُوفي سنة 833، ذكره السخاوي.

(ل): أبو اللطف: كنية السيد يحيى بن أمين الدين بن عبد الرزاق وفا، خلف في المشيخة عمه أبا الإكرام، وكان عم أبيه الشيخ أبو الفضل، يقول أولاد السادات كلهم فيهم الزيت إلا ولد ابن أخي، فإن زيته من رأسه إلى قدمه، تفقه على النور الأجهوري، وحج قبل توليته السجادة خمسًا وعشرين مرة، وجاور بالحرمين سنين عديدة، وكان قوّالاً بالحق، أمّارًا بالمعروف، لا يهاب أحدًا، وانقادت لَه الدولة، وكانوا يتبركون به، توفي في سنة سبع وستين بعد الألف.

(م): أبو المراحم: كنية السيد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشهيد، أمه رحمة بنت سيدي علي وفا، خلف في المشيخة عمه أبا السيادات.

وتُوفي في جمادى الأولى سنة 867 في الروضة، وحُمل إلى الزاوية فدُفن بها عند سلفه، وكان يومًا مشهودًا.

أبو المكارم: كنية السيد إبراهيم ابن شهاب الدين أحمد بن محمد وفا، وُلد سنة

788، وتُوفي سنة 833 .

وهي أيضًا كنية السيد برهان الدين إبراهيم بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهيد، وله في حدود السبعين وثمانمائة، ونشأ في كنف أبيه، فحفظ القرآن والمختصر وألفية ابن مالك، وعرض على جماعة شيئًا من محفوظاته، واستقر في المشيخة بعد أبيه، وحج، وتُوفي في سنة ثمان وتسعمائة.

وهي أيضًا كنية حفيده السيد برهان الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم وُلد في حدود العشرين وتسعمائة، ومات والده وعمره أزيد من عشرين سنة فخلفه في الزاوية مع يقظة ونباهة وعلو همة وفضيلة، حفظ القرآن والرسالة لابن أبي زيد والورقات في الأصول، والأجرومية في النحو، وقرأ محفوظه بحثًا ورواية على الشيخ أبي الحسن المالكي، وقرأ مع الورقات على السيد موسى الأرميوني بزاوية الحطاب، وكتب له إجازة بهما ثم قرأهما أيضًا مع مختصر الشيخ خليل علي نصار الدين اللقاني، وأجازه بثلاثتها، واجتمع على أعيان وقته كالشيخ أبي الحسن البكري وغيره، تُوفي سنة ست أو ثمان وستين وتسعمائة، ودفن عند آبائه .

(و): **أبو الوفا**: كنية سيدي محمد بن محمد بن محمد النجم، وقيل: وفا لقبه، وأما كنيته فأبو الفضل، وأبو التداني.

وقال المقريزي: هو الملقب بوفا، يقوله العامة: أبو الوفا.

(هـ): **أبو هادي**: كنية السيد محمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرزاق بن وفا، ولد تقريبًا في حدود 1152، ومات والده وهو طفل، خلف عمه أبا الإشراق في المشيخة، والتكلم في سابع جمادى الأولى من سنة 1171.

وأقبل حينئذ على العقل ووفور الذكاء ومزيد الفهم، والتودد إلى الناس بالبشاشة وحسن الخلق، وأقبل على العلم إقبالاً كليًا، وتعلم أنواع الفروسية بشهامة زائدة وقوة قلب، وتولى نقابة السادة الأشراف، وساس فيهما أحسن سياسة ولم يزل على أمر جميل حتى لبى مولاه صبح الخميس خامس ربيع الأول من سنة 1176، وغسل في قاعة التجلي، وصلي عليه بالجامع الأزهر، في مشهد حافل وحمل إلى الزاوية فدفن في حوطة عند سلفه ﷺ أجمعين.

المطلب الثامن: في سر اختصاصها بسيدي علي وفا وأولاده.

أما بحسب الظاهر فإن التكنية كالأعلام والألقاب للملوك خاصة يضعونها على من شاؤوا من خواص رجال الدولة تشريفًا لهم، وتنويهًا بشأنهم، وكانت نسبته السيد علي وأولاده في الأولياء نسبة الملوك مع الرعايا، اختص بذلك من دونهم إعلامًا بأنه سلطان العارفين، وسيد المقربين، وجرى ذلك وتسلسل في ذريته وسلسلته أهل الرسوخ والتمكين، وإليه أشار شيخنا المرحوم عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي في قصيدة له في مدحهم:

والأولياءُ وإنْ جلَّتْ مَرَاتِبُهم ... في رتبة العبدِ والساداتُ ساداتٌ

وأما بحسب الباطن فهو إشارة إلى اختصاصه ﷺ بمقام محو الرسوم والأسماء المعبر عنه بالفناء، أشار لذلك الإمام أبو الطيب الأقصري الشاذلي رحمه الله تعالى، حيث قال في رسالته المسماة بالبارق الأسنى: لما ظلم ليل الشرك وعبس، وسطا بجنحه على جوانح القلوب وعسعس، والفجر صبح الهداية، من أفق سماء العناية، بهالة شمس المحمدية وتنفس، فأشرقت أراضي القلوب بنورها، وارتفع عن البصائر والأبصار كثائف ستورها، وتلقت القوابل ما تطيقه حسب السابقة من الحكم، خصوصًا وعمومًا، تخصيصًا وتعميمًا، ولما استولى ذلك على الذوات، أزيل به ما كان بها من الظلمات، وعمت لوازمه القوالب والقلوب، وتطرقت به إليها أسرار الغيوب، فانطوت الجوانح على الأنوار والأسرار والحكم، مستبدلة من ظلم الكفر المبعد عن معادن السيادة والنعم ،وأتت الجوارح بما يؤيد ذلك، ويحققه لكل مؤمن سالك.

فمن خصوص النصوص للعبد المخصوص، ما به تعنى الآنية، وتنعدم الأنسية، ومن تمام هذا القسم عدم الاسم، كما انعدم له الرسم، ليتم له الفنا، حيث تلاشت جملة في المعنى، على بساط كل شيء هالك، مسلتزمًا ثبوت توحد المستغني، القاضي بنشأة البقاء بعد الفناء الموجبة لتبديل الأسماء بالكنى، من الحكم الغالب من تجليات الحسنى، الظاهرة بأسمائها الحسنى.

ومن هنا ظهر لنا بالصفا، حكمة سر اعتناء الروح حضرة الجمال الأستاذ سيد علي وفا بالكنى، دون غيره من الكمل الأمناء: وهي سنة حسنى تشير إلى اعتنائه ﷺ بتمام مقام الفناء الذي هو أتم الاستعدادات لتحصيل القصد الأسنى، وهو الذي ينبغي لكل مرشد، خصوصًا من ينهل من هذا المورد؛ لأن من لازم محو الرسم، محو الرسم؛ ليكون عنده

من وجوده الذي كان به مع الحجاب شيء، ثم توجيه عدم اعتناء غيره من الكمل الذين ساروا على سيره، بها نحمله على معنى وهو أنهم قصدوا إبقاء الاسم، إعلامًا بعدم زوال الرسم، سترًا على الحال، وغيره من أهل المحال انتهى.

قال العلامة أبو الصلاح عبد الباقي الزرقاني المالكي في كتابه النفحة الرحمانية في تراجم السادات الوفائية بعد أن نقل كلام الحافظ ابن حجر في الكنية، وما ورد فيها قال، وقال الواعظ: وقد اشتهر في بلدنا مصر كنية السادات آل الوفا، وهي صبغة الله بمن توضع عليه، ولو كبيرًا، وربما كانت تحوله من حال إلى حال ببركتهم، كما هو مشاهد محسوس، وكانت كنيتي أبو الصلاح، فلله الحمد والمنة.

وقال شيخنا الشيخ علي أبو الإرشاد الأجهوري: هي بإلهام من الله يفتح به على صاحب السجادة منهم فينطق به للمتلبس بما فتح به عليه، أو يتلبس به بعد، وأنا أقول في خبر أن منكم محدثين وملهمين، فإن يكن فعمر بن الخطاب مثله السادات الوفائية ﷺ انتهى كلامه .

المطلب التاسع: في الكنى المختلفة أسماؤها.

فمن ذلك أبو هريرة ﷺ اختلف فيه، فقيل اسمه عبد الرحمن، ويُقال: عبد شمس، ويقال: عبد غنم، ويقال: عبد الله، ويقال: عبد نهم، ويقال: عُمير، أصح الأقوال الأول، واختلف في اسم أبيه كذلك على أقوال كثيرة، وقد أفردنا فيه وفيمن تكنى بهذه الكنية رسالة صغيرة مستقلة مغنية في بابها عن المراجعة ومنها أبو بكر بن عياش المقري، اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً فقيل شعبة وصححه أبو زرعة، وقيل سالم، وقيل عبد الله، وقيل غير ذلك.

والصحيح أن اسمه كنيته، وصححه ابن حبان وابن عبد البر وابن الصلاح والمزي والذهبي.

وقد احتج به البخاري في صحيحه ووثقه أحمد وابن معين كذا في الأربعين العشاريات للزين العراقي. ومنها أبو عمرو بن العلاء المازني البصري أحد القراء السبعة: اختلف في اسمه على أقوال، فقيل زبان، وقيل العُريان، وقيل يحيى، وقيل غير ذلك، وقيل اسمه كنيته. ومنها: أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، اختلف في اسمه على أقوال: فقيل هرم، وقيل عبد الله، وقيل عبد الرحمن، وقيل غير ذلك، روي عن جده. وهي أيضًا كنية عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي من شيوخ أبي

داود، وأيضًا كنية عبد الله بن عبد الكريم الرازي من شيوخ مسلم، وأيضًا كنية الحافظ ولي الدين العراقي من شيوخ السخاوي، وأيضًا كنية الولي أحمد بن يوسف بن زكريا الأنصاري.

ومنها: أبو عزة الصحابي، اختلف في اسمه على أقوال، فقيل يسار بن عبيد، نقل ذلك عن الجوزجاني: وقيل يسار بن عمرو، نقل ذلك عن أحمد، وقيل الهذيل بن يسار، قاله ابن معين.

ومنها: أبو الأسود الدؤلي، اختلف في اسمه على أقوال: فقيل ظالم بن عمرو، وقيل عمرو بن ظالم، وقيل عمرو بن سفيان، وقيل غير ذلك. ومنها أبو السنابل بن بعكك بن الحارث اختلف في اسمه: قيل عمرو أو لبيد، أو اسمه كنيته، أو حسنة أو بغيض، وسأل بعضهم الدارقطني عن اسمه فألح عليه، فقال بغيض يسأل عن بغيض، قال ابن دريد، وله أخ يكنى أبا سنبلة، وفي قريش أبو السنابل عبد الله بن عامر بن كريز.

ومنها: أبو مالك الأشعري لَه صحبة اختلف في اسمه على أقوال: فقيل الحارث، وقيل عبيد، وقيل عبد الله، وقيل غير ذلك. وقيل أبو ليلى الأنصاري، والد عبد الرحمن لَه صحبة، اختلف في اسمه على ثلاثة أقوال: فقيل: بلال، وقيل: بليل، وقيل: داود بن بلال بن بليل، ويقال: إن بلالاً أخاه، روى عنه ابنه عبد الرحمن.

ومنها: أبو عبد رب الدمشقي الزاهد، ويقال أبو عبد الله، ويقال أبو عبد رب العزة، وهو من التابعين، اختلف في اسمه على أقوال: فقيل عبد الجبار، وقيل عبد الرحمن، وقيل قسطنطين، وهو من التابعين.

ومنها: أبو عيسى الخراساني، اختلف في اسمه على أقوال: فقيل سليمان بن كيسان، وقيل محمد بن عبد الرحمن، وقيل محمد بن القاسم، وهي أيضًا كنية محمد بن عيسى بن سورة الترمذي صاحب السنن والشمائل. وقد اختلف في حكم التكنية به، فمنهم من منعه وجعله من الكذب إذ لا أب لعيسى عليه السلام ومنهم من أجازه.

ومنها: أبو القاسم بن أحمد بن أبي سعد بن حمويه بحريني المصري، سماه بعضهم عبد الرحمن وبعضهم عبد الله، وبعضهم عليًا، وقيل اسمه كنيته، نقله المنذري في التكملة.

المطلب العاشر: في غريب الكنى.

فمن ذلك: أبو الدقيش كنية أعرابي فصيح، حكى عنه يونس وأبو زيد.

قال الجوهري: سأل يونس أبا الدقيش الأعرابي، ما الدقيش؟ فقال: لا أدري. إنما هي أسماء نسميها فنتسمى بها.

وفي التهذيب: قال يونس: سألت أبا الدقيش: ما الدقش؟ فقال: لا أدري، فقلت: ما الدقيش ؟ فقال: ولا هذا. قلت: فاكتنيت بما لا تعرف ما هو، فقال: إنما الكنى والأسماء علامات: قال ابن فارس في المجمل، وما أقرب هذا الكلام من الصدق.

وقال ابن بري عن أبي القاسم الزجاجي: إن ابن دريد سُئل عن الدقيش، قال: قد سمت العرب دقشًا وصغروه فقالوا: دقيش، وصيرت من فعل فنعلاً فقالوا: دنقش.

وقال أبو زيد: دخلت على أبي الدقيش وهو مريضٌ فقلت لَه: كيف تجدك يا أبا الدقيش، فقال: أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد، وأنا في زمان سوء زمان من وجد لم يجُد، ومن جاد لم يجِد.

أبو العَدَبّس كنية رجلين: أحدهما الأصغر قال أبو حاتم: اسمه تبيع بن سليمان، وقال في موضع آخر: لا يسمى روى عن ابن مرزوق.

والآخر الأكبر تابعي اسمه منيع بن سليمان الأسدي، ويقال: الأشعري، والعدبّس في اللغة: الضخم العظيم الشرس الخلق من الإبل، وبه كني.

أبو المغِلّس: كنية عنترة بن شداد العبسي الفارس المشهور.

أبو المطوس: كنية رجل مكي، قال ابن معين: اسمه عبد الله بن المطوس.

وقال البخاري: اسمه يزيد بن المطوس.

وقال أبو حاتم: لا يسمى.

وقال أبو داود: اختلف على سفيان وشعبة أبو المطوس، وابن المطوس.

أبو العَنْبَس: كنية ستة رجال: الأول: عبد الله بن سهبان الأسدي الكوفي. والثاني: محمد بن عبد الله بن قارب الثقفي. والثالث: الحارث بن كعب الكوفي. والرابع: الكوفي الأكبر من شيوخ شعبة.

قال أبو زرعة: لا أعرف اسمه، وقال أبو حاتم: شيخ لا يسمى. والخامس: سعيد بن كثير بن عبيد الملائي، وهو الأصغر، والسادس: عمرو بن مروان النخعي، وهو الأوسط، والأربعة كوفيون.

أبو الجرباء: كنية عاصم بن أبي دلف، صاحب خطام جمل عائشة رضي الله عنها.

أبو المضاء: كنية جد علي بن محمد بن علي المصيصي، وأيضًا كنية خلف بن

خالد بن إسحاق المصري.

أبو الزنباع: كنية روح بن الفرج القطان المحدث .

أبو الدلهاث: كنية جد أبي القاسم النعمان بن هارون بن محمد بن هارون بن جابر بن النعمان الشيباني البلدي المحدث.

أبو كرين: كنية جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم الحسيني؛ لأنه أولد مائة وعشرون ولدًا، ويقال لهم الرضويون.

أبو الذرية: كنية سراج الدين عمر بن يعقوب بن أحمد الأنصاري السعودي.

أبو الغصن: كنية دجين بن ثابت بن دجين البصري، لقبه جحا، كما في حياة الحيوان للدميري، روى عن عبد الرحمن بن مهدي.

وقال الذهبي في الديوان عن أسلم مولى عمر: ضعفوه.

وفي الجمهرة: أبو الغصن كنية جحا، وإياه تبع الجوهري، ووهمه صاحب القاموس، وتفصيله، والجواب عنه في شرحنا عليه، ولهم رجل آخر، يقال لَه: أبو الغصن، واسمه ثابت بن قيس المدني.

أبو الأعيسي[1]: كنية عبد الرحمن بن سليمان الخولاني، من أصحاب عمر بن عبد العزيز.

أبو العتاهية: كنية رجل شاعر هكذا هو في الصحاح، وخطأه صاحب القاموس، فقال: هو لقب لا كنية.

قال شيخنا: قد أغرب المجد جدًا، وخالف ما أطبق عليه أئمة العربية، وقد رأيت الملا عصام الدين في الأطول في فن البديع قد أشار لمثل هذا الاستغراب كلام المصنف غاية الاستغراب، وإنه لحقيق بالاستغراب لخروجه عن جادة قواعد الإعراب، ثم أي مانع من اجتماع كنى متعددة على مكني واحد، كما تجمع الألقاب كذلك، كما في غير ديوان، وقد أشرنا لمثل ذلك في شروح الشواهد، قال ثم خطر لي أن المصنف كأنه راعى ما يميل إليه بعض بأن ما دل على الذم فإنه يكون لقبًا، ولو صدر بأب أو أم، ولا سيما إذا قصدوا بالكنية الذم، كما ادعاه بعض في هذه الكنية، وزعم أنهم قصدوه بها، كأن العته الخفة والجنون؛ فيكون كنية أريد بها اللقب.

---

(1) انظر: العظمة لأبي الشيخ (878/3).

وفي كلام المحدثين في أسماء بعض الرجال ما يومئ إليه، ولكنهم لم يمنعوا إطلاق الكنية عليه. انتهى.

قلت: هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد الشاعر في زمن المهدي، وذكر بعض أنه كان له ولد يسمى عتاهية، وبه كنى، وقيل: لو كان كذلك لقيل له: أبو عتاهية، بغير تعريف، والصحيح أنه لقب لا كنية، كما مشى عليه المجد تبعًا لابن سيده والأزهري، وإنما لقب بذلك؛ لأن المهدي قال لَه: أراك متعتها متخلطًا، وكان قد نعته بجارية للمهدي، واعتقل بسببها وعرض عليها المهدي أن يزوجها لَه، فأبت.

وقيل: لُقب بذلك لأنه كان طويلاً مضطربًا.

وقيل: لأنه كان يرمى بالزندقة، وقرأت في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ما نصه، روي عن الخليل بن أسد النوشجاني قال: قال أبو العتاهية: يزعم الناس أني زنديق، ووالله ما ديني إلا التوحيد، فقلنا له: قل شيئًا نتحدث به عنك فأنشد:

أَلا إِنَّنا كُلَّنا بائِدُ ... وَأَيُّ بَني آدَمٍ خالِدُ

وَبَدؤُهُمُ كانَ مِن رَبِّهِم ... وَكُلٌّ إِلى رَبِّهِ عائِدُ

فَيا عَجَبا كَيفَ يُعصى الإِلَـ ... ـهُ أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ

فانظر ذلك ولا عليك من استغراب العصام فإنه من عدم الإلمام بكلام الأعلام.

ومن هذا القبيل أبو البدّاح بن عاصم بن عدي الأنصاري، قال الواقدي: هو لقب غلب عليه، ويكنى أبا عمرو، ويقال اسمه عدي.

ومنه أيضًا أبو عجيبة، فإنه لقب أبي علي الحسن بن موسى بن عيسى الحضرمي الحافظ، روى عنه حمزة الكناني، توفي سنة 629، وكذلك أبو كرّين الذي تقدم قريبًا، فإنه لقب لجعفر.

أبو البَرَهُسَم: كنية رجلين: أحدهما عمران بن عثمان الزبيدي الشامي، ذو القراءات الشواذ كما في العباب، وقد أكثر عنه ابن جني في كتابه المحتسب، والثاني: حدير بن معدان بن صالح الحضرمي المقري الزبيدي، روى عنه شريح بن يزيد المؤذن.

أبو الصقعب: كنية جخدب بن جرعب الكوفي النسابة، روى عن عطاء، وعنه

سفيان الثوري.

أبو العميطر: كنية علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان السفياني الخارج بدمشق أيام محمد الأمين، وأمه نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، بويع له بالخلافة في دمشق، وكان يفتخر ويقول: أنا ابن شيخي صفين، مات سنة 198، ذكره الصفدي في وفياته .

أبو البِيز (بالكسر): كنية علي الحربي، كان ضريرًا فأمرّ النبي ﷺ يديه على عينيه في المنام فأصبح مبصرًا، ذكره ابن نقطة .

أبو الخبّاب (بالتشديد): كنية الشيخ نجم الدين أحمد بن عمر الخيوقي المعروف بالكبرى، شيخ خوارزم في زمانه، هكذا كناه النبي ﷺ إياه في المنام، ذكره الجامي في نفحات الأنس أبو عينيان: كنية جد نهار بن توسعة الشاعر.

أبو العينين: كنية القطب برهان الدين إبراهيم بن أبي المجد الحسيني الدسوقي ﷺ .

أبو الدِبْس: (بالكسر) كنية المبرك بن علي المحدث الكناني.

أبو قابوس: كنية محمد بن موسى الخرقي روى عن ابن المقري، وأيضًا كنية مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص راوي حديث الرحمة عن سيده المذكور، وهو مشهور بكنيته، ذكره يحيى بن معين ولم يسمه، وكذلك الحافظ بن مندة في الكنى، ولم يسمه.

وقال شيخنا محمد بن أحمد الحنبلي فيما كتب به إليّ أنه إنما جاء تسميته عن ثابت بن محمد المدني، فذكر أن اسم أبي قابوس المبرد، قلت: هكذا نقله الحافظ ابن حجر في الأمالي الدمشقية، وقال الحافظ ابن ناصر الدمشقي قول ثابت ليس بثابت. وهي أيضًا كنية النعمان بن المنذر ملك العرب وسيأتي الكلام عليه في آخر الكتاب.

أبو العيناء: كنية محمد بن القاسم الشاعر المشهور.

أبو فيد: كنية مؤرج بن عمر السدوسي اللغوي.

أبو قحدم: كنية النضر بن معبد الذي روى عن أبي قلابة، وأيضًا كنية شيخ لعوف الأعرابي .

أبو سَمَنْطَح: كنية الجمال محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن ظهيرة المخزومي .

أبو لكوط: كنية عبد الرحمن بن محمد الدكالي، نزيل مكة.

أبو السمخوط : كنية الحسن بن يوسف بن يحيى بن الحسن .

أبو ثور: كنية الشيخ المجاهد أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الجبار القدسي، حضر فتح بيت المقدس راكبًا على ثور فاشتهر به، وأقطعه الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب دير مارقيوس وهي تعرف الآن بدير أبي ثور، وذلك في سنة 594، ودفن بها، هكذا ذكره ابن الحنبلي في الأنس الجليل.

قلت: وهو جد الثوريين ببيت المقدس، وهذا باب واسع لا يمكن استقصاء حدوده، وإنما ذكرنا منه ما تيسر حين المراجعة أو بقي في المحفوظ. فقليل يغني خير من كثير يطغى.

المطلب الحادي عشر: فيمن عرف بكنيته دون اسمه.

وهذا أيضًا باب واسع، ومهيع شائع، غير أننا نذكر فيه ما أمكن، وعلق في الذهن وتمكن، فمن ذلك سيدنا الإمام أبو بكر الصديق كما تقدم، وأبو قابوس وقد تقدم.

وأبو عبيدة، وقد تقدم، وأبو لايس الخزاعي لَه صحبة، قال ابن معين: يعرف بكنيته ولم نعرف له اسمًا.

وأبو أيوب الأنصاري ﷺ معروف، واسمه خالد بن زيد.

ومنهم أبو الفتح: ابن وفا معروف بكنيته وقد تقدم.

وأبو الفتح بن علي بن عمر الشاذلي صاحب مخا والد عبد المغني مشهور بكنيته.

وأبو السعادات بن محمد بن محمد الطبري المكي مشهور بكنيته.

وأبو الطيب بن محمد النويري مشهور بكنيته، واسمهما محمد، أبو خلدة بن دينار الخياط مشهور بكنيته، وهو من رجال البخاري، وجاء في حديث وائل بن حجر:

«من محمد رسول الله إلى المهاجرين»، ابن أمية.

قال ابن الأثير: وحقه أن ابن أبي أمية، ولكنه لاشتهاره بالكنية، ولم يكن لَه اسمٌ معروف غيره لم يجر، أبو أمامة بن سهل بن حنيف كناه النبي ﷺ باسم جده لأمه، وهو مشهور بكنيته.

أبو طالب: والد علي بن أبي طالب ﷺ مشهور بكنيته يروى ذلك عن أبي علي محمد ابن إبراهيم المحمدي الأعرج النسابة، صاحب المبسوط في علم النسب.

وقيل: اسمه عمران، وهي رواية ضعيفة رواها أبو بكر محمد بن عبدة العبقسي الطرسوسي النسابة.

وزعم صاحب المبسوط أنه رأى خط أمير المؤمنين علي ﷺ ما نصه، وكتب: (علي

ابن أبو طالب)، قال ابن عنبة النسابة[1]: وقد كان بالمشهد الغروي مصحفان ثلاث مجلدات بخط أمير المؤمنين احترق حين احترق المشهد يُقال: إنه كان في آخره، وكتب علي بن أبي طالب، ولكن حدثني شيخي النقيب السعيد تاج الدين محمد بن معية الحسني النسابة وجدي لأمي العلامة فخر الدين محمد بن حسين بن حديد الأسدي أن الذي كان في آخره علي بن أبي طالب ولكن الياء مشتبهة بالواو في الخط الكوفي الذي كان أمير المؤمنين يكتبه، قال: وقد رأيت مصحفًا بالمزار في مشهد عبيد الله بن علي بخط أمير المؤمنين في مجلد واحد، وفي آخره بسم الله الرحمن الرحيم، كتبه (علي بن أبو طالب)، قال واتصل لي بعد ذلك أن مشهد عبيد الله احترق واحترق ذلك المصحف.

أبو السعود: عرف به جماعة، فمنهم ابن أبي العشائر الواسطي المدفون بالقرافة، شيخ الطائفة السعودية، والقطب الجارحي المدفون خارج مصر بكوم الجارح.

وابن عبد القادر ابن عبد الرحمن الشيباني المكي عرف بابن زيرق.

وابن تاج الدين الدمشقي الشهير بالقباقبي ممن حضر دروس البابلي تُوفي 1094، وابن النجم الغزي نزيل دمشق توفي 1070.

وابن صلاح الدين الدمياطي: أخذ عن الشهاب البشبيشي تُوفي سنة 1109.

وابن علي بن الزين القسطلاني: عن علي بن جار الله، ويحيى بن الحطاب، تُوفي بمكة 1033.

وابن سلامة بن أبي النور الدمياطي عن المزاحي والبابلي، وهو من شيوخ مشايخنا.

أبو القاسم: عرف به القطب الطهطاوي، وقد تقدَّم ذكره.

وابن أحمد بن عبد الرحمن المالكي: الملقب بوقار الدين صاحب الزاوية بالمراغة، من عمل أخميم.

وابن إسحاق بن إبراهيم بن الطاهر بن [جهمان] الزبيدي: ويكنى أبا محمد، تُوفي سنة 1000.

وابن علي: صاحب الضحى صاحب الكرامات.

وابن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سليمان الأهدل: عرف بقائد الوحوش، تُوفي

---

(1) كتابه القيم في أنساب أبي طالب، قد طبع قريبًا، وهو من أهم كتب الأنساب.

سنة 1022.

وابن عمر بن عبد القادر الأهدل: تُوفي 1039.

وابن المهدي الحكمي العريشي اليمني من أدباء اليمن.

وابن محمد بن خلف القيرواني أجازه المقري والأجهوري أبو الحسن بن الزبير السجلماسي، إمام النحاة في عصره من شيوخ عبد القادر الفارسي، معروف بكنيته.

وعالم المدينة أبو الحسن الندي ممن أخذ على البصري والبابلي.

وتلميذ تلميذه شيخنا أبو الحسن بن محمد الصادق، بارك الله في مدته.

أبو جعفر بن عبد القادر القليعي المغربي ذكره العياشي في رحلته وقال: هو مشهور بكنيته، تُوفي سنة 1071 .

أبو الهدى العليمي المقدسي: صاحب الكرامات معروف بكنيته تُوفي سنة 1012.

أبو الصفا بن أيوب بن أحمد الخلوتي الدمشقي، عرف بكنيته مفتي الحنفية بدمشق تُوفي 1121 .

أبو الوفا بن عمر بن عبد الوهاب العرضي الحلبي ترجمه الخفاجي في الريحانة، تُوفي بحلب 1070 .

أبو الطيب بن البدر بن الرضي الغزي له شعر رائق .

أبو الغيث بن محمد بن إبراهيم الحسيني النديمي تُوفي بمكة سنة 1014، ودُفن بالشعب عند السيدة رضي الله عنها.

المطلب الثاني عشر: فيمن تكنى بكنيتين:

هذا الباب قد ألف فيه الشهاب أحمد العجمي الوفائي رسالة سماها قرة العين، ولم أطلع عليها وكأنها خاصة فيمن تكنى مرتين من حضرة ساداتنا بني الوفا ﷺ.

والمشهور عندهم أن الكنية إذا وقعت ثانية فإنها تكون عين الأولى إما في اللفظ كما وقع لكثير منهم أو في المعنى ،وهذا مشاهد. ومن ذلك: أبو التداني، وأبو الفضل، وأبو العز، وأبو الإشراق.

فانظر ما بين كل منهما من التلازم والأسرار الخفية التي لا ينفك بعضها عن بعض، وقد وقع لي ذلك، فإن المرحوم السيد أبا الهادي كناني بأبي الجود، وحضرة سيدنا المكتسي خلع البقاء حفظه الله تعالى كناني بأبي الفيض، ولا يخفى ما بينهما من القرب الكلي والمناسبة التامة، ومثل هذا لو جئت أتتبع طال المجال، واتسع المقال، ولما أني

لم أظفر برسالة الشهاب العجمي المذكورة طالعت ما عندي من كتب الحديث والتاريخ فوجدت من المقصود حظًا وافرًا، ومقصدًا متكاثرًا، وجردت كل ذلك في أوراق فإذا هي رسالة مستقلة، فعزمت ثانيًا على إيرادها هنا على وجه الاختصار؛ لئلا يمل منها، فما لا يدرك كله لا يترك كله، وهذا أوان الشروع في المقصود.

قد وقع في عمود نسبه ﷺ من تكنى بكنيتين على ما قدمنا ذكره، وسنعيدهم ثانيًا زيادة للإيضاح وبيانًا؛ لأنها منقبة سارية من عالم الأرواح.

فمن ذلك: آدم عليه السلام لَه كنيتان: أبو البشر وأبو محمد.

ومدركة: أبو الهذيل، وأبو خزيمة.

وكنانة: أبو النضر وأبو قيس.

عبد مناف: أبو البطحاء وأبو عبد شمس.

والنبي ﷺلَه كنيتان: أبو القاسم وأبو إبراهيم.

وعلي ﷺ لَه كنيتان: أبو الحسن وأبو تراب، وكل ذلك قد تقدم، ولنشرع في ذكر من لم يتقدم ذكره مرتبًا على حروف المعجم لأجل الضبط .

(الألف)

أُبي بن كعب: أبو الطفيل وأبو المنذر.

أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد العمري الصاغاني المكي: أبو العباس، وأبو الخير.

أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السلمي: أبو الحسن، وأبو العباس.

أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي: أبو حمزة، وأبو طاهر.

أحمد بن محمد بن طلحة بن الحسن البغدادي: أبو بكر، وأبو عبد الله.

أحمد بن محمد بن عون الأزرقي: أبو الوليد، وأبو محمد.

أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: أبو العباس وأبو الإقبال.

الأسود بن يزيد النخغي: أبو عمرو، وأبو عبد الرحمن.

أسباط بن نصر الهمداني: أبو يوسف، وأبو نصر.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري: أبو إسحاق، وأبو محمد.

إسماعيل بن أبان الأودي: أبو إسحاق، وأبو إبراهيم.

إسحاق بن أحمد بن غانم البغدادي: أبو الفضل، وأبو محمد.

إياس بن سلمة بن الأكوع: أبو سلمة، وأبو بكر.

(حرف الباء)

بشير بن كعب بن أبي الحميري: أبو أيوب، وأبو عبد الله.

بكير بن عبد الله الأشج: أبو يوسف، وأبو عبد الله.

بلال بن أبي بردة الأشعري: أبو عمرو، وأبو عبد الله.

بيان بن عمرو البخاري العابد: أبو محمد، وأبو عمرو .

(حرف الثاء)

ثوبان بن بجدد: أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله.

ثابت بن حسن بن خليفة اللخمي النحوي: أبو الحسن، وأبو رزين.

ثابت بن محمد العابد الشيباني الكوفي: أبو محمد، وأبو إسماعيل .

(حرف الجيم)

جابر بن سليم الهجيمي: أبو جري، وأبو جردة.

جابر بن عبد الله الأنصاري: أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن.

جرير بن عبد الله البجلي: أبو عبد الله، وأبو عمرو.

جعفر بن أبي طالب: أبو عبد الله، وأبو المساكين.

جابر بن سمرة السوائي: أبو عبد الله، وأبو خالد.

جبير بن مطعم: أبو محمد، وأبو عدي.

جويرية بن أسماء الضبعي: أبو مخارق، وأبو مخراق .

(حرف الحاء)

الحصين بن منذر: أبو ساسات، وأبو محمد.

الحسين بن يوسف بن الحسن الصنهاجي: أبو علي، وأبو عبد الله.

حريز بن عثمان المشرفي الحمصي: أبو عثمان، وأبو عون.

الحسن بن علي الخلال الهذلي: أبو علي، وأبو محمد.

الحسين بن علي بن الوليد الجعفي مولاهم: أبو محمد، وأبو عبد الله.

الحسين بن الوليد النيسابوري: أبو عبد الله، وأبو علي.

حفص بن عبد الله بن راشد السلمي: أبو عمر وأبو سهل.

حمزة بن عمرو بن عويمر الأسلمي: أبو صالح، وأبو محمد.

حويطب بن عبد العزى العامري القرشي: أبو محمد، وأبو الأصبغ.

حسن بن علي بن يحيى العجيمي الحنفي المكي: أبو الأسرار، وأبو البقاء .

(حرف الخاء)

الملك المشمر خضر بن يوسف بن أيوب: أبو العباس، وأبو الفتح.

خالد بن عبد الله بن يزيد القسري: أبو القاسم، وأبو الهيثم.

خالد بن يزيد السلمي: أبو هاشم، وأبو محمود.

خطاب بن عثمان الطائي: أبو عمر، وأبو عمرو.

خليل بن إبراهيم اللقاني: أبو مفلح، وأبو الإمداد.

(حرف الدال)

داود بن الزبرقان: أبو عمر، وأبو عمرو.

داود بن قيس: أبو اليَمَن، وأبو سليمان.

درست بن زياد: أبو الحسن، وأبو يحيى.

داود بن أبي هند البصري: أبو بكر، وأبو محمد .

(حرف الراء)

رسن بن يحيى بن رسن الكناني: أبو إبراهيم، وأبو غلاب.

رضوان بن عمر بن علي بن خميس الديباجي الشاعر: أبو الجنان، وأبو محمد.

الربيع بن زياد الحارثي :أبو عبد الرحمن، وأبو فراس.

رجاء بن حَيْوَةَ الفلسطيني: أبو المقدام، وأبو النصر.

(حرف الزاي)

زيد بن ثابت: أبو سعيد، وأبو خارجة.

الزبير بن سعيد: أبو القاسم، وأبو هاشم.

زهير بن محمد البغدادي: أبو محمد، وأبو عبد الرحمن.

زياد بن حدير الأسدي: أبو المغيرة، وأبو عبد الرحمن.

زياد بن رياح البصري: أبو رياح، وأبو قيس.

زياد بن سودة: أبو المنهال، وأبو نصر.

زياد بن عبد الله البكائي راوي سيرة ابن إسحاق: أبو محمد، وأبو يزيد.
زيد بن أسلم المدني: أبو أسامة، وأبو عبد الله.
زبيد بن الحارث اليامي: أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الكريم.
زر بن حبيش الأسدي: أبو برة، وأبو المطرف.
زيد بن خالد الجهني: أبو عبد الرحمن، وأبو طلحة.
زيد بن واقد الدمشقي :أبو عمر، وأبو عمرو.

(حرف السين)

سليمان بن عبد الحميد بن عبد العزيز الحمصي: أبو يحيى، وأبو حازم.
سليمان بن يسار المدني: أبو أيوب، وأبو عبد الرحمن.
سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أبو أيوب، وأبو محمد.
سليمان بن منصور البلخي البزاز: أبو الحسن، وأبو هلال.
سليمان بن بلال القرشي التيمي مولاهم: أبو أيوب، وأبو محمد.
سليمان بن حبيب الدمشقي: أبو ثابت، وأبو بكر.
سهل بن محمد الزبير: أبو سعيد، وأبو داود.
سهل بن هاشم الحبشي: أبو إبراهيم، وأبو زكريا.
سلامة بن روح بن خالد بن عقيل القرشي الأموي الأيلي: أبو خريق، وأبو روح.
سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي: أبو مسلم، وأبو إياس.
سعيد بن جبير: أبو محمد، وأبو عبد الله.
سعيد بن بشير الأزدي: أبو عبد الرحمن، وأبو سلمة.
سعيد بن زكريا: أبو عثمان، وأبو عمر.
سعيد بن سفيان الجحدري: أبو سفيان، وأبو الحسن.
سعيد بن عبد الجبار الحمصي: أبو عثمان، وأبو عُثَيم.
سعيد بن نصير الوراق: أبو عثمان، وأبو منصور.
السائب بن مالك بن يزيد: أبو يحيى، وأبو كثير.
سريع الجمال مولى ابن حُمرة: أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله.
سفيان بن دينار الكوفي: أبو سعيد، وأبو الورقاء.
سفيان بن زياد العقيلي: أبو سعيد، وأبو سهل.

سلمة بن سليمان المؤدب: أبو سليمان، وأبو أيوب.

سعيد بن عمرو بن سعيد الأموي: أبو عثمان، وأبو عبد الله.

سهل بن سعد الساعدي: أبو العباس، وأبو يحيى .

(حرف الشين)

شرف الدين بن شيخ الإسلام: أبو الفلاح، وأبو المواهب.

شداد بن أوس: أبو يعلي، وأبو عبد الرحمن.

شريح بن عبيد بن شريح المقراي: أبو الصلت، وأبو الصواب.

شعيب بن يوسف: أبو عمر، وأبو عمرو.

شهاب بن عباد: أبو عمر، وأبو عمرو.

(حرف الصاد)

صالح بن مسمار: أبو الفضل، وأبو العباس.

صيفي بن ربعي الأنصاري: أبو هشام، وأبو هاشم.

صلة بن زفر العبسي: أبو العلاء، وأبو بكر.

(حرف الضاد)

الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب: أبو عبد الرحمن، وأبو زرعة.

(حرف الطاء)

طلحة بن زيد الرقي: أبو مسكين، وأبو محمد.

طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات: أبو المطرف، وأبو محمد.

طلحة بن مُصَرِّف اليامي: أبو محمد، وأبو عبد الله.

طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري: أبو عبد الله، وأبو محمد .

(حرف العين)

عامر بن عمر بن قتادة الأنصاري: أبو عمر، وأبو عمرو.

عبد الله بن أبي أوفى: أبو إبراهيم، وأبو معاوية.

عبد الله بن الزبير: أبو بكر، وأبو خصيب.

عبد الله بن جميل بن أحمد بن محمد التيمي الدمشقي: أبو إبراهيم، وأبو موسى.

عبد الله بن بدران بن النضر بن علي السيلي: أبو كريم، وأبو عبدْ الكريم.
عبد الله بن بسر: أبو بشر، وأبو صفوان.
عبد الله بن داود بن عامر الخريبي: أبو عبد الرحمن، وأبو محمد.
عبد الله بن عمرو بن العاص: أبو محمد، وأبو عبد الرحمن.
عبد الله بن العلاء بن زبير الربعي الدمشقي: أبو زيد، وأبو عبد الرحمن.
عبد القادر الجيلاني القطب: أبو صالح، وأبو محمد.
عبد المؤمن بن خلف الدمياطي الحافظ: أبو محمد، وأبو أحمد.
عبد الكريم بن عبد النور الحلبي شارح السيرة: أبو علي، وأبو محمد.
عبد الحق بن محمد السنباطي: أبو الفضائل، وأبو الصدق.
عبد الوهاب الشعراني. أبو عبد الرحمن، وأبو المواهب.
عبد الواحد بن زياد العبدي: أبو بشر، وأبو عبيدة.
عبد المجيد بن سهيل الزهري: أبو محمد، وأبو دهب.
عبد العزيز بن محمد بن عمر بن فهد: أبو الخير، أبو فارس.
عتاب بن بشير الجزري: أبو الحسن، وأبو سهل.
عثمان بن أبي نصر بن منصور بن هلال البغدادي الحنبلي: أبو الفتوح، وأبو الفرج.
عثمان بن عبد الله بن موهب المدني: أبو عبد الله، وأبو عمرو.
عدي بن حاتم الطائي: أبو طريف، وأبو دهب.
عطاء بن السائب: أبو السائب، وأبو محمد.
علي بن الحسين بن علي زين العابدين: أبو الحسين، وأبو الحسن.
علي بن المقرب بن منصور الإحسائي الشاعر: أبو عبد الله، وأبو الحسن.
علي بن علي الشبراملسي: أبو الضياء، وأبو النور.
عمرو بن سفيان السلمي: أبو الأعور، وأبو عبد الله.
عمر بن العاص السهمي: أبو عبد الله، وأبو محمد.
عمرو بن ميمون الأددي: أبو يحيى وأبو عبد الله.
عمرو بن ميمون بن مهران: أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن.
عمر بن علي بن الحسين: أبو علي، وأبو حفص.
عمر بن علي بن أبي طالب: أبو القاسم، وأبو حفص.

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه البكري الشهاب: أبو حفص، وأبو عبد الله.

عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي ابن الفارض: أبو القاسم، وأبو شرف الدين.

وعمر بن وفا بن يوسف البغدادي: أبو الوفا، وأبو حفص.

عمر بن يعقوب بن أحمد الأنصاري السعودي: أبو علي، وأبو الذرية.

عمران بن حطان السدوسي: أبو سماك، وأبو شهاب.

عنبسة بن سعيد بن العاص الأموي: أبو أيوب وأبو خالد.

عيسى بن يونس السبيعي: أبو عمر وأبو محمد.

عيسى بن زيد الشهيد: أبو عبد الله، وأبو يحيى .

(حرف الفاء)

الفضل بن عنبسة الواسطي: أبو العلاء، وأبو العباس.

(حرف القاف)

القاسم بن محمد بن أبي بكر: أبو محمد، وأبو عبد الرحمن.

قتادة بن النعمان: أبو عبد الله وأبو عمرو.

قرة بن خالد السدوسي: أبو خالد، وأبو محمد.

قيس بن سعد بن عبادة: أبو عبد الله، وأبو الفضل.

قيس بن سعد المكي: أبو عبد الملك، وأبو عبد الله.

قبيصة بن ذؤيب الخزاعي: أبو إسحاق، وأبو سعيد .

(حرف الكاف)

الأمير كوكبري المستنجدي: أبو الطلائع، وأبو الفوراس.

كعب بن مالك: أبو بشير وأبو عبد الله .

(حرف اللام)

الليث بن سعد: أبو الحارث، وأبو المكارم.

(حرف الميم)

محمد بن زيد الشهيد: أبو جعفر، وأبو عبد الله.

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن: أبو عبد الله، وأبو القاسم.

محمد بن جعفر البزاز البغدادي: أبو جعفر، وأبو سعد.

محمد بن بكر بن عثمان البرساني: أبو عبد الله، وأبو عثمان.

محمد بن عبادة البحتري: أبو عبد الله، وأبو جعفر.

محمد بن عبد الرحمن الأنصاري: أبو الرجال، وأبو عبد الرحمن.

محمد بن عثمان العجلي: أبو جعفر، وأبو عبد الله.

محمد بن كعب القرظي: أبو حمزة، وأبو عبد الله.

محمد بن معن الغفاري: أبو يونس وأبو معن.

محمد بن المنهال المجاشعي الحافظ: أبو عبد الله، وأبو جعفر.

محمد بن أبي المعالي بن أبي الكرم بن يوسف البغدادي: أبو عبد الله، وأبو البركات.

محمد بن أبي البركات البغدادي: أبو السعادات، وأبو بكر.

محمد بن عمر بن أحمد بن علي البغدادي العطار: أبو عبد الله، وأبو عمر.

محمد الكامل ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب: أبو المظفر، وأبو المعالي.

محمد بن علي بن أبي نصر النوقاني: أبو عبد الله، وأبو المفاخر.

محمد بن أحمد بن محمد بن داود التونسي الوفائي: أبو عبد الله، وأبو المواهب.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي الغرياني الحافظ: أبو عبد الله، وأبو علي.

محمد بن محمد بن زيد العلوي الحسني: أبو المعالي، وأبو الحسن، ويلقب بذي الشرفين.

محمد بن أحمد بن محمد بن محمود الكازروني المدني: أبو عبد الله، وأبو البركات. ويلقب بثلاثة ألقاب: الجمال والمحب والشمس.

محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد الكازروني المدني: أبو الفتح، وأبو عبد الله. ويلقب بلقبين: الشمس والمحب.

محمد بن الجيبغا نظام الدين الناصري الحنفي: أبو اليسر، وأبو المعالي.

محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي البركات بن ظهيرة القرشي المخزومي: أبو العز، وأبو اليمن.

محمد بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن نبهان الجبريني: أبو عبد الله، وأبو نبهان.

محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن رسلان البلقيني: أبو الغيث، وأبو الفتح.

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسني الأبجي: أبو السعادات، وأبو البركات.

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن منصور الباز الأشهب: أبو الجود، وأبو الطيب.

محمد بن مسدد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام الكازروني المدني: أبو حامد، وأبو اليُمن.

محمد بن قاسم الغرناطي: أبو الذخائر، وأبو عبد الله.

محمد بن موسى بن علي المراكشي المكي: أبو البركات، وأبو المحاسن.

محمد بن حسن شمس الدين التيمي البكري الحنفي القطب: أبو محمود، وأبو قطر الندى.

محمد بن عبد الرحمن المليجي محيي الدين: أبو الأنس، وأبو التوفيق.

محمد التادلي عرف بالصالح: أبو المواهب، وأبو الكرامات.

مرحوم بن عبد العزيز العطار: أبو محمد، وأبو عبد الله.

مسعود بن صدقة بن علي الأنصاري: أبو المظفر، وأبو الفتح.

مضر بن أحمد بن ناصر الهاشمي: أبو الفضائل، وأبو عبد الله.

مطرف بن طريف الكوفي: أبو بكر، وأبو عبد الرحمن.

مرهف بن سالم بن فلاح بن راشد الجذامي السفطي من سقط نهيا بالجيزة: أبو المهند، وأبو عبد الرحمن.

المغيرة بن شعبة ﷺ: أبو عبد الله، وأبو عيسى.

المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي: أبو هاشم، وأبو هشام.

مقسم بن بجرة: أبو القاسم، وأبو العباس[1].

المنذر بن الوليد العبدي: أبو العباس، وأبو الحسن.

---

(1) انظر: تهذيب الكمال (461/28).

موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن: أبو الحسن، وأبو عبد الله.

موسى بن يوسف بن محمد الموصلي: أبو أحمد، وأبو عمران.

(حرف النون)

نافع بن جبير بن مطعم: أبو محمد، وأبو عبد الله .

(حرف الهاء)

هاني بن يزيد: أبو الحكم وأبو شريح، الأخيرة كناه النبي ﷺ بها.

هارون بن موسى الأسدي: أبو عبد الله، وأبو موسى.

همام بن يحيى بن دينار العزي: أبو عبد الله، وأبو بكر .

(حرف الواو)

واقد بن محمد بن زيد العمري: أبو خزيمة، وأبو العباس.

وحشي بن حرب: أبو وسمة، وأبو حرب.

وراد مولى المغيرة بن شعبة: أبو السعيد، وأبو الدرداء .

(حرف الياء)

يحيى بن حماد الشيباني: أبو بكر، وأبو محمد.

يحيى بن سليم الطائفي: أبو محمد، وأبو زكريا.

يحيى بن صالح الوحاظي: أبو زكريا، وأبو صالح.

يعقوب بن مجاهد المدني: أبو حزيرة، وأبو يوسف.

يونس بن بكير الحافظ الشيباني: أبو بكر، وأبو بكير.

يونس بن عبيد العبدي: أبو عبد الله، وأبو عبيد.

وهذا آخر ما أردنا بيانه من ذكر من تكنى بكنيتين، ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه برسالتنا في ذلك، فإنها قد تكفلت بفوائد هذا الباب ومهماته، والله أعلم.

المطلب الثالث عشر: فيمن تكنى بثلاث كنى.

وهذا باب أقل من الأول، فمن ذلك والد النبي ﷺ يكنى: أبا قثم، وأبا محمد، وأبا أحمد، وقد تقدم.

حمزة بن عبد المطلب يكنى: أبا عبد المطلب، وأبا عمارة، وأبا يعلي.

عبد الله بن ميسرة الكوفي يكنى: أبا عبد الجليل، وأبا ليلى، وأبا إسحاق.

منصور بن عبد المنعم الفراوي يكنى: أبا الفضل، وأبا بكر، وأبا الفتح.

جعفر المصدق الحسيني يكنى: أبا الحسين، وأبا عبد الله، وأبا كرين.
الحسن بن مسعود اليونسي يكنى: أبا مسعود، وأبا الوفا، وأبا علي.
محمد بن أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني الشافعي يكنى: أبا المناقب، وأبا حامد، وأبا الفتح.
محمد بن المبارك بن عبد الرحمن بن علي بن عصية يكنى: أبا الرضى، وأبا الفضل، وأبا عبد الله.
خالد بن يزيد الأزدي العتكي البصري يكنى: أبا يزيد، وأبا حمزة، وأبا سلمة.
خلف بن حوشب الكوفي العابد يكنى: أبا يزيد، وأبا عبد الرحمن، وأبا مرزوق.
داود بن أبي هند يكنى: أبا بكر، وأبا محمد، وأبا أحمد.
سالم عبد الله بن عمر بن الخطاب يكنى: أبا عمر، وأبا عبد الله، وأبا عبيد الله.
حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري يكنى: أبا إبراهيم، وأبا عبد الرحمن، وأبا عثمان.
خالد بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان يكنى: أبا الهيثم، وأبا محمد، وأبا طوالة.
سهل بن أبي حشمة الخزرجي، يكنى: أبا عبد الرحمن، وأبا محمد، وأبا يحيى.
عثمان بن عمر بن فارس العبدي يكنى: أبا محمد، وأبا عدي، وأبا عبد الله.
عطاء بن مسلم الخراساني يكنى: أبا أيوب، وأبا عثمان، وأبا صالح.
كعب بن عجرة الأنصاري يكنى: أبا محمد، وأبا عبد الله، وأبا إسحاق.
هلال بن أبي حميد الجهني الكوفي يكنى: أبا عمر، وأبا أمية، وأبا الجهم.
واثلة بن الأسقع الليثي يكنى: أبا الأسقع، وأبا الخطاب، وأبا محمد.
يحيى بن يعمر البصري قاضي مرو يكنى: أبا سليمان، وأبا سعيد، وأبا عدي.
جارود بن المعلي العبدي يكنى: أبا المنذر، وأبا غياث، وأبا عتاب.
سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص يكنى: أبا عثمان، وأبا عنبسة، وأبا عبد الله.
سفيان بن حسين يكنى: أبا محمد، وأبا المؤمل، وأبا الحسن.
سليمان بن موسى الأموي مولاهم يكنى: أبا أيوب، وأبا الربيع، وأبا هشام.
سلام بن سلم الطويل يكنى: أبا سليمان، وأبا أيوب، وأبا عبد الله.
أنس بن سيرين يكنى أبا يونس، وأبا حمزة، وأبا عبد الله.
البراء بن عازب يكنى: أبا عمارة، وأبا عمرو، وأبا الطفيل.

المطلب الرابع عشر: في ذكر من تكنى بأربع كنى.

وهذا الباب أقل من الأولين، فمن ذلك سيدنا بلال الحبشي المؤذن رضي الله عنه يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الكريم، وأبا عبد الرحمن، وأبا عمرو، هكذا ذكره النووي في التهذيب.

علي زين العابدين يكنى: أبا الحسين، وأبا الحسن، وأبا محمد، وأبا عبد الله.

حسان بن ثابت يكنى: أبا عبد الرحمن، وأبا عبد الله، وأبا الحسام، وأبا الوليد. الأخيرة كان يكرهها.

خليد بن دعلدج السدوسي البصري يكنى: أبا حلبس، وأبا عبيد، وأبا عمر، وأبا عمرو.

زيد بن أرقم الخزرجي يكنى: أبا عمر، وأبا عامر، وأبا عمارة، وأبا أنيسة .

المطلب الخامس عشر: فيمن تكنى بخمس كنى .

وهذا أقل مما تقدم.

فمن ذلك القطب سيدي أحمد البدوي قدِّس سرُّه يكنى: أبا العباس وأبا الفرحات، وأبا الفراج، وأبا الفتيان، وأبا المكارم. الأخيرة خاطبه بها أحد الصالحين فتبسم لذلك مشيرًا برأسه الشريف بقوله: نعم.

المطلب السادس عشر: فيمن تكنى بست كنى.

قال عبد القادر بن رسلان في شرح البخاري أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي يكنى: أبا يحيى وأبا حضير وأبا عتيك، وأبا عيسى، وأبا عتيق، وأبا عمرو.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في ترجمة عقبة بن عامر بن عيسى الجهني ﷺ في كنيته سبع أقوال أشهرها أبو حماد، وهذا نهاية ما وقفنا عليه في كثرة الكنى.

المطلب السابع عشر: في المشتبه من الكنى.

وهذا باب غريب لم أرَ من تصدى لجمع شوارده وضم فوائده، وقد راجعت كتب الفن فوجدت منه جملة مستكثرة تستحق أن تفرد في رسالة مستقلة، وإنما أذكر هنا نزرًا من جُلٍّ، وقلا من كثر.

فمن ذلك أبو آمنة الفزاري صحابي روى عنه أبو جعفر الفراء، وأبو أُمَيَّة مصغرًا كنية ثلاثة من الصحابة القمري والمخزومي والقشيري.

أبو إياس كنية معاوية بن قرة بن هلال المزني البصري، وأبو أناس بالنون كغراب، كنية عبد الملك بن حوية إخباري مقل.

وأبو إناس بن علي بن حمزة الكناني ذكره خلف بن هشام البزاز في حكاية. أبو بُسر: (بالضم، وإهمال السين) كنية عبد الله بن الديلمي.

وأبو بشر (بالكسر وإعجام الشين) كنية جماعة منهم: جعفر بن إياس الواسطي، وعبد الواحد بن زياد، وجابر بن صبيح، وهاشم بن عبد الواحد، والوليد بن مسلم، وغير هؤلاء.

وأبو يَسَر: (بالياء التحتية وإهمال السين محركة) والد محمد الذي حكى عن أحمد بن حنبل.

أبو البشر كنية آدم عليه السلام.

وعبد الآخر الراوي عن عبد الجليل بن أبي سعد [المعدل].

وأيضًا كنية بهلوان بن شهرمزن اليزدي[1] رأيت خطه في آخر كتاب المصابيح، من خزانة المؤيد.

وأبو اليَسَر بـ(الياء التحتية، وإهمال السين محركة) كنية كعب بن عمرو بدري جليل.

أبو بصرة الغفاري له صحبة.

وأبو نضرة العبدي (بضم النون، وإعجام الضاد) محدث.

أبو جبيرة بالجيم والياء صحابي من بني صباح، و(بالباء الموحدة) والد عبد الله المدفون بالقرافة، و(بضم الخاء المعجمة والزاي) سلام بن أبي خبزة عن ثابت البناني، ومحمد بن الحسن بن أبي خبرة لقيه ابن جميع ، وأحمد بن عبد الرحيم بن أبي خبزة الأسدي شيخ لابن عقدة.

أبو الجشر (بالجيم والشين) خال بيهس الفزاري من بين أشجع، و(الحاء) مدلج بن خالد بن عبد مناف جد عتاب بن سلم بن قيس بن خالد أحد مسلمة الفتح.

أبو الجيش ابن خمارويه من أمراء مصر.

وعبد الصمد بن أبي الجيش مقرئ العراق،

و(بالخاء) حمزة بن الحسن بن أبي الخيش من شيوخ ابن عساكر،

---

(1) انظر: الميزان (72/2).

و(بكسر الخاء وفتح الياء)، أبو الخيش إسماعِيل بن عبد الملك الصالح بن العادل أبو حبة (بالباء) صحابي بدري.

وأبو جنة بالجيم والنون: خال ذي الرمة الشاعر اسمه حكيم بن عبيدة.

وأبو حية (بالهاء والياء)، كنية خالد بن علقمة، وأبو حية الوادعي عن علي، وأبو حية الكلبي عن ابن عمر، وأبو حية النميري شاعر، واسمه الهيثم بن الربيع، وأبو حية الفزاري شاعر فارس اسمه: ودعان بن محرز، وأبو حية الكندي شيخ لزياد بن عبد الله.

أبو الحزم (بالزاي): كنية خلف بن يحيى بن سعيد الدمشقي، وخلف بن محمد السرقسطي، وجهور بن إبراهيم التجيبي اللغوي.

وأبو الحرَم (الراء محركة): كنية رجب بن مذكور الأكاف، ورجب بن أبي بكر الحربي، ومحمد بن محمد بن محمد القلانسي.

أبو الحريف (بالحاء): كنية عبد الله بن ربيعة السوائي تابعي، (وبالخاء المعجمة) والد صعصعة المحدث.

أبو الحسن (محركة) معروف.

وأبو الحُسْن (بالضم) كنية طاوس بن أحمد المحدث.

أبو حُمْرة (بالضم) والد مالك الكوفي ووالد زياد اللخمي الفقيه من شيوخ الليث.

و(بالجيم المفتوحة) كنية نصر بن عمران الضبعي، وأبو بكر بن أبي جمرة الأندلسي راوي التيسير، وموسى بن عبد الملك بن مروان بن خطاب المرسي يعرف بابن أبي جمرة.

أبو الحوراء راوي حديث القنوت عن الحسن بن علي، و(بالجيم والزاي) كنية أوس بن عبد الله الربعي عن عائشة.

أبو الرجال (ككتاب) محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، و(بالهاء) (ككتاب): كنية خالد بن محمد صاحب أنس.

أبو الرجا: أحمد بن العباس الهاشمي. و(بالخاء): جد أحمد بن محمد المصري المقرئ.

أبو سلمى القباني عن عقبة بن عامر:

و(بالضم) كنية راعي رسول الله ﷺ مشهور بها.

وأيضًا كنية جد كعب بن زهير بابنة لَه، وكانت شاعرة أيضًا.

أبو السليل (كأمير) كنية موسى بن سليل بن رافع البحراني: وضريب بن يقرا، وعبيد الله بن إياد،

(وبضم الشين) المعجمة كنية رجل من بني كلاب شاعر.

أبو سحمة الباهلي راجز، و (بالشين المعجمة) كنية عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب الذي جلد.

أبو طَيْبَةَ الحجام له صحبة.

وأبو طيبة: عيسى بن سليمان بن دينار الجرجاني، و(بالظاء المشالة والموحدة) كنية رجل من التابعين روى عن أبي أمامة. أبو النجيب السهروردي معروف.

وأبو التجيب: (بضم التاء) روى عن ابن عمر.

أبو غياث: كنية طلق بن معاوية.

وأبو غباب بـ (الغين، والباء) كسحاب، جران العود الشاعر.

أبو حرب (محركة) محمد بن أحمد بن تميم القيرواني المؤرخ.

وأبو الغرب بـ (الغين وسكون الراء): كنية عوف بن نسيب، كان في أواخر دولة بني أمية.

أبو لاس الخزاعي بـ (السين المهملة). وأبو لاش بـ (الشين المعجمة) جد الليث ابن شجاع المحدث.

أبو مسلم الخراساني: داعية بني العباس، وأبو مسلم (كمعظم) كنية جرير المسلم المحدث.

أبو يحيى بـ (بالياء) كنية جماعة.

وأبو تحيى (بكسر التاء الفوقية) رجل من الأنصار له صحبة، ورجل آخر من التابعين يروي عن عثمان، ورجل آخر اسمه حكيم بن سعد يروي عن علي، ومعاوية بن أبي تحيى عن أبي هريرة.

أبو اليُمن بـ (الضم) كنية جماعة منهم محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي الشافعي الملقب بأربعة ألقاب: الشمس والبدر والنبيه والجمال. و(بالتحريك) كنية ابن أبي الشريف، ذكره عبد الغني. فهذا آخر ما أردنا بيانه من المشتبه في الكنى.

المطلب الثامن عشر: في ذكر كنى الملائكة الكرام عليهم السلام.

قال البدر العيني في شرح البخاري: إن سيدنا جبريل اسمه: عبد الجليل وكنيته: أبو الفتوح، وسيدنا ميكائيل اسمه: عبد الرزاق، وكنيته: أبو الغنايم. وسيدنا إسرافيل اسمه:

عبد الخالق أو الخلاق، وكنيته: أبو المنائح. وسيدنا عزرائيل اسمه عبد الجبار وكنيته: أبو يحيى. فمن هنا أخذت السادة الصوفية بالكنية انتهى.

وهو غريب ولغرابته نقلته هنا، ومرَّ أن جبريل عليه السلام يكنى أيضًا أبا البلاغ وأبا الأمانة؛ لتبليغه وحي الله تعالى إلى رسله، ولكونه أمينًا عليه، وتكنيته بأبي الفتوح ظاهر؛ فإنه سبب لفتح باب كل خير ينزل من السماء إلى الأرض، وكذا باقي الكنى تظهر أسرار مناسبتها بأدنى ملاحظة.

المطلب التاسع عشر: في كنى النساء.

وهذا باب واسع جدًّا وإنما نقتصر فيه على ما اشتهر: فمن ذلك خديجة رضي الله عنها كنيتها أم هانئ، كذا في شروح البخاري، قال بعضهم: ولو قيل إن كنيتها أم القاسم بابنها القاسم أكبر أولاده ﷺ منها لم يكن بعيدًا لكنها إنما كنيت بابنها هانئ؛ لكونه كان أكبر ولدها من غيره ﷺ، وهي كنية فاطمة بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنهما وقيل: اسمها هند، وقيل: فاطمة أسلمت يوم الفتح. وهي رضي الله عنها كنيتها أم أبيها كما جزم به المزي، والحافظ مغلطاي.

أم كلثوم: بنت النبي ﷺ اشتهرت بكنيتها، ولم يكن لها اسمٌ سواها كما في شروح البخاري، وهي أسنُّ من رقية وفاطمة، تزوجها عثمان بعد رقية. وهي أيضًا كنية بنت علي بن أبي طالب، وبنت العباس بن عبد المطلب.

وبنت أبي بكر الصديق عائشة رضي الله عنها كنيتها أم عبد الله بابن أختها أسماء زوجة الزبير بن العوام؛ لأنها استوهبته من والديه.

وفي فتح الباري ما نصه: لم تلد للنبي ﷺ شيئًا على الصواب، وسألته أن تكنى فقال النبي ﷺ: اكتني بابن أختك فاكتنت أم عبد الله[1].

وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة أنه كناها بذلك لما حضر إليه ابن الزبير ليحنكه، فقال هو: عبد الله وأنت أم عبد الله.

قالت: فلم أزل أكنى بها.

قال القسطلاني: وقوله من قال إنها أسقطت من النبي ﷺ سقطًا لم يثبت.

بركة الحبشية: مولاة رسول الله ﷺ كنيتها أم أيمن بابنها أيمن بن عبيد الحبشي،

---

(1) انظر: الفتح (107/7).

أسلم قديمًا مع أمه.

أم رومان: كنية أم عائشة رضي الله عنها، وهي ابنة عامر بن عويمر الكنانية، نزل النبي ﷺ في قبرها.

أم سلمة بنت أمية بنت المغيرة أم المؤمنين رضي الله عنها اسمها هند، وأبوها يعرف بزاد الركب.

أم سليم بنت ملحان الخزرجية والدة أنس، اختلف في اسمها على أقوال قيل سهلة أو رميلة أو رميثة، أو مليكة أو الرميصا، أو الغميصا.

أم عبد: والدة عبد الله بن مسعود، وهي بنت سود بن قويم بن صاهلة من المهاجرات.

أم الفضل: كنية لبابة بن الحارث امرأة العباس، وكنية العباس بن عبد المطلب، وكنية لبابة بنت أحمد بن أبي الفضل البغدادية.

أم معبد الخزاعية صاحبة الخيمتين: عاتكة بنت خالد.

أم ربيع: كنية كوكب بنت عبد الله. حدثت عن الحافظ تقي الدين بن فهد.

أم الكمال: كنية الحسنة بنت علي بن عثمان القرشية المخزومية عن شهدة الكاتبة.

أم الكرم: كنية فاطمة ابنة عبد القادر بن يحيى بن فهد، حدثت.

أم الكرام: زهراء بنت الحافظ عبد القادر الرهاوي حدثت.

أم الخير كنية صفية بنت عبد الجبار البغدادية، وفتوح بنت إبراهيم بن عثمان الشامية. وجمال النساء بنت أحمد بن أبي سعد البغدادية.

أم الحياء: زهرة بنت محمد بن أحمد الأنبارية، حدثت.

أم الفتيان: جهمة بنت [الفرج] بن علي الدمشقية.

أم الهدى: زينب بنت الخطيب محب الدين أحمد بن أبي القاسم النويرية المكية، حدثت.

أم الحُسْن: (بالضم) كنية فاطمة ابنة هلال، وكمال بنت الحافظ عبد الله بن أحمد السمرقندي، وكريمة بنت أحمد الأصبهانية، وفاطمة بنت علي الوقاياني.

أم عزي: كنية بيبي بنت عبد الصمد الهرثمية صاحبة الجزء[1].

(1) وقيل: كنيتها: أم الفضل أيضًا.

أم الصفا: كنية بنت السيد يوسف أبي الإرشاد ابن وفا، وهي والدة سيدنا وأستاذنا المشار إليه أدام الله فضله، وعين غيث بره ثره فض له. وأم الهنا: كنية أختها. وأم الفاخر، وأم المفاخر، وأم الود، وأم التوفيق، وأم الفضل: كنى نساء من أهل بيت الوفوي، رضي الله عنهم وعنا بهم آمين .

الموفي عشرون: في مفاريد الكنى باختلاف الأنواع والأجناس.

فمن ذلك كنى الطفيلية التي ذكرها الحريري في مقاماته، وهي:

أبو عمرة كنية الجوع؛ لأنه يعمر كل جوف، قيل لمدني: أتعرف أبا عمرة، قال: لا أعرفه. وقد يرتفع في كبدي.

وقال الراجز:

حَـلَّ أَبـو عَمـرَةَ وُسـطَ حُجرَتـي
وَحَـلَّ نَـسجُ العَنكَـبوتِ بُرمَتـي

أبو جامع: كنية الخوان، وهو المائدة للاجتماع حوله للأكل.

أبو نعيم: كنية الدرمك؛ لأنه أنعم الأخباز، وأصفاها.

أبو حبيب: كنية الجدي.

أبو ثقيف: كنية الخل؛ لأنه يثقف الطعام أي يحدقه فيطيبه للأكل.

أبو عون كنية الملح؛ لأنه يستعان به على أكل الطعام، وطعام بلا ملح لا يؤكل.

أبو جميل: كنية البقل؛ لأنه يحسن بحضرته الأدام، ويزينه.

أبو رزين: كنية الخبيص؛ لفضله في الطعام، ورجحانه.

أبو العلاء: كنية الفالوذج.

أبو إياس: كنية الفول.

أبو السرد: كنية البخور .

فهذه كنى الطفيلية، ومن المكني بالأب قولهم:

أبو الحارث كنية الأسد.

وأبو جعدة كنية الذئب.

أبو حصين كنية الثعلب.

أبو ضوطري الأحمق.

أبو حاجب النار.

أبو جخادب الجراد.

أبو براقش لطائر مرقش.

أبو قلمون: لثوب يتلون ألوانًا.

أبو دارس كنية الفرج من الدرس وهو الحيض، وقال ابن الأعرابي: يقال للشيخ الكبير الهرم: أبو زيد، وأبو سعيد، وأنشد قتيبة:

أعـارِ أبـو زيـدٍ يمينـي سـلاحهُ وحـدُّ سـلاحِ الدَّهـرِ للمـرءِ كـالمُ

أراد بسلاحه العصا، أبو مالك كنية الهرم، قال الشاعر:

أبَـا مالـكٍ إنَّ الغَوَانـي هَجَرْنَنـي أبَـا مالـكٍ إنـي أظـنُّكَ دَائِـيَا

ويقال للطعام: أبو الأضياف، قال العجير السلولي:

تَركنا أبا الأَضيافِ في لَيلَةِ الصَبا بِمـرٍّ وَمِـردى كُـلِّ خَـصمٍ يُجادِلُـه

وأنشد ثعلب:

فقـامَ أَبُـو ضَـيْفٍ كـريم كأنَّـه وقد جدَّ من حسنِ الفكاهةِ مازحُ

فسره، فقال: إنما قال أبو ضيف؛ لأنه يقري الضيفان، أبو مشفر كنية الوباء، أبو مرة كنية إبليس عليه اللعنة، أبو مثوى لرب المنزل .

ومن ذلك ما جاء في أسماء المواضع والقرى والجبال والبحار:

أبو خالد كنية البحر الذي غرق فيه فرعون وجنوده، وهو بحر القلزم، وجاء في التفسير أن موسى عليه السلام هو الذي كناه بذلك لما ضربه بعصاه، فانفلق بإذن الله تعالى، ذكر ذلك أبو سهل الهروي.

أبو محمد: اسم جبل في بحر القلزم.

أبو منجوج اسم لقرية بالبحيرة.

أبو هرميس قرية بجيزة مصر دفن فيها بنصر بن حام.

أبو قبيس: بلفظ التصغير اسم الجبل المشرف على مكة، سمي باسم رجل من مذحج كان يكنى كذلك؛ لأنه أول من بنى فيه. وقيل: بل كناه بذلك آدم عليه السلام لما اقتبس منه النار من مرختين نزلتا من السماء عليه فاحتكتا فاورتا نارًا. ذكره أبو المنذر هشام، وذكر عبد الملك بن هشام أنه سمي بأبي قبيس بن شالخ رجل من جرهم، قال ياقوت في معجمه:

وقد ضربت العرب المثل بقدم أبي قبيس، فقال عمرو بن حسان أحد بني الحارث بن همام، وذكر الملوك الماضية:

أَلا يَا أمَّ قيْسٍ لا تَلُومِي ... وابقى إنَّما ذا النَّاس هَامُ
أَجِدَّكَ هل رأَيتَ أَبا قُبَيْسٍ ... أَطالَ حياتَه النَّعَمُ الرُّكَامُ؟
وكسرى إذ تقسمه بنوه ... بأسياف كما اقتسم اللخام
تَمَخَّضَتِ المَنونُ لَهُ بِيَومٍ ... أَتى وَلِكُلِّ حامِلَةٍ تَمامُ

قلت: هكذا أنشد هذه الأبيات أبو محمد السيرافي لعمرو بن حسان، ويروى لسهم بن خالد بن عبد الله الشيباني، وأيضًا لخالد بن حق الشيباني، أنشدها لهما على الشك:

أبو عبد الله المرزباني في كتاب الشعراء في ترجمتهما كذا في العباب، وأما استدلال ياقوت أن المراد بأبي قبيس في الشعر المذكور هو الجبل فهو خطأ، وإنما أراد به أبا قابوس النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ملك العرب كما هو في أول كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، ويدل ذلك أن الأزهري زاد في تركيب (ط و ق) بعد البيت الثاني ما نصه:

بَنى بالغَمْرِ أَرْعَنَ مُشْمَخِرّاً ... يُغَنِّي في طَوائِقه الحَمامُ

وقال النابغة:

نبِّئْتُ أَنَّ أَبا قابُوس أَوْعَدَنِي ... ولا قَرارَ على زَأْرٍ من الأَسَدِ

وشاهد التصغير للضرورة قوله أيضًا يخاطب يزيد بن الصعق:

فَإِن يَقدِر عَلَيكَ أَبو قُبَيسٍ ... تَمَطَّ بِكَ المَعيشَةُ في هَوانِ

فتأمل ذلك !.

فائدة مهمة: قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب المجمل:

سئل أبو حنيفة عن رجل ضرب رجلاً بحجر فقتله، هل يقاد به، فقال لا، ولو ضربه بأبي قبيس، قال فزعم بعضهم أن أبا حنيفة لحن، قال: وليس هذا بلحن عندنا؛ لأن هذا الاسم تجريه العرب مرة بالإعراب فيقولون جاءني أبو فلان، ومررت بأبي فلان، ورأيت أبا فلان، ومرة يخرجونه مخرج قفا وعصا، ويرونه اسمًا مقصورًا، فيقولون جاءني أبا فلان، ورأيت أبا فلان، ومررت بأبا فلان، ويقولون هذه يدا ورأيت

يدا، ومررت بيدا على هذا المذهب، وأنشدني أبي رحمه الله تعالى:

يـا رُبَّ سـاري سَـار مَـا توسَّـدَا … إلا ذِرَاعَ العِـيْسِ أوْ كـفَّ الـيَدَا

قال: وأنشدنا علي بن إبراهيم القطان، أنشدنا أحمد بن ثعلب، أنشدنا الزبير بن أبي بكر بعض الأعراب:

ألا بِأَبَا ليلى على النـاي والعـدى … وما كان مِنْها من نوالٍ وإنْ قلا

انتهى. قلت وأنشد يعقوب

تقولُ ابنتي لما رأت وَشْكَ رِحْلَتِي … كأنَّـك فِيْـنَا يـا أبـاتِ غَـرِيْبُ

قال: أراد يا أبتاه، فقدم الألف وأخر التاء، ذكره ابن سيده والجوهري، قال ابن بري: الصحيح أنه رد لام الكلمة الهاء لضرورة الشعر كما رد الآخر لام دم في قوله :

فـإذا هـي بعظـامٍ ودَمَـا

وكما رد الآخر إلى يد لامها في قوله:

إلا ذراعَ البِكْـرِ أو كـفَّ الـيدا

قال ياقوت: ويمكن أن يقال هذه اللغة محمولة على الأصل أن أبو أصله، أَبَو، كما أن عصا وقفا في الأصل عصو، قفو، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبوها ألفًا بعد إسكانها إضعافًا لها ، وأنشدوا على هذه اللغة:

إنَّ أباهـا وأبـا أباهـا … قـد بلغـا فـي المجـدِ غايـتاها

وقالت امرأة ترثي ولدين لها:

لَقَـد زَعَمـوا أنّـي جَـزعتُ عَلـيهما … وَهَـل جـزعٌ إن قلـت وابِأباهمـا

هُما أخوا في الحربِ مَن لا أخاً له … إذا خـافَ يـوماً نـبوةً فـدعاهما

قال فهذا احتجاج لأبي حنيفة إن كان قصد هذه اللغة الشاذة الغريبة، قلت هذه المرأة هي درنا بنت سيار بن صبرة ترثي أخويها، ويقال لعمرة الخيثمية تريد وا بأبي، قال ابن بري ويروى بيَبَاهما على إبدال الهمزة ياء لانكسار ما قبلها، وموضع الجار والمجرور رفع على خبر هل، ويدلك على ذلك قول الآخر: يا بأبي

يـا بِأَبِـي أنـتَ، ويـا فَـوْقَ البـيَبْ

قال أبو علي، الياء في البيب مبدلة من همزة بدلا لأزمان، ومن أراد الزيادة على ذلك فليراجع في شرحنا على القاموس.

الخاتمة: في ذكر مفاريد الكنى ذات إعلام لبعض العلماء الكرام والأولياء الفخام:

(مرتبة على حروف الإعجام).

(أ): **أبو الإحسان:** كنية سيدي محمد بن محمد بن عمر بن ناصر الدرعي، وأيضًا كنية محمد بن أبي بكر بن محمد بن سعيد بن أحمد الدلائي المتوفى سنة 1046.

أبو الإخلاص: كنية الصدر محمد بن أحمد بن محمد الزبيري الإسكندري المالكي، عرف بابن التنيسي، وأيضًا كنية الشيخ حسن بن عمار بالشرنبلالي الحفني.

أبو الإرشاد: كنية أبي الحسن علي ابن الزين الأجهوري المالكي.

أبو الأسرار: كنية الشيخ حسن بن علي بن يحيى العجيمي الحنفي المالكي، وأيضًا كنية السيد محمد نجل حضرة سيدنا وأستاذنا المشار إليه.

أبو الأشبال: كنية الحارث بن مهلب بن الحسن المهلبي البهنسي، ذكره المنذري.

أبو الإصلاح: كنية السيد حسين بن شرف الدين الثوري المقدسي، سبط السيد محب الدين الحسني.

أبو الإقبال: كنية القطب أحمد بن محمد بن محمد بن عمر بن ناصر الدرعي.

أبو الإمداد: كنية شرف الدين يحيى بن عبد الرحمن الشعراني، حج خمسًا وخمسين مرة، وتولى السجادة إحدى وخمسين عامًا، وهي أيضًا كنية البرهان إبراهيم اللقاني، وكنية عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي الحسن المليجي.

أبو الأولياء: كنية الشريف أبي القاسم بن علي الحسني صاحب الضِحي لقرية بتهامة اليمن مشهورة.

أبو الأيادي: كنية الشمس محمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد بن روزيه الكازروني المدني الشافعي .

(ب) **أبو البخت** :كنية مبارك بن علي التارختي المصمودي شيخ أبي المحاسن الفاسي.

أبو البقاء: كنية عبد الله بن الحسين العكبري، وكنية حفيده عبد الله بن الحسن النحوي. وكنية خالد بن يوسف النابلسي من شيوخ النووي، وكنية محمد بن أحمد العمري الصاغاني الحنفي المكي، وكنية الكمال محمد بن موسى بن عيسى الدميري مؤلف حياة الحيوان، وكنية محمد بن جعفر بن عبد الرحيم القنائي الحسيني، وكنية الحافظ محمد بن حمزة الدمشقي الحسيني، وكنية حمدون بن محمد الأبار.

أبو البشاير: كنية هاشم بن تميم بن زيد الحسيني، وإبراهيم بن جعفر بن هبة الله الحسيني، ذكره البيهقي .

أبو البشارة: كنية إبراهيم بن محمد بن جعفر بن محمد الحسيني العريضي .

(ت) أبو تمام: كنية الحسن بن عقيل بن عبد الله الحسيني، وعبد الكريم بن أحمد بن أحمد بن عبد الواحد العباسي .

(ج) أبو جابر: كنية علي بن عامر بن حسن الوفائي خال شيخنا الملوي رحمه الله تعالى.

أبو جمعة: كنية سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي المراكشي أحد شيوخ المقري .

أبو الجمال: كنية محمد بن عبد الكريم الجزائري الحسني المعمر المتوفي 1102، ويوسف بن محمد بن مولاي علي الشريف الحسني جد ملوك الغرب الآن.

أبو جميل: كنية حسان بن جعفر بن موسى الجعفري جد الحمايلة بإسنا .

أبو الجود: كنية حاتم بن المسلم بن أبي العرب الحارثي المصري المقري، والمحب محمد بن عبد الكريم بن داود بن سليمان الحسيني المقدسي الوفائي، وداود بن سليمان حسن النبيتي القرضي القاهري، وعبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الفوي المكي الحنفي، وغياث بن فارس المقري، ومحمد بن عمر بن محمد بن موسى القاهري الحفني

(ح) أبو حامد: كنية الإمام الإسفرايني، والإمام الغزالي، وحفيد السبكي، ومحمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي، والجمال بن ظهيرة، وعبد الله بن محمد بن محمد الحسني الإيجي، وعبد الله بن علي بن عبد الملك العجمي، وعبد العزيز بن علي بن عمر بن محمد السعدي القرشي، وعبد الله بن مسلم بن ثابت النحاس، وأحمد بن محمد بن عبد الله الأبهري، [...[1]] بن أحمد بن محمد بن علي البغدادي، ومحمد بن عبد الجليل عرف بكوتاه، وأحمد بن عبد الرحيم بن محمد القلقشندي المقدسي الخطيب، والرضى محمد بن أحمد العمري الصاغاني المكي الحنفي، والتاج محمد بن بهادر بن عبد الله الجلالي الدمشقي الشافعي، وأحمد بن إبراهيم بن محمد

(1) ما بين [ ] كلمة غير واضحة بالأصل.

الحنفي النيسابوري، ومحمد بن هارون الحضرمي، وأحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر الهمداني، وشيخ مشايخنا محمد بن محمد بن محمد البديري الحسيني الدمياطي الشهير بابن الميت .

أبو الحلم: كنية محمد بن أحمد الأندلسي المتوفى سنة 1050 .

(خ) أبو الخير: كنية محمد بن أحمد بن عبد الله الصغاني ،والمفضل بن محمد بن طاهر ابن سلة، ومحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي، ومحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة المخزومي، ومحمد بن عبد الله الأرميوني الحسني المالكي، والقطب محمد بن محمد الخضيري، والشمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي، وعبد الحق ابن عبد القادر الأبرقوهي جد أبي الفتوح الطاوسي، وغير هؤلاء، وفيهم كثرة .

(ذ) أبو الذخائر: كنية محمد بن قاسم الغرناطي المعروف بالقصار من شيوخ عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي.

(ر) أبو راجي: كنية سيدي عبد الباقي بن يوسف الزرقاني .

أبو الرضا: كنية علي بن عبيد الله الراوندي الحسني، ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي شارح التسهيل .

(ز) أبو زوين: كنية الشريف ثابت بن أبي عنان الحسني الإدريسي .

(س) أبو سالم: كنية سفيان بن هاني الجيتاني، أول من سكن بفوة من التابعين، والشريف علي بن زهرة الحسيني، والشريف محمد بن محمد الحراني الحسيني، وعبد الله بن أبي بكر العياشي.

أبو سعد: كنية الحسن بن علي بن قتادة الحسني الأمير بمكة.

أبو سريع: كنية الشريف عجلان بن رميثة الحسني المكي.

أبو سند: كنية الشريف حجاز بن شيحة الحسيني أمير المدينة.

أبو السر: كنية مكتوم بن أحمد بن محمد القيسي السويدي الشافعي.

أبو السرور: كنية محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسني الفاسي، ومحمد بن محمد أبيض الوجه البكري، ومحمد بن أبي المحاسن الفاسي.

(ش) أبو شاكر: كنية يحيى بن يوسف بن أحمد السفلاطوني المحدث.

أبو شامة: كنية محمد بن محمد بن يوسف بن إبراهيم الأنصاري الدمشقي

الشافعي.

أبو الشفا: كنية محمد بن أحمد بن محمد بن علي المقري المالكي، عرف بابن الفران.

(ص) **أبو الصفا:** كنية خليل بن سلمة المقابوني الدمشقي ،والصاحب غرس الدين خليل بن شاهين الشيخي الصوفي الحنفي، ومحمد بن مصطفى بن يوسف النسيمي بحلب.

أبو الصلاح: كنية عبد الحليم بن يحيى الشعراني. وأحمد بن محمد الهشتوكي، ومحمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي.

(ض) **أبو الضياء:** كنية عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني القطب، وكنية النور على الشبراملسي، ومحمد بن أحمد ميارة الأندلسي، وسيدنا الشريف العلامة حسين بن عبد الرحمن المنزلي الخطيب بجامع جديه رضي الله عنهما وعنا بهم آمين.

(ع) **أبو عون:** كنية حصيف بن عبد الرحمن الجزري، وإدريس بن حسن بن أبي نمى الحسني المالكي.

أبو العزايم: كنية الشيخ سلطان بن أحمد بن سلامة المزاحي الأزهري، وماضي بن سلطان خادم الشاذلي.

أبو العزم: كنية محمد بن محمد بن يوسف الحلاوي القدسي مشهور بكنيته، وعبد الرحمن بن عياد المجذوب الدكالي .

أبو العرفان: كنية الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني المدني .

أبو العباس: كنية جماعة من المتقدمين والمتأخرين حتى صارت لبعضهم أسماء:

منهم: الإمام الشرف البوني، وأحمد بن عمر المرسي، وأحمد بن سليمان القادري الزاهد بمصر، وولد تلميذه الإمام محمد الغمري، وأحمد بن أحمد بن حمزة الرملي، وأحمد بن يوسف [الحريشي] بدمياط.

أبو العطا: كنية الشيخ نظام الدين الخالدي الجشتي الشهير بشيخ نظام الأولياء، وسيدي فتح بن عبد الله الأسمر بدمياط ،والنجم محمد بن محمد بن محمد القطوري الشافعي، عرف بابن النبيه .

أبو عقال: كنية هلال بن زيد، روى عن أنس ودفن بعسقلان، ورئيس المجاذيب

غلبون بن الحسن بن الأغلبي التميمي القيرواني، مات في سجوده سنة 291.

أبو عنقا: كنية الشريف موسى بن مطاعن الحسيني المدني.

أبو عزيز: كنية الشريف قتادة بن إدريس الحسني جد ملوك مكة.

أبو عالي: كنية الشريف الحسن بن علي بن قتادة الحسني المكي.

أبو عرادة: كنية الشريف رميثة بن محمد بن قتادة الحسني الأمير .

أبو العز: كنية عبد المغيث بن زهير الحربي المحدث، ومظفر بن عقيل بن حمزة الشيباني الدمشقي، ويوسف بن محمد بن علي بن سعد الموصلي، ومحمد بن محمد بن مواهب الخراساني، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأشتري الحسني، والشهاب أحمد بن أحمد بن محمد العجمي الوفائي.

أبو عنان: كنية الشريف أحمد بن الحسن بن علي الإدريسي الحسني .

(غ) أبو الغيث: كنية سعيد بن سليمان بن جميل قطب اليمن المدفون بأبيات عطاء، ومحمد بن عبد القادر الشيباني المكي عرف بابن زبرق، ومحمد بن أحمد بن عبد الله الحسني المصري .

أبو الغنايم :كنية المعمر بن أحمد بن محمد الحسيني، وحفيده النقيب الطاهر ذي المناقب المعمر بن محمد بن المعمر: لقبه القائم العباسي بذلك. ومحمد بن محمد بن أحمد بن المهتدي بالله العباسي المحدث، ومحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين النجفي، وزيد بن علي بن أسامة ابن عدنان الحسيني.

أبو غانم: كنية منصور بن جماز الحسيني أمير المدينة

(ف) أبو الفضل: كنية جماعة من المتقدمين والمتأخرين منهم القاضي عياض، والزين العراقي، والحافظ ابن حجر، والجلال عبد الرحمن بن أبي بكر الأسيوطي، والشمس محمد ابن علي بن محمد القوصي القاهري، عرف بابن الفالابي، ومحمد بن يوسف بن علي الغزنوي، وعبد المجيد بن الحسين بن يوسف بن دليل، وعبد الملك بن محمد بن علي الهمداني، واسفنديار بن الموفق البوشنجي، وداود بن رستم بن محمد الحراني، ومحمد بن أحمد بن محمد بن أيوب الدمشقي.

أبو الفضائل: كنية عتيق بن الحسن بن عتيق بن رشيق المالكي، وعبد الرزاق بن عبد الوهاب بن سكينة شيخ الشيوخ، وعثمان بن حسن بن بهرام بن بديل الشافعي القاهري، وجعفر بن أحمد بن عبد الرحيم الإسكندري، ومحمد بن محمد بن عبد

الكريم القزويني، ومحمد بن محمد المرشدي المكي، وسعد الله بن الحسن بن محمد الحسني ، وعبد الحق بن محمد السنباطي.

أبو الفايز: كنية محمد بن محمد بن عبد المتكبر بن المهتدي العباسي.

أبو فارس: كنية عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي.

أبو الفخر: كنية الحسن بن زيد بن الحسين بن علي الجعفري، وعبد الرحمن بن نجم ابن طولون المراغي، وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهلالي الإسكندري.

أبو الفهم: كنية عبد الوهاب بن عبد الله بن علي الأنصاري الدمشقي، وعبد الرحمن بن عبد العزيز بن أبي الفخار الدمشقي.

أبو الفتوح: كنية داود بن معمر بن عبد الواحد القرشي الأصبهاني، ومحمد بن أحمد بن الصابوني، ومسعود بن عبد الله بن عبد الكريم الدقاق، ومحمد بن محمد بن محمد البكري، ومحمد بن علي بن ظافر التغلبي، وناصر بن الحسن الزيدي الخطيب بمصر، وأحمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، والمجد أبي بكر بن إسماعيل الزنكلوني شارح التنبيه، والنظام مسعود بن إبراهيم بن محمد الكرماني الحنفي، والشريف داعي بن إسماعيل الحسني الأصبهاني، ومرتضى بن أحمد بن محمد الحسيني نقيب حلب، والليث بن شجاع بن مسعود البغدادي، ونصر بن عبد الله بن هلال الشاعر عرف بابن قلاقس، والحسن بن جعفر بن محمد الحسني، والدلامير شكر أمير مكة، وعبد القادر بن عبد الحق الطاوسي، وحفيده أحمد بن عبد الله، وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وسيف الدين بن عطاء الله الوفائي الفضالي المقري الشافعي البصير شيخ القراء بمصر.

أبو فليتة: كنية الشريف قاسم بن محمد بن جعفر الحسني أمير مكة، والشريف قاسم ابن مهنا الحسيني أمير المدينة.

أبو الفنا: كنية مسعود الشراط الملامتي المتوفى سنة 1030 بمراكش.

أبو الفيض: كنية ذي النون ثوبان بن إبراهيم المصري الزاهد، روى عن مالك، مات بالجيزة سنة 246، وحمل في المركب ودفن في مقابر المعافر.

وأيضًا كنية بحر بن عبد الله بن بحر البوني المروزي الأديب صاحب سليمان بن معبد السنجي، وموسى بن أيوب الشامي من شيوخ شعبة، ورجل تابعي روى عن أبي ذر، وعنه منصور بن المعتمر، ومحمد بن علي بن عبد الله الشغري المصري المالكي

الوفائي، أحد الجوالين في الدنيا بإشارة منهﷺ ولد سنة 785، بضواحي دمشق، وانتقل مع أبيه إلى القاهرة، وحضر عند الزين العراقي، [.....] والحافظ ابن حجر، وجال في أقطار الأرض، لقيه السخاوي والبقاعي سنة 848، وسمعا منه المسلسل وغيره. وأيضًا كنية عبد الرحمن ابن يوسف بن محمد بن علي بن سيف الدين بن إبراهيم بن موسى بن سيف الدين الأجهوري الشافعي، أخذ عن الشوبري، والبابلي والمزاحي وعبد النور الشهاوي، توفي سنة 1096، وجده الأعلى سيف الدين ممن أخذ عن القطب الدسوقي.

(ق) أبو القبايل: كنية عشير بن علي بن محمد بالمزارع الجبلي المحدث.

أبو قرط: كنية جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن المثنى بالكوفة.

(ك) أبو الكرم: كنية محمد بن عبد الواحد بن أحمد العباسي من ولد المهتدي بالله، والجلال عبد الله بن عبد القادر الطاوسي والد أبي الفتوح.

أبو الكرام: كنية عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار.

(ل) أبو الليل: كنية موسى بن علي بن موسى بن أحمد الحسني جد الليول بالحجاز.

أبو اللطف: كنية نسيم الدين عبد الغني بن أبي بكر بن عبد الغني المرشدي المكي الحنفي.

(م) أبو المجد: كنية الحسن بن حفص الصفراوي، وحفيده علي بن عبد الله، وكرم بن علي بن عمر الدينوري، ومحمود بن نصر بن الشعار، والفضل بن الحسن بن إبراهيم البانياسي، وفاضل بن علي بن عبد العزيز السيوري، وعبد المجيد بن إسماعيل بن أحمد بن دوست البغدادي، ووالد سيدي إبراهيم الدسوقي، اسمه عبد العزيز، ووالد سيدي محمد المرشدي صاحب الكرامات.

أبو المحاسن: كنية عبد الرحمن بن الحسن بن زهرة الحسيني، حدث بدمشق. والحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن الحسن الحسيني الدمشقي. ومحمد بن إبراهيم بن أحمد المرشدي المكي الحنفي، ومحمد بن محمد بن إبراهيم بن ظهيرة القرشي المخزومي، والمشرف بن المؤيد بن علي الهمداني، ومحمد بن هبة الله بن عبد العزيز البغدادي القرشي، ويوسف بن رافع الموصلي، ويوسف بن شداد الحلبي شيخ صلاح الدين يوسف بن أيوب وعبد الكريم بن عبد الواحد بن إبراهيم البغدادي،

وعمر بن أبي القاسم بن إسماعيل بن أحمد بن دوست البغدادي، ويوسف بن محمد بن الفاسي، وعبد السلام بن محمد الحراني، والحسين بن عبد الرحمن العراقي، والد الزين، ويوسف بن محمد بن معالي الزعيفراني، ويعقوب بن المتوكل على الله محمد العباسي القاهري، ومحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد العمري الصاغاني المكي الحنفي، وتاج العارفين محمد بن محمد بن يحيى المناوي الشافعي، والجمال يوسف بن عبد الله العجمي نزيل مصر، والقوام عبد الله بن محمود بن نجم الشيرازي، ونصر بن المظفر بن الحسين البرمكي، وهادي بن إسماعيل الحسيني الأصبهاني، والشريف فضل الله بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي الحسني.

أبو المحامد: كنية محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري الحنفي المعروف بالحصيري، ومحمد بن سعيد بن مسعود بن محمد الكازروني الشافعي، وعبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد الفوي المكي الحنفي.

أبو مدين: كنية شعيب بن الحسن الأنصاري الأندلسي المعروف بالغوث، ومحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن منصور الباز الأشهب.

أبو المراحم: كنية السيد وجيه الدين عبد الرحمن بن مصطفى العبدروسي نفع الله به .

أبو المسك: كنية غالي بن عبد العزيز البلبيسي المحدث.

أبو المشاهد: كنية عبد الرحمن بن القطب الشعراني، جلس على سجادة والده ثلاثًا وثلاثين سنة، وتوفي سنة 1011.

أبو المعارف: كنية عبد الرحمن بن محمد الفاسي.

أبو مفلح: كنية خليل بن إبراهيم اللقاني، وصاحبنا أحمد بن أحمد بن أحمد بن أبي العز العجمي كاتب الكنى عند حضرة الأستاذ المشار إليه كأبيه وجده.

أبو المفاخر: كنية العز محمد بن أحمد بن محمد القرشي العقيلي النويري المكي، والجمال محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري الحسيني المكي، وعبد القادر بن عبد الحي بن ظهيرة، وأحمد بن محمد المقري، المتوفى بدمشق سنة 1041.

أبو المكارم: كنية الإمام الليث، وعبد الخالق بن أحمد بن عبد الواحد الشافعي، والشريف عز الدين حمزة بن علي بن زهرة الحسيني فقيه الإمامية بحلب، ومحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي، والشريف أحمد بن محمد بن عيسى السلاوي.

أبو المناقب: كنية الشريف محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز ،وقاضي القضاة موسى بن إبراهيم بن إسماعيل القلقشندي المقدسي، والكمال أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الأسيوطي، والد الجلال.

أبو المواهب: كنية الحسن بن هبة الله بن صصرى الحافظ، وعبد الرحمن بن محمد الكازروني المدني، وأبي بكر بن سالم بن أحمد الحسيني المكي، ومحمد بن محمد أبيض الوجه البكري، وابن ابن أخيه محمد بن محمد بن محمد، وعلي بن محمد بن محمد الحراني الحسيني، جد بني زهرة بحلب، وأحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي.

(ن) أبو النور: كنية ثعلب بن يعقوب بن مسلم الجعفري فخر العرب، وإبراهيم بن علي الزرهوني الملامتي المتوفى سنة 926 .

أبو النوال: كنية محمد بن محمد بن ناصر الدرعي.

أبو النعما: كنية رزق الله بن مخير الصعيدي.

أبو النما: كنية زيادة بن عمران بن زيادة المقري الضرير المالكي القاهري.

أبو النضر: كنية السلطان المؤيد شيخ المحمودي، ومحمد بن محمد الطبلاوي، ومحمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، ومحمد بن عيسى الفراهي مؤلف نصاب الصبيان.

أبو النجا: كنية سالم بن علي الأندلسي نزيل فوه، وسالم بن محمد السفهوري المالكي، والجمال محمد بن محمد بن أحمد العمري الصاغاني المكي، والجمال محمد بن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن مبارز الزبيدي.

أبو النجاح: محمد بن أحمد بن يحيى الصالحي نزيل القاهرة.

(و) أبو الوفا: كنية محمد تاج العارفين الحسيني الكردي، أحد شيوخ العراق، ومن ولده شمس الدين أبو الوفا محمد بن داود بن عبد الحافظ الحسيني المقدسي، وابن ابن أخيه تاج الدين أبو الوفا محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن داود.

وهي أيضًا كنية أحمد بن سليمان بن داود الأمير الحسني بالصفرا، ومحمد بن علي بن أحمد الكبريت الأحمر الحسيني بحلب، ومحمد بن محمد بن أحمد بن موسى الغزي الشافعي، وبديل بن أبي القاسم بن بديل النحوي المحدث، وصابر بن عبد الله بن نصر المقدسي المصري، عرف بابن الأنجب، وراجح بن إسماعيل بن أبي

القاسم الأسدي الحنبلي الشاعر، ومحمود بن إبراهيم بن سفيان ابن إبراهيم بن مندة الأصبهاني، وعوض بن محمود بن صاف بن علي البوشي المالكي، وفضايل بن علي ابن عبد الله الأرسوفي الفقيه، وأحمد بن محمد بن العجل اليماني المعمر، والشمس محمد بن القاسم القادري الحسني، ومصطفى بن يوسف النسيمي بحلب، والجمال محمد بن أحمد العمري المكي، ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم القاهري الحنفي.

أبو الود: كنية أحمد الأحمدي الوفائي المتوفى سنة 1116.

أبو الوحش: كنية ثعلب بن حديد بن سليمان بن قاسم المقري الضرير المصري، وبري بن عبد الجبار المقدسي الشافعي.

(هـ)أبو هاشم: كنية داود بن القاسم بن عبد الله الحسيني أمير المدينة، وحفيده مالك بن منيف، ومحمد بن زيد بن علي الحسيني نقيب كرمان، ومحمد بن الحسين بن محمد الحسني أمير مكة، وحفيده محمد بن عبد الله جد الهواشم، ومحمد بن عبد الله بن محمد الأشتري الحسني، ومحمد بن عبيد الله بن علي الحسني، ومحمد بن جعفر بن عيسى غفارة الحسيني، ومحمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني، والحسن بن أحمد بن علي الحسيني.

أبو هادي: كنية إسماعيل بن الحسين بن علي الحسني الأصبهاني، وزين العابدين بن شيخ الإسلام، والسيد العلامة محمد بن المرحوم شيخ الشيوخ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الجوهري الخالدي الشافعي المعروف بالصغير.

(ي) أبو يزيد: كنية عثمان بن أبي بكر بن عبد الله الطوخي الشافعي الأزهري، والشمس محمد بن أحمد بن محمد بن هلال يعرف بالركن الأردبيلي الشافعي، نزيل مصر، وهو بكنيته أشهر.

أبو يعلي: كنية حمزة بن الحسين بن محمد الحسني، وحمزة بن أحمد بن الحسين الحسيني الأنطاكي، وحمزة بن محمد بن حمزة الحسيني القزويني، وحفيده حمزة بن محمد، ذكره الخليلي في الإرشاد، وأحمد بن عيسى بن عبد الودود العباسي الخطيب، والأمير عضد الدين محمد بن المجتبي بن المرتضي الحسيني العريضي، وزيد بن فخر الدين بن علي الحسيني، وحمزة بن زيد بن حمزة الحسيني.

إلى هنا انتهى بنا ما أردنا جمعه وتيسر لنا وضعه في حصر حدود الكنى وما يتعلق بها في اللفظ والمعنى، ولم آلُ جهدًا في التصحيح والضبط والإتقان والمراجعة لما

تيسر من الأصول في هذا الزمان، ولا أدعي أنني لم أغلط، ولا أشمخ بأنني لم أكُ في عشواء أخبط، والمقر بذنبه يسأل الصفح، فإن أصبت فهو بتوفيق الله، وإن أخطأت فمن عوائد البشر. وربما استصغر بعض الناظرين هذه الغاية وهي كبيرة، واستقلها وهي لعمر الله كثيرة.

وأما الاستيعاب فأمر لا يفي به طوال الأعمار، ويحول دونه مانعا العجز والبوار، وخير الأمور أوساطها.

وأنا أسأل الله العظيم ألا يحرمنا ثواب التعب فيه، ولا يكلنا إلى أنفسنا فيما نعمله وننويه، بمحمد وآله الطيبين الطاهرين، صلى الله عليه وعليهم أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.. آمين.

ووقع الفراغ من تسويد هذه الأحرف عند أذان ظهر يوم الأربعاء سادس عشر رمضان المعظم من شهور 1187، أرانا الله خيرها وكفانا ضرها.

قال بفمه وقلمه العبد المفتقر إلى عفو الله ولطفه ومنِّه وإحسانه:

أبو الفيض محمد مرتضي الحسيني نسبًا الوفائي مشربًا تابع السادات رضي الله عنهم وعنا بهم آمين.

وكان الفراغ من نقلها من نسخة بخط مؤلفها في يوم الإثنين ثاني يوم من ربيع الأول سنة 1317، بقلم الفقير إليه تعالى محمد أبي النصر بن يوسف السيد يوسف هاشم الجعفري النابلسي.

* * *

نفائس العرفان
من أنفاس الرحمن

تأليف

سيدي محمد بن محمد وفا الكبير

المتوفى سنة ٧٦٥هـ

تحقيقه وتخريجه وتعليقه

أحمد فريد المزيدي

نماذج من صور المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وآله الحمد لله نافخ أرواح العلوم الإلهية في صور أنوار الفهوم اللدنية ومؤيدها
بتصحيح أذواق العقل القناف لك رقاق العينية المطلع في آفاق قلوب خواصه
شموس أنوار المعارف الربانية المطلع بصيرة بصائرهم بقوة بيان الاستبصار
على مكنون أسراره الخفية أحمده على ما منحنا بالأنفس الواصفة المرضية وأيدنا
باهتمام الهمم العلية وحشرنا في قوالب القلوب الذين هم خير البرية وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أبرأها من تحليل العلل الخفية والجلية وأنشط
بها من عقال التعقلات الوهمية والظنية وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم
عبده ورسوله إمام الأئمة وحامي حوزة الخطاب الإلهية المخصوص
بخصائص الخصوصيات الخفية والحقيقية صلى الله عليه وعلى آله أفضل علماء
الأعلام الملية وأصدق أتباع الرسل في تصحيح التبعية وسلم تسليما كثيرا
وبعد فهذه علوم لا يعلمها علما السير والوقوف ولا يكتنفها مكتنف
المنكر والمعروف ولا تدل عليها أشكال الحروف ولا تتخلل ولا تتعلق
بأرواح الظروف برزت من غيابة الغيب الذي لا يشعر به الغير ولا تنتهي إليه
نهاية السير وإنما هي إشارات وتلويح لا عبارات وتصريح فمن كان صدق يقينا
لله غايتنا جبروت العبد الأواه فليدخل من أبواب جنانها ويخض في حظائر

صورة الصفحة الأولى من النفائس

حضراتها، وبقتطف من انواع زهراتها، وبقتبس من افنان ثمراتها، وتقتنص
من ابكار حور لمحاتها، وتبسر ان تلحظه اعين تلك لعين بلحظاتها، وتنكشف
عنه لمة احكام الفكر فيجد ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر، ومن كان مورطا في ورطات الاوضاع جامدا على عوايد الطباع منقيدا
في العقول والسماع فلن يطمس ابدا في كشف القناع، فليرد العلم لاهله ويتبرا
من سوء ظنه، فان الحقايق من وراء وهمه، ومدارك العلوم اللدنية فوق
فهمه، وعليك ايها المطلع بتعظيم الامر وحفظ السر واصانة الذكر وتيسير
العسر واجتناب عترة العترة فانهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في
ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا، وانه لما برغت شموس الاحسان من مطلع مشارق
البيان، وتدفقت ابحر لطايف الامتنان وعبر لسان الكلمات باشارات
كل من عليها فان، وانقشعت جواهر فلك بد الوجوب والامكان، سميتها بنفايس
العرفان من انفاس الرحمن، وجعلت ذلك اشارة لفطن الاذهان، وتذكرة
لحقايق الانسان، وتنبيها لكل ذي بصيرة وسنان، والله المسول بسره المصون
واسمه المكنون، واجره المخزون، ان يسهل البلاغ الى فهم الفهيم، وييسر العسير
انه عليم العليم بفضل بسم الله الرحمن الرحيم، نفايس العرفان من انفاس الرحمن
نفس ايام الله من وجه التحقيق هي تجليات شموس خطابات الربانية
ومشارق انوار معرفته الالهية فان اليوم لغة عبارة من طلوع الشمس الى غروبها
والمراد به النور بدلا من ظلمة الليل فقيه تبصر الابصار وتهتدي الى المنافع
وما يكون من المصالح ومنوا ادم هم مظاهر العقول النورانية والادراكات
العرفانية التي بها يعرفون بين مراتب الاشيا ويميزون حقايق المدركات
بخاصيات خصايصها وايام الله تعالى هم الانبيا والمرسلون والاوليا العارفون
الذين بانوار شموس معارفهم تهتدي الافكار الى حضرات الوفاء الالهي وتبصر
البصاير بتجلي جمال الهي الرباني ولما كانت الايام سبعة ضرب الله مثلا من السبعة
المثاني الذين هم مظاهر تجليات صفات الذات وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة
والسمع والبصر والكلام ثم القرآن العظيم ومظهر تجلي الذات مسمى الاسما وموصوف
الصفات ثم تنزلت الثمانية الحملة العرشية وانثنت فتنزلت الى السبع الاوامر
السماوية واوحى في كل سما امرها ثم تنزلت في ادم ونوح وابراهيم وموسى

صورة الصفحة الثانية من النفائس

والفكر وزالت نعوت الإمكان والوجوب وعدم الطالب واضمحل المطلوب واندرست شواهد نسبها دانت والغيوب وتبدلت أسما المنقول والمعقول وتحولت صفات المعلوم والمجهول فصرت الجمال يتصور فيهم عليه ولا يعقل فيخبر عنه ولا يعلم فيحيط به ولا يشعر حينئذ فيشار إليه ولا هو حاصل فيستحيل طلبه ولا هو معدوم فيجوز حصوله كل ذلك حجاب على ما لا يصح احتجابه كما يستحيل ظهوره بوجه من الوجوه تحريجا بالأنفاس ولله الحمد والمنة لا رب غيره ولا خير إلا خيره وصلى الله على سيدنا محمد سيد السادات ومعدن السعادات وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما أبدا.

صورة الصفحة الأخيرة من النفائس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الشيخ المصنف

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله

الحمد لله فاتح أرواح العلوم الإلهيَّة في صور أنوار الفهوم اللدنية، ومؤيدها بتصحيح أذواق العقل الفتاق للأرتاق العينية، اطَّلع في آفاق قلوب خواصه شموس أنوار المعارف الربَّانية، فأطلع بصيرة بصائرهم بقوة بيان الاستبصار على مكنون أسراره الخفية، أحمده على ما منحنا بالأنفس الراضية المرضية، وأيَّدنا باهتمام الهمم العليَّة، وحشرنا في قوالب القلوب الذين هم خير البرية، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أبرأ بها من تعليل العلل الخفية والجلية، وأنشط بها من عقال التعقلات الوهمية والظنية.

وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله إمام الأمة الأميّة، وحامي حوزة الحظائر الإلهيَّة، المخصوص بخصائص الخصوصيات الحقية والحقيقية، ﷺ وعلى آله أفضل علماء الأعلام الملية، وأصدق أتباع الرسل في تصحيح التبعية، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد..

فهذه علومٌ لا يعلمها علماء السير والوقوف، ولا يكتسبها مكتسب المنكر والمعروف، ولا تدل عليها أشكال الحروف، ولا تنحل، بل ولا يتعلق بأرواح الظروف، برزت من غيابة الغيب الذي لا يشعر به الغير، ولا تنتهي إليه نهاية السير، وإنما هي إشارات وتلويح لا عبارات وتصريح، فمن كان صديقًا لله خابتًا خبوت العبد الأوَّاه، فليدخل من أبواب جناتها، ويحضر في حظائر حضراتها، ويقتطف من أنواع زهراتها، ويتفنن في أفنان تفكهاتها، ويفتض من أبكار حور لمحاتها، فعسى أن تلحظه أعين تلك العين بلحظاتها، وتنكشف عنه كمه أكمام الفكر، فيرى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن كان مورطًا في ورطات الأوضاع، جامدًا على عوائد الطباع، مقيدًا في القول والسماع، فلا يطعن أبدًا في كشف القناع، فليرد العلم لأهله، ويتبرأ من سوء ظنه،

فإن الحقائق من وراء وهمه، ومدارك العلوم اللدنية فوق العسر، واجتناب غيرة الغير، ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ [الكهف:20].

وإنه لما بزغت شموس الإحسان من مطلع مشارق البيان، وتدفقت أبحر لطائف الامتنان، وعبَّر لسان الكتمان بإشارات كل من عليها فان، وانتظمت جواهر قلائد الوجوب والإمكان، سميتها بـ «نفائس العرفان من أنفاس الرحمن»، وجعلت ذلك إشارة لفطن الأذهان، وتذكرة لحقائق الإنسان، وتنبيهًا لكل بصر بصيرة وسنان، والله المسؤول بسره المصون، واسمه المكنون، وأمره المخزون، أن يسهل البلاغ إلى فهم الفهيم، وتيسير العسير إلى علم العليم، بفضل بسم الله الرحمن الرحيم.

***

نفائس العرفان من أنفاس الرحمن

نفس: أيَّام الله من وجه التحقيق[1] هم مظاهر شموس تجلياته الربَّانية، ومشارق أنوار معارفه الإلهيَّة.

فإن اليوم لغةً: عبارة عن طلوع الشمس إلى غروبها، والمراد به النور بدلاً من ظلمة الليل، ففيه تبصر الأبصار، وتهتدي إلى المنافع وما يكون من المصالح، وبنو آدم هم مظاهر العقول النورانية، والإدراكات العرفانية، التي بها يفرقون بين مراتب الأشياء، ويميزون حقائق المراتب بخاصيات خصائصها.

وأيام الله تعالى منهم الأنبياء والمرسلون، والأولياء العارفون الذين بأنوار شموس معارفهم تهتدي الأفكار إلى حضرات الوقار الإلهي، وتبصر البصائر تجلي جمال البهاء الربَّاني، ولما كانت الأيام السبعة ضرب الله مثلاً من السبعة المثاني الذين هم مظاهر تجليات صفات الذات، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، ثم القرآن العظيم.

ومظهر تجلِّي الذات مسمَّى الأسماء وموصوف الصفات، ثم تنزلت الثمانية الحملة العرشية وانثنت، فتنزلت إلى السبع الأوامر السماوية، وأوحى في كل سماءٍ أمرها، ثم انثنت وتنزلت في آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى، ثم ظهرت في محمدٍ ﷺ، وهو يوم جمعها ونظام أمرها، ثم انثنت في الأمة الأمية والملة الأحمدية على حكم السُّنة المتقدمة: «**يبعث الله على رأس كل مائة رجلاً يجدد لهذه الأمة دينهم**[2]».

وهذه حقيقة القطبانية[3] حتى إلى الثمانية يظهر الثامن الجامع، والنور الباهر الطالع،

---

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به: التحقيق هو ما يحصل معه القطع الذي يستحيل معه وجود النقيض، وحقيقته: وجدان وجودٍ في كشفٍ يستحيل معه الستر الموجب لتوهم الغيب، وغايته: بلوغ يوجب الوقفة؛ لاستحالة توهمِ مطلوبٍ سيحصل اهـ.

(2) رواه أبو داود (109/4).

(3) قال سيدي علي وفا ﷺ: أسماء الله الحسنى مراتب اسم الجلالة الإلهية وكل مرتبة منها أم إحاطي بمراتب حكمه ووجوهه الجزئية رقائقه، ولكل أم منها صورة إدراكية هي روحه الكلي، ومن قام به روح منها فهو قطب دائرة ذلك الاسم ومن قام به روح اسم الجلالة فهو قطب الأقطاب جميعا وجميع الأقطاب نقط دائرته القطبانية كما كل الأسماء مراتب اسم الجلالة، ومتى ورد على قطب حالة غائبة يسري حكمها في دائرته، وأخذ كل من أهلها من ذلك قسطًا بحسبه.

والحد الجامع المانع، خاتم السبع المثاني، وناظم نظام حقائقها في الأعيان والمعاني من الأمة الأمية، والملة الأحمدية المحمدية، هو القرآن العظيم المُسمَّى بسم الله الرحمن الرحيم، وهو يوم الجمع الذي لا ريب فيه ولا جحود، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود إليه تجتمع الأرواح بأشباحها، والعقول بأرواحها، والنفوس بإحساسها، وأملاك الأفلاك بأنواعها وأجناسها، ويتجلَّى كل موعودٍ بالخير، ويتعيَّن في غيب ملكوته ويظهر، ويكشف عن ساقه بمحضر الأشهاد، ويدعي إلى السجود أهل الطاعة والعناد، ثم تتعيَّن حقيقة الخبر الصدق، وذلك هو اليوم الحق، ويبرز لفصل القضاء في المستوى الرحماني، وحملته يومئذٍ الساق، والسبع المثاني، وله سجدة الشفاعة في المقام المحمود، والوسيلة من الدرجة الرفيعة، وهو الشاهد في عين المشهود، وهو المحمود بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود، والملك يومئذٍ الحق للرحمن، وكان يومًا على الكافرين عسيرًا، وهو المرئي بالأبصار في المشاهد المرضية، وإليه تنتهي الزيارة في حضرات القدس القدوسية، والحجب الناضرة الأقدسية، وإنما يتجلَّى لكل أمةٍ في إمامها، ولكل فرقةٍ في أعلام أعلامها، وهم السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ، الذين وجوههم كالبدور والأقمار، وشموس أضواء النهار.

وكما قال لهم حين سألوه: «**هل نرى ربنا؟ أتضامون في رؤية البدر، أتضامون في رؤية الشمس، وفي كلٍّ يقولون: لا، قال: فإنكم كذلك ترون ربكم**[1]».

- وقال أبو المواهب الشاذلي: صاحب الزمان وجود بالعين في العيان، وأصحاب دائرته من الرجال متفرقون في المدن والأودية والجبال، وهذا الرجل يسمى الفرد والقطب والغوث، وفوقه القطبية الكبرى وهي: مرتبة قطب الأقطاب والإمامان هما اللذان عن يمينه ويساره.

والأوتاد أربعة: واحد في المشرق، وآخر في المغرب، وآخر في الشمال، وآخر في الجنوب.

والبدلاء سبعة، والنجباء أربعون، والنقباء ثلاثمائة، والأفراد هم الخارجون عن نظر القطب، والأعراف هم أهل الاطلاع على المقامات والإشراف، وخاتم الأولياء هو الذي يختم الله به دائرة الولاية، كما ختم بمحمد ﷺ دائرة الرسالة.

(1) حديثٌ صحيحٌ: رواه البخاري (7434)، (7435)، (7436)، (554)، (573)، ومسلم (439/1)، وأبو داود في السنن (4729)، والترمذي (2551)، والنسائي في الكبرى (176/1)، وأحمد في المسند (360/4، 362، 365)، وفي السنة (37، 38، 183)، وابن ماجه (177)، والحميدي في مسنده (799)، وابن أبي عاصم في السنة (446-450)، والطبري في تفسيره (233/16)، وابن خزيمة في التوحيد (ص167، 169)، والآجري في كتاب الشريعة (258، 259)، والبيهقي في الاعتقاد (50)، =

وشاهده: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51].

وبما هم السبعون ألف وجه انتظامهم في السبع المثاني نهاية أقدام الأماني، فمع كل واحدٍ من السبعة عشرة آلاف وهي نهاية العدد، وهم وما انتظم منهم في عين جمع القرآن العظيم المبسمل: بسم الله الرحمن الرحيم.

وهذا اليوم هو المقدور بخمسين ألف سنة، والمتجلي فيه برؤية العظمة، ومقام الحكم بتخصيص الكلمة هو ذو المعارج، الذي تعرج إليه الملائكة والروح، قدوس سبوح بين يدي سريرة الأقدس، ونوره الطالع الأنفس تُنصب الأسرة والكراسي، وتُنشر أعلام العلماء، وألوية الأولياء للداني والقاصي، ويشهد الفضل الأعظم في مشاهد الأنبياء والمرسلين، بمجمع جامع الأولين والآخرين، ويُقال للقوم العميان الذين لا يسمعون ولا ينظرون:

هذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون، ولا أنتم بما وراء حجاب الغيب تؤمنون، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.

ويُقال لأهل الإيمان والتصديق: هذا يومكم الذي كنتم توعدون، هذا يوم نعيمكم أيها الأبرار، والملائكة يدخلون عليهم من كل بابٍ: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:24]، ويوقع لهم في المرسوم بكتب رب العالمين من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، فيسمهم بأسمائه كما خلقهم بأخلاقه، فلهم منه مكانة التمكين، ولذلك يتداعون بينهم: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس:10].

نفس: الأعراف: أسرة بين الجنة والنار، لا من هذه ولا من هذه؛ لأنهما مأوى الخلق، والأعراف مظاهر تجليات الملك الحق.

- وذكره المصنف في مختصره لاعتقاد البيهقي -بتحقيقنا- والسنن الكبرى (464/1)، والخطيب في تاريخ بغداد (466/11)، والبغوي في معالم التنزيل (232/4)، والطبراني في المعجم الكبير (296/2-297)، والمعجم الأوسط (194/2)، (90/8)، والدراقطني في الرؤية (106)، وكذلك (137)، (149)، (155)، (163)، (165)، بتحقيقنا. قلت: وألفاظ هذا الحديث وطرقه كثيرةٌ.

وعلى الجملة: الأعراف: عقول إلهية عرشية، تستوي عليها العرفانية بالإحاطات الرحمانية، والتجليات الربَّانية، وتبرز في يوم تحقق الحقائق للفصل بين الخلائق.

نفس: البقاء المطلق نتيجة الفناء المحقق، وحقيقة الفناء إعدام الوهم، ورفع حكم الغير، وسلب قوة التمييز[1].

---

(1) قال أبو المواهب الشاذلي في القوانين: حقيقة الفناء محو واضمحلال، وذهاب عنك وزوال.
وإن شئت قلت: فناء المريد طهارة النفس من التدنيس، وفناء المراد تخلُّقه بأوصاف التقديس.
وإن شئت قلت: فناء السالك عن السكون إلى الأنوار، وفناء العارف عن شهود لمحة الأغْيَار.
وإن شئت قلت: الفناء محو النية، وذهاب الأنيَّة.
وإن شئت قلت: الفناء التخلي لنور التجلِّي.
مشرع: فناء عوام الطريق بهجة أهل التحقيق، فإن حصلت لهم العناية، سلكتهم مسلك الهداية.
منزع: فنا المحب بمحبة الحبيب، وفناء المحبوب بالوصل عند غيبة الرقيب.
مشرع: اجتاز قوم ببعض طرق الفَنا، ولم يحصل لهم ما طلبوا من المنى، وإنما حرِموا الرشاد لعدم الاسترشاد.
منزع: أهل الصدق في الإرادة في باب الأعمال فَانون أدبًا مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات:96].
وأهل المعرفة فناؤهم في حضرة الصفات والأسماء وذلك لهم أسْمىَ؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17].
مشرع: فناء المريد بشهود التوحيد، وفناء المراد بالخروج عن المراد، وفناء العارف بشهود الأحدية في حضرة الواحدية، وفناء الفرد بتجلِّي الأحد بالغيبة عن كل أحدِ.
منزع: كوْن مشهد الحسّ هو محلّ جريان الشمس، إذا استوت شمسك عند الزوال أفنت ما كان موجودًا من الظلال، فاحرص على استواء شمسك بذهاب ظل غمامة حسّك.

كان لي ظل رسوم ... فاستوت شمسّ فزالا
عشت بالمحبوبِ حقًّا ... بعد ما كانت خيالا

مشرع: أفْنىَ التائب المهلكات، وأفنى السالك العادات، وأفنى المسلك القواطع، وأفنى العارف المطامع، وأفنى الواصل الأكوان، وأفنى الموصّل ما سِوىَ حضرة الإحسان.
منزع: إذا غلب الفناء بشهود التجلِّي، عند صدْق التخلِّي، لا ترى الأكوان إلا كالخيال في حضرة هذا المثال.

إنما الكون خيالٌ ... وهو في حقِ الحقيقةِ
كل مَن يشهد هذا ... حاز أسرارَ الطريقةِ

مشرع: فناء الفناء أعلى من الفنا؛ لأنه دهليز البقا عند أهل التقى، فإياك أن تقف مع بداية الفنا؛

نفس: الوحدة لا يقبل الكثرة، والكثرة وجوه تجليات الواحد الذي لا يحكم عليه العدد، ولا يفتقر في قبول تجلياته للغير[1].

نفس: الصلاة من العبد بشرط الحضور والمراقبة، تفيد صورة روحانية نورانية مترقية بالبشرية عن عالم الفرق إلى حضرة الجمع، فإذا حضرت الروح ذلك الحضور،

فتقع في الخلط والدعوى، وتخالف أهل الأدب والتقوى.
وانظر حال الحسين الحلاج لما قنع ووقف عند أوائل الفناء، كيف وقع في العناء.
بقوله: ها هو أنا ومَن أيسر أقواله ما أعرب به عن بعض أقواله.

عجـــبت مـــنك ومنـــي أفنيتنـــي بـــك عنـــي
أدنيتنـــي مـــنك حتـــى ظنـــنت أنـــك أنـــي

قوله: (حتى ظننت أنك أني) فيه شعور بأدب فناء الفَنا، لكنه لم تكمل له حقيقة هذا المعنى؛ إذ لو كملت لتخلّص من غلظ البشرية، وتأدب بكمال الأدب مع الربوبية.

يـــا نزهتـــي فـــي حياتـــي وراحتـــي بعـــد دفنـــي
مـــا لـــي بغيـــرِك أنـــس إذ كـــنت خوفـــي وأمنـــي

منزع: الفاني المحقق عند المحققين؛ من شَعر بوجوده عند الغيبة والحضور، وعلمه وإن لم يشهد في ظلمة فناء ذلك الديجور.
ألا ترى أن من طلعت عليه الشمس فاشتغل بصره بنور شهودها لا ينكر بقاء نور الكواكب، وإن لم ينظر حقيقة وجودها، كذلك الفاني إذا غلب عليه شهود أنوار الحق، استشعر وجوده ووجود الخلق، فذلك سلوك الكُمَّل الأنبياء، والسادات الأتقياء.
مشرع: قال غير واحد في الفناء (أنا) وفي البقاء قالوا: (أنت)، فقيل: يا فاني في الأول ما كذبت، ولكن في الثاني أحسنت.
منزع: مقام الفناء به الوصول إلى المنى، كلما توالى على صاحبه دَنًا، واصطلمه السنا في المقام الأسنى.

ويَزيدنـــي تلفًـــا فأشـــكرُ فعلـــه كالمـــسكِ تـــسحقه الأكـــفُ فيعـــبَقُ

مشرع: الفناء هو أساس الطريق، وبه يتوَصَّل إلى مقام التحقيق، ومَن لم يجدْ بمَهر الفنَاء لم يستجْل طلعة الحَسْنَا، وليس له في غد واليوم نصيب مع القوم. وانظر: القوانين (ص78) بتحقيقنا.

(1) قال سيدي علي وفا في المسامع: الاتحاد افتعال من الوحدة، وافتعال الشيء لا يكون إلا عن فقده، والوحدة ذاتية للوجود، ففقدها وهْمٌ، فالاتحاد وهمٌ في الحقيقة حقٌّ في حكم الفرق.

وتلاشت في سبحات النور، خلع عليها خلعة ربَّانية رحمانية فردانية وحدانية، وهي صلاة الله على عبده المخصوص، فإذا أثر بجمالها، وتقلَّد بجلالها، وتتوَّج بتاج كمالها، وبرز في ملكوت القدس الأقدس بكرامة هذا النور الأنفس، أعلن لسان الذِّكر الحكيم بالكلام القديم، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29]، فإذا كان يوم انكشاف الساق، وظهور خصائص يوم التلاق، واندرجت الصلاة في الصلاة، واضمحلت الصفات في الصفات، وتجلَّت حقائق أم القرآن والسيدة تلا لسان الأحدية:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الرعد:15].

نفس: الأفعال ثلاثة:

فعل الذات: وهو ما اقتضى القدم والبقاء.

وفعل بالقوة: وهو ما اقتضى الحدوث والدوام.

وفعل بالملكة: وهو ما اقتضى الحدوث والانقطاع.

فالأول هو الجبروت المطلق، والثاني هو الملكوت المحقق، والثالث هو الملك المحقق.

نفس: العوالم ثلاثة[1]:

(1) قال المصنف ﷺ في الشعائر: اعلم وفَّقك الله أن العوالم الثلاث: وهو عالم العقل وبما فيه من أسرارٍ ذاتيةٍ، لاهوتية وصفات قدوسية واجبية، ومعان نورانية، هي أقوية التفرد والتحكمات.
وموضع إبداء الأسرار والصفات بالتجليات.
كان هذا عالم الجبروت، مفارقًا لما سواه بذاته وصفاته وإياه، وبما تنزَّه عن الزمان والمكان، والأين والمثل والكيف، والإطعام والأذواق، والألوان، وكانت النفس الناطقة وهي العالم القريب بالتجريد من صفاته المحققة بالتوحيد، هي عرشه وفرشه، وحضرته وقدسه، وهي عالم الملائكة العظام، والحجب المقدسة الكرام، ثم إن عالم الكون والفساد والطباع الأربعة الأكوان، وبما انحصروا في القوة الحيوان، ولذلك كان النتاج من حيث هذه الروح الحيوانية عن الكل بالجزء، تبرز نوادرًا من القوة للفعل، ثم تتطور وتنتقل من الاستعداد المعدني، ثم استعداد النبات، ثم استعداد الحيوان، ثم تتنزل الروح من العالم المشترك البرزخي، الذي هو الفصل بين العالمين، والوصل بين المتباعدين، عالم الروح الأمين بالاستعدادات الإنسانية إلى الكُمَّل من الأشخاص الحيوانية، وبما نزفت الممكنات الكونيات بتنزل الواجبيات الآمريات، حكمةٌ كحكمة، وسنةٌ كسنة.
واعلم أنه ما خلف حجاب هذه الأكوان الحيوان غير عالم الجان، ونهايتها الإنسان، كما أن غاية
=

عالم الملك، وهو مركوزٌ في حيثيات الحس، وهم المشاعر الخمس، والحس المشترك هو البرزخ المشترك بين الملك والملكوت، والملكوت هو العالم الثاني، وهو مركوزٌ في حيثيات العقل وهي المشاعر الخمس الباطنة، كالوهمية والمخيلة والحافظة والذاكرة والفكرية، والعقل المشترك: هو البرزخ الوسط بين الملكوت والجبروت، والجبروت هو العالم الثالث، وهو مركوزٌ في الإحاطات الخمس: القلب، والفؤاد، والروح، والسريرة، والسر الغريب.

والوسط المختار هو البرزخ بين الوجوب المطلق والجبروت، والوسط المختار هو عرش الرحمن، يبطن فيه بالقدرة، ويظهر عنه بالتجلي، ويتصرف بالاختيار؛ لأن الوجوب المطلق يفيض بالذات، وهذا العرش هو العرش العظيم، وكذلك العقل المشترك هو المُشار إليه سدرة المنتهى، ينتهي إليه عالم الخلق، ثم يقبض وهذا المقول عليه سدرة المنتهى، وفيه مقام الأمين جبريل المنزل بالعقول الملكية، فإذا انكشف الحجاب عن حضرة الرحمن كان هذا العقل هو العرش الكريم، وكذلك الحس المشترك هو البرزخ بين الملك والملكوت، هو المقول عليه طوبى، وهو مقام ميكائيل فيه يبطن بالقوة، وعنه يظهر بالفعل، فما من محسوسٍ ملائمٍ إلا وهو من رقائقه

= الإنسان الرحمن، وما بين الإنسان والرحمن إلا الملائكة المقرّبون، والأرواح القدسيون المكرمون، وما نزفت من الأرواح الحيوانية تكون بالملائكية، وإن عكست انتقلت إلى الشيطانية، ومهما نزفت من الإنسانية إلى الملائكية فإلى النبوية، فإن أحجمت وقفت مع الملائكية، وإن نفدت فإلى الحضرات الرحمانية.

هذا فيما يُعطى الترقي والتلقي مع الجاذب الملكي، والدليل النبوي.

وأما فيما تُعطى التنزلات الربّانية بالبطانات السريانية، فتخصيصٌ لا يُعقل سره ولا يُدرك كنهه.

واعلم أن الاسم الذات المتّصف بجميع الصفات بالذات يتجلّى على أسماء الصفات الذات الوجودية، فيستغرقها في الذات، فإذا صارت ذوات وكلمات تامات تجلّت على ما يليها من أسماء الأفعال، فرقتها إلى مقاماتها التي عنها انتقلت، فإذا كانت الأفعال صفات للذات نقلت المفعولات بالتجليات إلى مقام الأفعال، ثم يبرز الحيوان من أفلاكه الأربعة الطباع لإحكام الترتيب للأوضاع، والأمر كذلك ولا نهاية لذلك، أسرارٌ تتنزل بالإلهية إلى الحيوانية، وترقّى بالروحانية إلى الرحمانية، وما بين هذا التنزل والترقّي فقعرات سجينيات أرضيات، ودرجات رضوانيات سماويات، وحضرات وغير حضرات، وعوالم مفترقات، فسبحان من لا يُدرك كنهه، ولا يُبلغ شأوه، ولا ينفد أمره.

الملكية، وإفاضته النعيمية، إلا أن القوة الشيطانية المركوزة في شجرة الزقوم، وهو ذوا الرقائق الجحيمية، تعترض أبدًا بتكدير الصفاء، وتنكيس الوفاء، ولذلك وُضعت القوة العزرائيلية في مقابلته بالسطوة والإرهاب، والقصاص بحكم الحساب، حتى إلى سلب الأرواح عن الأجسام، ويذيقها ما يذيقها من الآلام.

وأما إسرافيل عليه السلام فهو صاحب نفخ الأرواح في الصور، فما من صورةٍ تُتصور في الرحم إلا ويتنزل منه رقيقة ملكية، تنفخ فيها الروح بإذن الله عز وجل، فإذا انكشفت حضرة الرحمن كان هذا الحس المقول عليه طوبى، هو العرش المجيد الذي تحته مثال كل شيء.

وأما العرش المحيط الجامع لهذا النظام في غيبه وعينه وبنيته[1]، وكما ورد: «**خلق الله آدم على صورته**[2]».

ومن طريقٍ آخر: «**على مثل صورة الرحمن**[3]».

---

(1) قال سيدنا المصنف في الشعائر: اعلم أن العرش المحيط هو الذي تحته مثال كل شيء، وله وجهتان: وجهة أزلية واجبية رحمانية عالمية، ووجهة أبدية ممكنية رحيمية سميعية، الأول: العقل الإلهي، والثاني: العقل الطبيعي، الأول بالعلم، والثاني بالإدراك، والقوة العاقلة هي العرش الكريم، نقطة الوسط بين الإحاطتين، وذات الشخص والعين، والظل والمثال، والكيف والأين، وله وجه وقفا، وأمام ووراء، فإن قابل الإحاطة الأبدية استغرقته الأقوية الإمكانية، فشهد كونه فيها بالفرق، وانعكس ظله بصفات الأمر والخلق، وصار الإيجاب عنده بالخبر، ووجه الأزل عنه استتر، بحقيقة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر:33]، ويُقال هنا العرش المجيد، وحجاب التوحيد، ومرآة التكثير والتعديد، وإن واجه الإحاطة الأزلية انكشف عنه حجاب الثنوية، وشهد في مرآة كشفه الأحدية، بأسمائه الربَّانية وصفاته العليَّة، ولذلك قال الصَّادق المصدوق عليه السلام: «لقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن» فافهم.

(2) حديثٌ صحيحٌ: رواه البخاري (5873)، ومسلم (2612)، وأحمد في المسند (244/2)، والحميدي (476/2)، من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(3) حديثٌ رجاله ثقاتٌ: رواه الطبراني في الكبير (430/2)، (13580)، والدراقطني في جزء الصفات (45)، (48)، (49)، بتحقيقنا، وابن خزيمة في التوحيد (ص38)، وابن أبي عاصم في السنة (517)، والحارث في مسنده كما في زوائد الهيثمي (831/2)، عن ابن عمر، وأبي هريرة مرفوعًا.

قلت: أما حديث ابن عمر فرجاله رجال البخاري، وقد ضعَّفه بعضهم لعلة عنعنة حبيب بن أبي ثابت وتدليسه، وكذلك الأعمش.

وأما حديث أبي هريرة فرجاله ثقاتٌ غير ابن لهيعة؛ فإنه سيء الحفظ.

وبالجملة: فهو صحيحٌ عند أهل الكشف رضي الله عنهم.

وعلى الله قصد السبيل، ومنها جائر، ولو شاء لهداكم أجمعين.

نفس: الوجودات الإلهيَّة على قسمين:

وجود علم، ووجود حياة.

فالعقل الكلي فرع وجود العلم، وروح الأمر فرع وجود الحياة، وجميع تنزلاتهما على ثلاثة أقسام: بالنفخ والإلقاء والوحي، وكل واحدٍ منهم على ثلاثة أقسام:

بالذات والصفات والأفعال، فلما أظهر الرحمن مراتب الأكوان، وأحكمها في أحسن تقويم، وأعدل ميزان استخلص منها خلاصة كل مرتبةٍ، وسريرة كل موجودٍ، فجمعها في آدم فتفرَّعت الأكوان من الأسرار الإلهيَّة، والتجليات الربَّانية، والحضرات

-

وقال سيدي علي وفا في المسامع: اسمع: «خلق الله آدم على صورته»، بما نفخ فيه منه بلا واسطةٍ، وقال السيد الكامل عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ: «إن في وجهه مسحة مَلَك»: أي شبه ملك بما النافخ فيه ملك.

اسمع: المَسحة: الشبه، ومن ثمَّ يُسمَّى المسيح مَسيحًا لروح القدس النافخ لَه في مريم، فافهم.

اسمع: ليكن خبر ربك الحق أحق عندك مما خالفه، ولو أنه محسوس فقد علمك السيد الكامل ذلك بقوله عمن سقاه العسل فتوهم أخوه؛ لكثرة ما كان به عند شربه أنه ضره: «صدق الله وكذب بطن أخيك».

اسمع: لما كان يوم تجرد السيد الكامل عن لباس بشريته سأل عنه صديقه الأكبر عليًا، فقال: كيف أصبح؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا، فشهده حقًّا بارئًا؛ لتجرده عن الخلق المبروء، وأيضًا شهده بارئًا كما يفهمه الجمهور؛ لأن الحق سبوح عن أعراض خلقه.

اسمع: لما كانت بيعة الرضوان كان عثمان قد أرسله السيد الكامل إلى مكة إشارة إلى أنه يريد بهم الحلم، ولو أراد بهم الانتقام لأرسل إليهم عمر، فلما بايع الناس بسط السيد الكامل يمناه الأولى وقال: «اللهم هذه يدك»، ثم بسط الأخرى وقال: «هذه يد عثمان»، ثم وضع هذه في هذه وقال: «اللهم هذه بيعة عثمان».

فإن قيل: كيف صرَّح لك بأنه يظهر بالحق وبالخلق، فلكل مقامٍ منه مقال، ولكل مجالٍ منه رجال، فافهم.

اسمع: لا يملك المخلوقات ملكًا حقيقيًا أصليًا غير خلاقها، فتصرفاته فيها باختياره كلها حق وعدل حسن جميل، وهو العليم الحكيم، وتصرفات غيره باختياره تصرف فيما لا يملك فهو ظلمٌ قبيحٌ

إلا أنه لا غير لَه بالحقيقة، وإن ثبت مجازًا فلا تصرف لَه دونه، ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 57]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، فافهم.

الرحمانية، وصارت إلى الحضرات الإنسانية، واستقرت في البنية الآدمية، ولذلك سجد لها الساجدون، وسجد لها ما في الأفلاك من الخلق أجمعين.

ثم تنزلت في النبويات، وأعلنت في الرساليات، حتى إلى النفخة العيسوية، والتتمة الختامية، ظهر الجامع الأعظم والوجه الكريم الأكرم، اجتمعت إليه أرواح النبوية، بما فيها من أسرارٍ إلهيةٍ، وحضرات رحمانية، ومظاهر ربّانية، فتفرَّعت الملل والنحل.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:85].

ثم نطقت الألسن النبوية في كلامه، وانتظمت جواهر معارفها في سلك نظامه، فكلّ يدعو إليه بلسانه، ويخضع ويخشع لعظمة جلال رحمانه، فلما أسرى به إلى قاب قوسين، وأوحى إليه الوجود العلمي، اندرج الأزل في أبده، وبطن واحده في أحده، واشتغلت الآحاد عن الواحد بالأحد، وتلا لسان الولاية الكبرى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *اللَّهُ الصَّمَدُ *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1: 4]، وأينع الفرع العلوي، وزهى وأورق وأزهر، وأبرز عن العقول الإلهيَّة، والمعارف الربَّانية، ما بطن في بطانات القلوب الإيمانية، وظهر وخفي عن العقول الفكرية، عندما اشتهر وبرز الفرع الأبيبكري، وقد اخضرَّ وأورق وزهى وأثمر، وتنمق بما وقر في صدره من المعارف النبوية، والاطلاعات المحمدية، والمشاهدات الرحمانية، وما يخلق به من الأخلاق الرضوانية، وأخذ كل منهم على طريقه، وافترق كل منهم مع فريقه، وكانت السريرة الإنسانية، والحقيقة السلوبية تظهر مع كل سرٍّ مكتمٍ، وتندرج في كل علمٍ لا يُعلم، ولا يعلم حتى إلى خاتم الولايات، ومستقر جميع الإنباءات، أُديت إليه الأمانات، وتوجهت إليه من كل الجهات، فكان عين جمع الجمع من الأسماء والصفات والذات، ثم تفرَّعت جميع الكائنات، وأقفرت جميع الطرقات، كما قيل:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وذلك بما خُصَّ به من الخصوصية العظمى، وأبدل مكان النفخة بالوحي، فأوحاه الله وحيًا ذاتيًا، فهو الذي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولم تزل هذه السريرة تظهر فيمن لا يعلم ولا يعلم، ولا ينطق ولا يتكلم، كما جرت ألسنة عند انقسام النور من إبراهيم الخليل إلى إسحاق وإسماعيل، ثم تفرَّعت في الإسرائيلية إلى النبوية والولاية الخضرية، وبقيت السريرة الإسماعيلية تظهر في البهم، وتندرج في الإغمار الحمق، حتى أطلع الله شمسها من مطلعها، وجلا طلعتها عن خمارها وبرقعها،

وهذه ألسنة لم تزل في السوابق واللواحق، والله ولي التوفيق، وهو معلم الحقائق.

فسبحان من أوحى وجودي بذاته ... ونزل روح الأمر بالآية الكبرى
تمثلني الرحمن عينًا لغيبه ... فها صورتي كالنجم في سروة الإسرا
وفي صورة يأتي الإله كما حكى ... خبير روى الأخبار فاستعلنت خبرا
جمعنا نظام الكل في عين جمعنا ... وأصبح كف الدهر من مثلنا صفرا

نفس: الجسم ظرف الروح، والروح محل العقل، والعقل شخص العلم، والعلم أفق مطالع نجوم الأسماء الموصوفة بصفات كمال الذات، والذات شيء عجز عن تصور ما هو كل متصور، وقطع شخص العلم السليم من الآفات، فإنه شيئية كل شيءٍ على الحقيقة، كالجزء المحيط في الكل من وجه العين والجنس للأنواع من وجه المعنى.

نفس: موصوف صفات الذات هو الاسم العظيم الأعظم في أفق الأسماء الحسنى، وهو المثل الأعلى في عالم الجبروت، والسابق القيوم في عالم الرهبوت، والروح المحيط في عالم الأمر، وهو الروح القدس في عالم الملكوت، والحق الواضع في عالم الخلق، والإنسان الكامل فياض الصور في عالم الكون، إليه يرجع الأمر كله.

نفس: الصادق هو كلمة الله التي ألقاها إلى رحم رحيم الأكوان، والمحيط على دائرتي الوجوب والإمكان، فكل شيءٍ فيه هو، وكل شيءٍ به لا هو هو ولا هو غيره.

نفس: إذا تمكَّن العارف بالله تمكنًا يوجب نفي المغايرة من كل الجهات، تصرفت فيه تصرف القدرة المضافة إليه إضافة الصفة الذاتية في عوالمه المنسوبة إليه، وتوسع في أوضاعه حسب اتساع علمه، ومقاصد إرادته، كان عينًا في ملكه وملكوته وجبروته عن الحصول فيما نُسب من ذلك لغيره، المعني بالشخص، والمنفرد بالكون، ولا بدَّ وأن تقتضي أسماؤه وصفاته رهبوتيات ورحموتيات، بحكم مناسبة ترتيب المملكة، فكل عارف متمكن بمفرده ملك كامل، قائم الذات، ما فيه من تفاوت، ولا بدَّ وأن يكون متنوعًا من وجه ما تعرف به الأتباع، قبل تجريده عن ملك الغير، وكل تابعٍ مع متبوعه؛ لأن المرء مع من أحب، ومن أحبَّ شيئًا عبده.

والتابع إما أن يكون رحموتيًا، أو رهبوتيًا، أو جبروتيًا، فيكون ملكة من ملكات ملكه، وحافظًا من حفاظ حكمه، بحسب ما أعطته النسبة التي تجرد عليها معه، ثم إنه

لا يصح الملك الإلهي لغير نوع الإنسان، بل مستحيل الوقوع، فمن اتَّبع شيئًا سواه حُشر لا مولى له، وكان إلهه هواه؛ لأن متبوعه لا مولوية له، وإن اتَّبع غير عارف متمكن من نوعه، فإما أن يكون ذلك المتبوع في رحموت أو رهبوت، فهو معه كيف كان، وعلى أي وجهٍ كان، يُحشر المرء على دين خليله.

نفس: اعلم أن أشخاص أفلاك المعدن والنبات والحيوان متولدون عن الأجسام، البسائط الأربعة تصرف بحركاتها، وهي الأرواح الكلية المحيطة، وحقيقتها أقوية قادرة على الفعل، وهو التشكل في الأعيان الشخصية الفلكية، الناتج عنها أرواح شبحية، وأجسام لطائف روحانية مشابكة لأعيان الأكوان من المعدن والنبات والحيوان، وشخص الإنسان، ثم يتجرَّد عن أعيانها، فما كان منها معدنيًّا ونباتيًّا وحيوانيًّا فهو دائرٌ مع أفلاكه، راجعٌ إلى أجناسه وأنواعه بحكم الحشر والنشر، ولها ملكات وجوادب وأقوية وعقول، وحفظه تحفظها وتدبرها بالحكمة الربَّانية، والقدرة الإلهيَّة.

أما ما يتجرَّد عن أجسام بني آدم فعلى سبعة أقسام من كل شخصٍ بعينه، فالمعدن والنبات والحيوان للمعدن والنبات والحيوان، والملك والجان والشيطان يكونان من وراء برزخ هذه الأعيان، وظاهر غيب هذه الأكوان، ولها نسب وخلق وأخلاق وعلوم، وهي بحسب ما اكتسب من ذلك قبل التجريد، فمن اكتسب من العلوم الصناعية والأعمال الصورية، والأحوال الكونية، والأخلاق الطبيعية، تجرَّد عن حكم ما اكتسب منها، فإن كان على أحوال منافية للتقديس والتشريع كان مع الشياطين، ومنهم الملوك والحكام والمتبوع والأتباع، بحسب هذا الترتيب الظاهر، وإن كان على التشريع كان مع الجان، وكذلك أيضًا منهم الملوك والسادات والأتباع والحفدة والخدمة، ومن كان منهم متخلقًا بالأخلاق الروحانية الملكية، كأرباب المجاهدات والسياحات، كما يُقال على المتصوفة، فهم مع الملائكة، وهم أيضًا كأنواع الأول، فإن كان من العارفين بالله والمتحققين به فهو من الرحمانيين، وهم أصحاب المملكة الربَّانية، والملك الكبير الكامل.

فكل واحدٍ منهم في مملكةٍ مفردةٍ كهذه المملكة، وما حوت من ملكٍ وملكوتٍ وجبروتٍ ولاهوتٍ وناسوتٍ، وخلق وأمر إلى غير ذلك مما كان أو يكون، وهؤلاء النوع هم المحققون بالمكنة الإلهيَّة، المتصرفون بالله، والله ولي التوفيق.

نفس: كما يصدق عليه الوجود يصدق عليه العدم، وليس النظام القديم بمنخرم، ومن علم ما جهل جَهل ما علم، وعدد الواحد من كل جهاته لا ينحصر ولا ينحسم، لسانه القادر ناطق بجوامع الكلم، فهو الأول بسوابقه، والآخر بلواحقه، والظاهر بخلائقه، والباطن بحقائقه، وحدته لا يُقال عليها بلسان الكثرة موصوفة، وذاته لا يُشار إليها بعبارة العلوم المحيطة، فهي لا مجهولة ولا معروفة، ومراتب تجلياته لا يتكثر مع أنها في كثرةٍ لا يتناهى، وقيومية حياته لا يجهل من حيث أنه لا يعرفها سواها، خطه المستقيم لا ينحرف، ومدة مداد نقطته لا يفترق، ولا يأتلف، ودورات أدوراه تسير ولا تقف، وتستمر ولا يختلف، فسبحان من يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، مع أنه مرئي به كضياء شمس النهار، وكل شيءٍ عنده بمقدار.

نفس: إذا رأيت الواحد من كل جهاته قد جاءك بصورة غيرك، فاستر وجه أحديتك بمرتبةٍ من مراتب الفرق، وإيَّاك أن يراك بعينٍ من عيون سواه، واحذره؛ فإن فيه نار محرق، وأن ذلك لواقع ما له من دافعٍ.

نفس: إذا رأيت الله ورأيت غيره فاحجبه عنه بحجاب الغيرة، وإيَّاك ورؤية السوى؛ فإنه الناظر إليك في كل عينٍ، والمطَّلع عليك من كل وجهٍ، وإنما الخوف من أثر الغرف الذي يأتي به الحق في الخلق مع حفظ نظام الحكم من الخرق.

نفس: الكائن في العماء ما خرج منه إلا في حق البصيرة، والكائن في عماء الخلق هو الحق، والبصير بنور الله هو المخصوص الذي عرف الله، فهو في حقه بالصمدانية التي لا ظهر لها ولا بطن، ولا قبل ولا بعد، فأعوذ بالله من ظلمة العماء، وعماوة الإغماء.

نفس: حق الله إذا رأيته قد ضرب حجاب العز في بساط الحق، وجرد سيوف الفرق من قراب الحق، وأبرز عرش العظمة على مهاد الحكم، فإن شئت السلامة فتدرَّع بدرع الموافقة، وانظر إلى الواحد بعين المعرفة، وإذا سألك عنه فأجبه بلسانه الذي خاطب به خلقه، فإن جهلك لَه في هذا المقام هي معرفتك التامة به.

نفس: إن لكل حضرةٍ من حضرات الحق لسانًا لا يؤذن لأحدٍ أن يتكلم فيها إلا به، ولا يسمع لقائلٍ يقول إلا منه، ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ [النبأ:38، 39].

نفس: من عرف الله كيف ينكر منه شيئًا، أنكر النكر إنكار العارف لمعروفه إذا ينكر عليه، ومن العجائب وقوع النكرة في وجه المعرفة.

نفس: الواحد لا يتحد لغيره، ولا يحل في شيءٍ سواه، فإنهما موجودان في المجاز، معدومان به في الحقيقة.

نفس: كتب الله على نفسه ألا يدخل قلبًا دخل فيه سواه، ولا يتجلّى لعينٍ رأت غيره في مرآه.

نفس: من نسي الله نسيه، ونسيان العبد لربه هو عماء عين بصيرته عن رؤية عين من عيون الله، ونسيان الرب لعبده هو أن يتجلّى لَه أبدًا بوجه الغيرة في حجاب المغايرة، والله أشد بأسًا وأشد تنكيلاً.

معصية القلب: رؤية الغير مطلقًا؛ لأنه هو الشرك الخفي.

ومعصية العقل: معارضة الحق بالحجج الداحضة.

ومعصية النفس: خرق حجاب الحكمة.

نفس: إذا جاءك الواحد في صورة المتعلم وقال لك: عرّفني من أنت؟ فدله عليه من الوجه الذي جاء منه، فإن أقرّك على ذلك وقولك به، فذلك من الوجه الذي أنت به عنده، وإن ثبت لذلك فاستعن به عليه، وقلْ: أنت المعروف الذي لا يعرفك غيرك، والمجهول الذي لا يجهلك سواك، وكن أنت المعروف لك بك، حتى يكون ذلك سببًا لسلب عارضة البقية عن حضرة بقاء وحدانيتك.

نفس: قال الواحد من كل الجهات: أنا الأول بالرحمن، والآخر بالإنسان، والظاهر بالخلق، والباطن بالحق، فمن عرفني كذلك وتحقق لي في كل ذلك حشرت آخره في أوله، وأعددت ظاهره حتى يصير أزليًا لا آخر لأوله، وصمديًا لا ظاهر لباطنه.

نفس: النفوس هي العقول المحجوبة بأحكام الأجسام المستقلة، بتدبرات عالم الخيال والأوهام والأرواح، هي العقول المتوجهة إلى المعارف الإلهيّة، المصطلمة بأنوار التجليّات الربّانية، والقلوب هي العقول الرحمانية الموروثة بالتخصيص لا بالتنصيص؛ لأنها لا يحصلها الكشف، ولا يقيدها النظر الصحيح.

نفس: لا يرى وجه الحق من حضرته الجهة، ولا يفارق الجهة إلا من نفد من

أقطار السموات والأرض، ولا ينفد من أقطار السموات والأرض من حكمت عليه بقية جسمانية؛ لأن جسم الإنسان هو سجنه وسنته، فإذا فارقه فارق السجن والسنة.

نفس: كل جسمٍ وجسماني في حصر الجهة والمسافة، وكل روحٍ وروحاني في إطلاق التجديد والمفارقة، وكل إلهيّ وربّاني وسع عظمة تنزيه وجدانيته، ليس كمثله شيء.

نفس: الأجسام من جواهر متغايرة، لا يتداخل أحيازها التركيب، يُعنيها بالكل، والتجليات تفقدها بالجزء، والمتعلق بها من الجواهر المفارقة قاصر على أحكامها، مقيد بوجه تدبيراتها، وإن انحصرت أنواعه في أشخاصه، فإن فارقها بالعرفان الإلهي والتخلق الربّاني فارق الإمكان والكون، ووجبت لَه المكنة، وقدر على إخراج ما في قوته للفعل، والله بكل شيءٍ عليم، وعلى كل شيءٍ قدير.

نفس: المرتبة الإلهية مبرأة من الأجسام، وأحكام الأجسام، ونتائج الأجسام؛ لأنها متغيرة لا تقتضي الدوام، وكل متغيرٍ حادث، فمن فارق الأجسام فارق الحدوث، ومن فارق الحدوث استحقّ نقيضه، ومن استولت على فطرته النفوس المحجبة بالأجسام استوهنت قوى استعدادها عن قبول مفهوم أسرار هذا الكلام، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:40].

نفس: ليس على الله سبحانه وتعالى بحكم، ولا خرج شيء عن حكمه، فمن فنى في الله استحال وقوع الحكم عليه، ومن كان بنفسه وجب وقوع الحكم عليه، والأحرار في ذلك متفاوتون، وكل حريته ما فنى منه وبقى من نفسه.

نفس: العلماء بعلم اليقين، والأنبياء بعين اليقين، والأولياء بحق اليقين، ولكل حقٍّ حقيقة، وحقيقة كل حقٍّ ما منه بدايته وقوامه، وإليه غايته.

نفس: الولاية لها ظاهر وباطن، ظاهرها توفيق العبد؛ لأن يتولى الله بامتثال أوامره ونواهيه، واتّباع مرضاته، والنبوة فوق درجة الولاية، والرسالة فوق ذلك، بما خصص الله الأنبياء من الأنباء، والاطِّلاع على المغيبات، ومكاشفة الملكوت، وما أيّد الله به الرسل من تنزل روح القدس، والإمداد بالحكمة، والقوة على الدعوة إلى الله تعالى، والمعجزات الباهرة، والدلالات الظاهرة، إلى غير ذلك.

فأما الولاية الباطنة فهو بما تولى الله به عبده بذاته، وأطلعه عليه من مكنون أسمائه

وصفاته، وأحضره في حظائر قدس تجلياته، فأخذه منه وأفناه عنه وأبقاه به، فهو لا هو، ولا هو إلا هو، وهذه الولاية هي التي ترقَّى إليها محمد ﷺ لما فارقه جبريل عند سدرة المنتهى، وكان بها في مقام قاب قوسين أو أدنى، وكانت النبوة من هذا الوجه دون مقام ولايته، والرسالة دون مقام نبوته، والولاية والنبوة والرسالة في عالم القدرة على هذا الحكم بهذا الترتيب الأول بالوجوب، والثاني بالإمكان.

نفس: الإنسان هو بيت الله المعمور بأرواح حظائر قدسه، وضع أساسه على سوابق أزليته، ورفع قواعده على دعائم لواحق أبديته، وشيَّد بنيانه في حظائر جبروته، ووضع فيه آلاء لاهوته، واختراع عجائب ملكوته، وجمع فيه خصائص مفترقات المصنوعات، وحقائق أسرار الأسماء والصفات، وجعله نسخة إحاطة تأثير قدرته، ولذلك خلق الله آدم على صورته، فإن عمره بأنوار تجلياته، وأسرار أسمائه وصفاته، سجد لَه الساجدون، وسبَّح لَه المسبحون، والسر في السكان لا في المنزل، وإن خلا عن أنوار تجليات الحق تصرَّفت فيه أنواع أجناس الخلق، وكل ما يطلبه أن يكون منه دار قرار، وجنة تمكن استقرار، ومن عز حكم، ومن غلب ألقى إليه السلم.

قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ**﴾ [آل عمران:26].

فمتى استتر وجه الرحمن عن الإنسان صار عبد للأكوان، ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف:36].

نفس: أوجد الله قلب الإنسان بالتوحيد والجمع، وأوجد الإدراك البشري للتمييز والفرق، فمتى استولى الإدراك البشري على القلب الإنساني فرَّقه في مقام جمعه، ونقله الله بعد الموت إلى مقام الحس، وغمسه في وحشة الفرق، وإن غلب حكم القلب على الإدراك البشري رقَّاه الله إليه بعد الموت، وجمعه في حضرة: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى*وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى**﴾ [الضحى:3، 4]، «**ومن جعل الهموم همًّا واحدًا جمع الله همه، وجعل غناه في قلبه**[1]»، ومن تفرَّقت عليه الهموم فلا يبالي الله في أي وادي من أودية الدنيا هلك.

---

(1) إشارة إلى حديث: «من كان همه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه». رواه أحمد (183/5).

نفس: اجلس مع الله على بساط التوحيد، وتأدَّب بآداب التوحيد، وانظر إليه بنظر التوحيد، وخاطبه بلسان التوحيد، فإن أمرك الرجوع إلى عالم الفرق، وكلفك هداية الخلق إلى معارف الحق، فقل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾ [الإسراء:80] [1].

---

(1) قال سيدي أبي المواهب الوفائي الشاذلي في القوانين: حقيقة: أحدية الذَّات غيب في الأزل ووحدانيتها ظهور في الأبد، والواحد القديم ما لا أول له ولا آخر.

دقيقة: عمَلُ التوحيد علْمُه، وعلمه عمَله، لذلك مَن علمه عَمَلٌ، ومَن عَمَل، ومَن عَمِل به عَلِم.

ومَا عَمَلُ التوحيدِ عند محقِّقٍ — سوى فافهم لحكمةٍ وحدةٍ
تُشاهدُ أنوارَ تلوح وتجتلي — وكثرتها تبدو مِن الفردِ فأثبت

حقيقة: توحيد هو تعداد، وتوحيد أنا إفراد.

فإنْ أردت أنْ تستغرق في بحر الإفراد، وتقف على الساحل مع الأفراد، فاجعل توحيدك هو بلا هو، فهناك تذهب بينونة البين، برفع نقطة الغين عن العين بلا أين، في حضرة الغيب والحضور، ويقابل البطون الظهور.

دقيقة: ليس بتوحيدك يتوحَّد الواحد؛ بل هو على كل حال واحد، كما أن العالم عالم كذلك[1].

ما وحَّد الأحَدَ أحد، سبحانك من حيث أنت ما وحَّدك حقيقة إلا أنت، سبحانك لا نحصي ثناء عليك كل ذلك منك وإليك.

راحَ الموحِّدُ والتوحيدُ حين فَنى — وصفُ الموحِّدِ والتوحيدِ بالأحدِ

حقيقة: توحيد الذات في الأزل بشهود الأحدية.

لا تشهد حقيقة بمشاهد أبد الواحدية؛ لأن بالأَحدية كان التجلِّي الأوَّل في حضرة أَحدية الجمع، وبالواحدية كان التجلِّي الثاني في تعين فرقها؛ لذلك اختلف الشهود لتباين المشهود.

دقيقة: التجلِّي الذَّاتي غير التجلِّي الصفاتي؛ لهذا كان في أحكام التجريد لكل حقيقة ما يخصها من التوحيد.

حقيقة: وجوب الذَّات، هو وجوب الصفات، وتعدادها لا يوجب تعديد الذات بذوات، نعم لا هي غينُها، ولا هي غيرها، فقد اتحد المسمَّى، وتعددت الأسماء.

مَا فى التَّكثرِ في الأوصافِ مِن العجبِ — بلْ كونها عينها مع ماترى عجبَ

دقيقة: تعداد الأسماء يدل على تنزيه المسمَّى، حيث تكثر أسماؤه في حضرات سبحانه، وهو موحد في غيب قدس ذاته.

تجلِّي ذات الحق تمحق الكائنات، وتجلِّي صفاته توجب لها الثبات؛ لذلك لم تُطَقْ رؤية الذات بالأبصار، ولا يدرك كنهها بالعقول والأفكار، كيف وأنَّى لجائز حادث سقيم أن يثبت لوجوب الوجود القديم؟!

-

كــلُ المعـــارفِ والعـــوارفِ أغـــرقت ... فـــي بحـــرِ إجـــلالِ الوجـــوبِ الأولِ
يـــا طالـــبا لجـــوازهِ بحـــوازه ... هـــذا الجـــوازُ قـــد اســـتحال بمعـــزلِ

دقيقة: القديم غير الحادث، فإذا اختلفت الحقائق، فقد تعسرت الطرائق.

كـيفَ الوصـولَ إلـى سـعادِ ودونها ... قـنن الجـبالِ ودونهـن حـتوفُ
الـرجْلُ حافـية ومـا لـيَ مـزكب ... والكـفُّ صـفرٌ والطـريقُ مَخُـوفُ

لكن إذا أراد وصولك إليه أفناك عنك، فتراه به كما هو حقيقة يراك.

ومخطـوبةُ الحسـنِ محجـوبةٌ ... فـلا تـألفَنَّ سِـوىَ ألفهـا
إذا مَـا تجلَّـت علـى عاشـق ... وأهـدت إلـيه شـذى عـرفَها
تغـيب الـصفاتُ وتُغنـي الـذواتُ ... بمـا أبـرزَ الحُـسْنُ مِـن لُطفِهـا
فـإنْ رام عاشـقُها نظـرةً ... لـم يـستطع إذ عـلا وصـفها
أعارتـه طـرفًا رآهـا بـه ... فكـان البـصيرُ لهـا طـرفها

حقيقة: لما تنزَّه الواحد بكل وجه عن النهاية انتفى الضدُّ والندُّ عند الغاية.

لا تنتهـي فـيه النُّهـى لـنهايةٍ ... مَـن شَـاء يُطـنبُ فـيه أو لا يُطـنب

دقيقة: نفي السلوب وإثبات الوجوب هما حضرة التنزيه، فيما عليه سبحانه استحال من جائزات المحال.

حقيقة: توحيد الهوية، لا يدرك كُنه الماهية، فوحَّده من حيث هو بما هو على ما هو تكن ممن وَحَّد، ولا في الحقيقة ألْحد.

دقيقة: إشارة هو في التوحيد خاص للخواص، كما أنَّ الإثبات بعد النفي عام للعوام؛ لذلك كانت تلك الإشارة في حضرة محاضر العيان، وهذه العبارة في مقام الدليل والبرهان.

حقيقة: الواقف مع رتبة الدليل بالكائنات محجوب عن عيان المشاهدات قانع بالقشر عن اللباب وإن كان من أولي الألباب.

ألا ترى أنه شتان بين واقف بالباب وبين من هو أهل لكرامة فحوى الخِطاب.

ومـا الـبحثُ فـي الآثـارِ إلا مـبعد ... عن المقصِد الأسنى مِن الغايةِ القصوى
فـلا تقـنعنْ بالقـشرِ دون لـبابه ... ولا تحتجب بالبابَ عن حضرةِ النجوى

دقيقة: شقاشق أبحاث الجِدال أوهام في مهامه الخيال لا تفيد صاحبها غير قعقعة اللسان، مع خلو من الجنان مَن قنع بها زلَّت به القدم، ومَن وقف معها أورثته الندم.

لعمـرى لقـد طفـتُ المعاهـدَ كلهـا وسـرحت طرفـي بـين تلـك المعـالِم

فلـمْ أرَ إلاّ واضـعًا كـف حائـرٍ علـى ذقـنه أو قارعًـا سـنَّ نـادمِ

حقيقة: كل حقيقة أخذتها عن الغير، ودلتك على سواء في السير فهي لك حجاب في الحال والمآل هذا، وإن دققت أفكار الأنظار فطير العناء في جو الخيبة بك قد طار، فاترك العقل المعقول، وكثرة الأبحاث والفضول.

عقـلُ عقلـك بالأوهـامِ معقـولُ قـد قلّـب القلـبُ مـنك القـال والقـيل

تهِـيمُ فـي مهمـه الأوهـامُ مـن ولـهِ أفـاده فـيك معقـولٌ ومقـولُ

نحـت بالفكـرِ معـبُودًا وقلـت بـه وذاك عقـد بكـفِّ الحـقِّ محلـولُ

قـد عـشتَ مـثلك دهـرًا فـي مكابـدةٍ ولـي فـؤاد بهـذا الـداءِ معلـولُ

دقيقة: ما شهد الحقَّ من استدلَّ عليه، وما وصل إليه من زعمَ أنه يسير إليه؛ إذ لو شهده لكان برؤيته في طرب، ولو وصل إليه لزال عنه التعب.

حقيقة: الموحِّد من فنيت رسومه في حضرات التوحيد، وأنِس بالواحد في مقامات التفريد غلب عليه الشهود بمرايا الكائنات، وجلَّى ما تجلَّى له فيها من حقائق الأسماء، والصفات، فأنشأ لسان تحقيقه في مسالك طريقه.

هـذا الوجـودُ وإن تعـدَّد ظاهـرًا وحـياتكم مـا فـيه إلا أنـتم

دقيقة: علامة الموحِّد يا قوم وجدانه في اليقظة والنوم.

جمالُـك فـي مُخيلتـي وطرفـي مقـيم لـيس يخفـى بعـد كـشف

إذا اسـتيقظت كـان بـك ابتدائـي وإنْ أغفـيت كـان علـيك وقفـي

حقيقة: وجود المعارف في أهل العوارف تكسبهم إدراك لحقائق الذوقية، بل العنايات الكشفية وغيرهم ليس له هذا الاتِّصاف ولا خلق الإنصاف.

لـو شـئتَ أنـصفت والإنـصاف محمـدٌ عـند الـرجالِ بـنورِ الحـقِّ كالقـبس

باشـرْ بعقلـك هـذا الأمـر مجتلـيًا مـنه حقـيقة حـق غيـر ملتـبسِ

دقيقة: شهِدت شواهد التوحيد لمن استدلَّ به عليه، وانجلت حضرات التغريد لمن إليه، فطوبى لمن رُفعت عنه الأستار، واستغنى عن الجدال والانتظار.

رفعـت لـنا عـن وجههـا الخِـباَ أهـلاً وسـهلاً بالحبـيبِ ومـرحبًا

حقيقة: غلبة نور الظهور هو الذي أوجد الستور: أيْ ستور النور بالنور.

ومـــا احتجـــبت إلا بـــرفع حجابهـــا   ومـــن عجـــب أنَّ الظهـــور تـــسترُ

دقيقة: ما من شيء إلا دلّك عليه لكنك لا تدري كيف تسير إليه دلت مصنوعاته على وحدانيته، وبرهنت آياته على فردانيته.

وفـــي كـــلِ شـــيءٍ لَـــه آيـــة   تـــدلّ علـــى أنَّـــه الـــواحدُ

حقيقة: قيام القيومية بالمخلوقات هو الذي أوجد لها قيام الصفات، فلو انمحى من عينيك خبال الخيال شهدت في الكون من لم يزل ولا يزال.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

دقيقة: إذا عظم نور المشهود عزَّ إدراكه في الشهود.

ألا تـــرى الخفـــاشَ فـــي الحـــسِّ   لا يطـــيقُ رؤيـــةَ الـــشمسِ

مـــثل الـــنهارُ يـــزيد أبـــصار الـــورى   نـــورًا ويعمـــي أعـــين الخفـــاشِ

حقيقة: ظهور تجلِّي الحقيقة الإلهية، إذا تجلى للحقيقة الإنسانية محا منها ثنوية الناسوت، وأثبت فيها فردانية اللاهوت.

تجلَّـــى لـــي الـــرحمنُ فـــي كـــلِ ذرةٍ   مِـــن العـــالِم العلـــوي إلـــى العـــالِم الـــسفلي

وقـــال كمالـــي حيَّـــر الـــناسَ جملـــةً   وأعجـــز مَـــن ينـــشي الكـــتابةَ أو يملـــي

فإيـــاك لا تـــشهدُ لغيـــر جمالـــه   وقُدســـه إجـــلالاً عـــن الـــبعدِ والقـــبلِ

دقيقة: صنعة الفنا هي التي أوجبت لبعضهم النطق بأنا.

حقيقة: تجلِّي وصفه الباقي أوجب فناء العالم والمعالم، ولسان فردانيته في الإفراد حيَّر المتعلم والعالم.

دقيقة: من الفاعل بالاختيار كانت البداية، وبوصف قيوميته قامت الأكوان إلى غاية لها ونهاية.

فالحظْ بنظر بصيرتك أيها الملحوظ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:22,21,20].

حقيقة: حيطة حضرة ذاته محيط بصفاته، وحيطة صفاته محيطة بسبحات أسمائه، وأسمائه فعالة في الكائنات بما أودعها من بدائع التجلِّيات.

دقيقة: من حكمته ستر ظهور الذَّات بحجاب مظاهر الصِّفات، واختفي بما به ظهر من الكائنات، وغاب بما به حضر، وحاضر من التعرفات.

حقيقة: حضور العبد حضور العجز عن محاضرته في حظيرة مشاهدته، ومطالعته هو نهاية من اعترف وذاق الشراب واغترف.

نفس: الإنسان هو بيت الله الذي وضعه لنفسه، وجعله جامعًا لحظائر قدسه، فإن خلا عن الحق تصرَّفت فيه أنواع أجناس الخلق، واختصم فيه الملك والشيطان، وأنفس المعدن والنبات والحيوان، والحكم للغالب، ومتى تجلَّت فيه الأسرار الإلهيَّة، وظهرت فيه الأنوار الربَّانية، وبرزت إحاطة الذات بحقائق الأسماء والصفات، أسبلت عليه سرادقات إلهية وربَّانية، وجلله جلال العظمة الإلهيَّة.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:11].

نفس: قلب القطب هو اسم الله الأعظم، ووجه ذاته الأكرم، الذي قام به الخلق

-

والعجزُ عن دركِ الإدراكِ شمسُ ضحى جـرت بهـا فـوق جـو الـشكِ أفـلاكُ

دقيقة: العجز سلب، والإدراك وجود، فكيف جعل الصديق ذلك غاية المقصود؟!
نعم تفهمه إذا أدركت حقيقة الفنا، وتتحقق به إذا تجلَّت به لك الحسنى بأسمائها الحسنى.
حقيقة: تجلِّي الحقيقة الإلهية للأكوان يتفاوت بحسب الاستعداد والإمكان، لذلك من القوم من يملك الحال، ومنهم من يملك المقام، ومن يملك المقام؛ يثبت له التجلِّي على الدوام.
دقيقة: لما تجردت الحقيقة الذاتية عن الاتِّصاف تكون معناها في القابل لها من الأوصاف، لون الماء لون إنائه، يسقي بماء واحد ونُفضل بعضها على بعض في الأكل.

علـى قـدركِ الـصهباءُ تعطـيك نـشوةً ولـست علـى قـدرِ الـسلاف تُـصابُ

ولـو أنهـا تعطـيك يـومًا بقـدرِ مـا لـضاقت بـك الأكـوانُ وهـي رحـابُ

حقيقة: تجلي الحال في المشَاهد بحسب ما أعِطَى المشاهد، فالعوام لا يشهدون غير مشهد حسن الصورة الحسية، والخواص رفع لهم الستر عن صورة الحسّ المعنوية. التي تجلَّى بها اسمه تعالى الظاهر في جميع الأكوان بكل المظاهر.

تـراه إن غـاب عنـي كـل جارحـة فـي كـل معنـى لطـيفٍ رائـقٍ بهـجِ

فـي نغمـةِ العـودِ والـناي الـرخيمِ إذا تألَّفـا بـين ألحـانٍ مِـن الهـزجِ

وفـي مـسارحِ غُـزلانِ الخائـلِ فـي بـردِ الأصـائلِ والإصـباحِ فـي الـبلجِ

دقيقة: المزاحم على برقشة الجمال السفلي محجوب عن شهود الجمال العلوي[1]، فاترك المضايقة في طريق المركز الأدنى، وارق بهمتك إلى الأوج الأعلى.

والأمر، وعليه مدار السر والجهر، «وكل قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابعه[1]»، كقلبٍ واحدٍ، فهم ألسنته الناطقة، وكلماته الصادقة، وأقلامه الفاتقة والراتقة، ولو برز جامع عالم القدرة لفسد نظام عالم الحكمة.

قال تعالى: ﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:27].

نفس: القطب معلومٌ بالغيب، مجهولٌ بالعين، معروفٌ عند الحق بالحق، متنكرٌ عند الخلق بالخلق، يأتي الله لكل صورةٍ بحقها في صورة جمع فرقها، حتى لو جاءهم في غير الصورة التي يعرفونه فيها، ويعبدون الله من وجهها، قالوا: إنا نعوذ بالله منك، وحمدوا على تعوذهم وإنكارهم، حتى يُتصور لهم في صورة معبودهم الذي عرفوه، ويتجلّى لهم في صورة تربيتهم الذي ألفوه، أقرُّوا به وصدقوه، واتبعوه من ذلك الوجه، ووافقوه.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51].

نفس: القطب اسم بدل من اسم الله ﷻ، وهو المهيمن على أسماء النزول كما أن اسم الله تعالى هو المهيمن على أسماء الرفيع الأعلى، وكما أن لله تسعًا وتسعين اسمًا كذلك للقطب تسعًا وتسعين اسمًا، كل اسمٍ من أسمائه تعالى هو عين غيبه، وظاهر باطنه، ووجه ذاته، وتجلِّي أسمائه وصفاته، فمن عرفه عرف الله، ومن ينكر عليه فلا حول ولا قوة إلا بالله.

نفس: العوالم ثلاثة: عالم الملك، وهو قابلٌ للأفعال الإلهيَّة فقط.

وعالم الملكوت وهو قابل للتجليات الإلهيَّة.

وعالم الجبروت وهو قابل للحقائق الإلهيَّة.

الأول بالفعل، والثاني بالصفات، والثالث بالذات، والإنسان عين الجمع ونسخة الكل، وإنما هو الحكم للغالب، يموت المرء على ما عاش عليه، ويُبعث على ما مات عليه[2].

---

(1) رواه مسلم (2045/4).

(2) قال سيدنا المصنف في الشعائر: تنقسم الممكنات إلى ثلاثة أقسام: قسمٌ هو عالم الأمر. وقسمٌ هو عالم الخلق. وقسمٌ هو عالم الكون.

نفس: الإحاطات تنقسم إلى أربعة أقسام: حقيقة، وحق، ووهم، وخيال.

فالعقول الإلهيَّة الذاتية في نظام سلك الحقيقة، والأنفس الربَّانية الجبروتية في نظام سلك الحق، والعقول الملكوتية الخلقية في نظام سلك الوهم، والصور العينية الكونية في نظام سلك الحال، وقد انحصرت القسمة في هذا المقول، فمن فهم سلم، ومن جهل ندم، وأن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

نفس: الخواطر الزائدة هي الأرواح المجردة عن أجسام بني آدم، ترد إلى قلوب أمثالها إذا استعدت لقبولها، بحكم ما تجردت عليه، وشاهده شرعًا: «**يموت المرء على ما عاش عليه ويُبعث على ما مات عليه**[1]».

وكل خاطرٍ له لسان وعلم، وحكم، وخلق، ومقصد، ومنحا، فمنها الإلهيات، ومنها الربَّانيات، ومنها النبويات، ومنها الملكيات، ومنها الجانيات، ومنها الشيطانيات، ولكلٍّ منها ورود مختلف قد ترد نفسانية، وقد ترد جانية، ومن هنا يُعرف الاطلاع على البرازخ الملكوتية، والله الموفق.

نفس: ينقسم العالم إلى قسمين: عالم الأرواح، وعالم الأجسام، ثم يتفرع إلى أربعة فروع: نبوية، وأرواح ملكية، وصور آدمية.

العقل الأول أبو الأرواح النبوية، كما آدم أبو الأرواح البشرية، وكذلك جبريل أبو

وينقسم كل عالمٍ إلى أربعة أقسام: عقول، ونفوس، وإدراكات، وأجسام، فلكل عقلٍ علم، ولكل نفسٍ خلق، ولكل إدراكٍ مخيلة، ولكل جسمٍ طبيعة، على قوته وروحانيته، أما العقول فلها صور تجليات مفارقة للكيفيات، مطابقة لعلومها وللنفوس، صور تمثلات مجردة عن الحصر، مطابقة لاختلافها وللإدراكات صور تشكلات مناسبة لأكياف مخيلاتها، وللأجسام صور تركيبات مطابقة لأوضاع طباعها، فعالم الأمر بما فيه من عقول وعلوم ونفوس وأخلاق، وإدراكات، ومخيلات، وأجسام نورانيات، ولطائف روحانيات، حضرات الجبروت، ومرائي تجليات اللاهوت، وعالم الخلق بما فيه من عقولٍ وعلومٍ ونفوسٍ وأخلاقٍ، وإدراكات، ومخيلات، وأجسام، وروحانيات، حضرات ملكوت الرحموتيات، ومرائي تجليات الرحمانيات، وعالم الكون بما فيه من عقول وعلوم ونفوس وأخلاق، وإدراكات، ومخيلات، وأجسام، وطباعات، حضرات ملك الملكيات، ومرائي تجليات الربَّانيات، الأول في نظام المحمديات، والثاني في نظام الجبريليات، والثالث في نظام الآدميات، وعين الجمع في نظام: بسم الله الرحمن الرحيم، ومن ثم ينقطع الخبر، ويمتحي الأثر، وينطفئ سراج الفكر.

(1) رواه مسلم (2206/4).

الأرواح الملكية، كما أن إبليس أبو الأرواح الجانية، وما من صورةٍ آدميةٍ بشريةٍ إلا ولها صورة روحانية نبوية، تتجلّى عليها، وتشرق فيها، فتأمرها وتنهاها، وتلهمها فجورها وتقواها، ولكل صورةٍ آدميةٍ قرينان: قرين ملكي، وقرين جاني، يتغالبان، فإن غلب الملكي على الجاني حصل الصفاء في الجوهر المائي برسوب جوهر التراب، وأشرقت الروح النبوية الآمرية، فظهرت بما في صورتها من التجلِّي، كما يظهر شكل الرائي في المرآة، فإن غلب الجاني فإما أن تكون غلبته متقاربة، فتكون نسبته قريبة من الملكية، وإن كانت متباعدة كانت شيطانية، فيغلب الكدر، ويُحجب البصر، وينقطع الخبر.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:40] وهذه الروح الآمرية هي التي تحاسب العبد يوم القيامة، وتجازيه بشاكلة عمله.

قال تعالى: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

قال ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**[1]».

نفس: من صدق الله صدق الله عليه، وصدق الله في التجريد، والتجريد نفي قضية الإضافة، والمجرد هو الذي لا يُضاف ولا يُضاف إليه.

نفس: تجريد الظاهر هو الخروج عن كل صورةٍ يدل عليها غير المقصود، وقطع كل علاقةٍ تمنع دون المطلوب، وتجريد الباطن نفي الخواطر الواردة على القلوب، ورفع الأوهام الساترة للأبصار عن مطالعة الغيوب.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذرهم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:91].

نفس: الإحاطات المطلقة سببان: الوجود، والعدم، الأول هو الذات الموصوفة بالذات، والثاني هو الذات المجردة عن التصورات، والمطلق هو الذي لا تحصره الحدود العقلية، ولا تميزه التصورات الذهنية، ولا الخارجية.

أما الإحاطة فهي على قسمين: بالذات والصفات، والقوة والعقل، الأول يخاطبه بالتجلِّي يتعين لا في غير، ولا هي عين كالبحر، وما تموج منه إن تعين فمنه، وإن بطن ففيه، وهو هو، والثاني يقع بالمغايرة لتحكم الوهم والبحر، وما سبح فيه، وكدود الخل

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (1225/2).

وذكر قول الشيخ الأكبر بأنه وإن لم يصح من طريق الرواية لكنه صح عندنا من طريق الكشف، وقد صححه السيوطي وشرحه برسالته: «القول الأشبه».

مثلاً، يظهر منه منفصلاً عنه، الأول وجوب، والثاني إمكان.

نفس: الحضرات الإلهيّة ثلاثة: حضرة أفعال: وهي شهود الأرواح السريانية في الأشباح الظرفية، وحضرة صفات الذات: وهي شهود جمع الجمع، وارتفاع حكم الغير في العطاء والمنع، الأول بالحلول، والثاني بالاتحاد، والثالث بالوحدة، ومن تحقق بالوجود في إحاطة العلم انتفى عنه توهم الريب؛ لأن الإمكان حروف وظروف، واتحاد الواجب به كاتحاد المفهوم بالمنطوق، وكحلول السر في العلن، لا أنه كالماء في اللبن.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:40].

نفس: الإحاطات العالمية على قسمين: عالم القدرة، وعالم الحكمة، الأول يفيضه الرحمن بالقدرة والتجلي، وهذا التجلي على قسمين: قسمٌ هو حقائق الإمكان، وهي حقائق مستعدة لقبول الفعل، فالستة أيام التي خلق الله فيها السموات والأرض، وهي الحواس الخمسة، والحس المشترك، والثاني العقول الإلهيّة المؤثرة بالذات، والمحيطة بالصفات.

وأما العالم الثاني وهو عالم الحكمة، يفيضه الروح بالقوة والفعل، وكل صورةٍ وقعت بالفعل، إن قسمت بالهيولانية، الواقعة بالتجلِّي الأول، فالمحو والإثبات والتبديل والتغيير واقعٌ على صورة الأفعال، لا على الحقائق الموجودة بالقدرة والتجلِّي.

نفس: الأحدية نعت الذات المطلقة، وهي التي لا تقبل الثنوية مطلقًا بوجهٍ من الوجوه، «**كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان**»[1].

---

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى (363/6)، والطبري في التفسير (4/12).
وقال الشيخ العطار في كشف الأسرار: أي وهو الآن على ما عليه كان.
كما قال ذلك بعض العارفين، وهذا هو التوحيد الخالص. بخلاف ما ذهب إليه الحكماء، وزعموا أنه هو التوحيد، فنفوا صفاته الزائدة على ذاته، وقالوا: إنه تعالى علة العلل وقديمٌ لم يزل، ولم يشعروا أن العلة تقتضي معلولاً، وأنه تعالى يكون محل الصدور، فيثبت الأين معه تعالى.
وقد كان تعالى غنيًّا عمَّن سواه، أحدًا من كل جهةٍ، فبطل ما ذهبوا إليه من دعوى التوحيد الخالص، مع ما لزمهم مما ذكرناه.
وأما ما ذهب إليه السادات من إثبات تلك المرتبة المتقدمة فهو مما لا غبار عليه.
وهو أول المراتب وأعلاها، والمرتبة التي تحتها هي أن يؤخذ الوجود الحق بشرط شيء: أي

والوحدانية أصل الكثرة بالتجلِّي، ومنشأ العدد بالفعل، والفرادنية هو تمييز الواحد الأول، بالمرتبة الخاصة المخصوصة بالنعوت الإلهيَّة الربَّانية والصمدانية، هو الذي لا منه شيء، ولا هو من شيءٍ، ولا في شيءٍ.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ*لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1: 4].

فالأحدية نعتٌ لله، والوحدانية نعتٌ للرحمن.

نفس: اعلم أن الدوائر على قسمين: دوائر وجوب، وهي تسعة وتسعون دائرة، والدائرة المحيطة، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وكل دائرةٍ متصلة على تسعة وتسعين اسم من الأسماء، ولكل دائرةٍ اسم مهيمن عليها بما فيها وما لديها، فعلى هذا التقدير ما من اسمٍ حاكم في دائرةٍ إلا وهو محكومٌ في تسعة وتسعين دائرة، والدائرة المحيطة شملت التسعة وتسعين دائرة، والاسم المهيمن فيها والحاكم عليها هو الله، والقسم الثاني دوائر الإمكان، وهي تسعة وتسعون رحمة، والرحمة المحيطة، «ورحمتي وسعت كل شيءٍ»، وأسماؤها هي أسماء النزول، كآدم، وموسى، وعيسى، ويوسف، وإسحاق، ويعقوب، إلى غير ذلك من الأسماء العظام، والوجوه الأجلة الكرام، وما من دائرةٍ من دوائر الرحمة إلا ولها مدد من دائرةٍ من دوائر الأسماء الحسنى، فمن فهم ما تضمنه هذا المقول علم الفرق بين الأقطاب الملكية وبين الأقطاب الإلهيَّة، فمن تحقق

بشرط جميع الأشياء اللازمة له: كليِّها، وجزئيِّها، المُسماة بالأسماء والصفات، النسب الإلهية التي لا توصف بوجودٍ ولا عدمٍ، وهذه المرتبة تُسمَّى مرتبة الألوهية، ومرتبة الواحدية، ومقام الجمع.

قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: 163]: أي من ترجع كثرة الأسماء والصفات إليه، وهذه المرتبة باعتبار الإيصال لصور الأسماء - أعني الأعيان الثابتة والحقائق الكونية- إلى كمالاتها على حسب استعداداتها في الخارج تُسمَّى مرتبة الربوبية: أي مرتبة الأفعال الإلهية، كالإحياء والإماتة، والقبض والبسط، والخفض والرفع، إلى غير ذلك من الأفعال المُسمَّاة من جهةٍ بالشئون الإلهية.

قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوفِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، وقد أشير إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ [الرحمن:31]: أي من هذه الشئون، وهي: أي مرتبة الربوبية تقتضي مربوبًا، كما أن الإلهية تتطلب مألوهًا..انتهى.

باسمٍ من الأسماء الحسنى كان قطبًا في دائرةٍ من الدوائر العُلى.

وأما من تحقق باسم الله الجامع المحيط فهو القطب الفرد الغوث، الجامع المخصص بالميراث الإلهي، والاستواء الرحماني، والتجلِّي الربَّاني، ومن تحقق باسمٍ من دوائر الرحمة كان قطبًا عن أقطاب الوتدية، المتصرف بروحٍ من الأرواح الملكية، المخصوص بالرحمة الواسعة الكلية، هو الوتر الأكبر، وارث النور الأزهر، المنفهق عن الرفرف الأخضر.

قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:60].

وقال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً﴾ [الأنبياء:79].

نفس: اعلم أن الذات مفيضة للحقائق بالذات، لا كالإفاضة الاختيارية، فما من مرتبةٍ من المراتب العقلية إلا ولها حقيقة ذاتية.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر:21].

وكما أن المرتبة لا تحكم على الحقيقة، ولا تؤثر فيها كذلك الحقيقة، لا تحكم على الذات ولا تؤثر فيها، كالضارب والضرب والمضروب، ومن الحقائق الذاتية المغايرة وما هو من أنواعها، وهي لغيرها من الحقائق لا تحكم على الذات، ولا تصدق عليها، فإذا تجلَّت الذات صدقت على كل شيءٍ لا بحكم المغايرة، ولا تصدق عليها؛ لأن الغير صادق على كل شيءٍ، وقيام الحقائق في الذات كبطون النخلة في النواة، بما فيها من أقوية مراتبها التي تعين عند بروزها، فكل شيءٍ هالك بالمرتبة لا بالحقيقة.

نفس: القطب هو الواحد الموجود المعجوز عنه.

والفرد هو المفرد بالاطلاع على مراتب القطب، على شهود من لا تدركه الأبصار.

والغوث هو قابلة تنزلات الإفاضات القطبانية بإمداد الأمر، والخلق من حضرة الملك الحق.

والخليفة هو بدل الغوث في مقام الفرق.

والإمام هو بدل الفرد في مقام الجمع.

والمحقق هو رابطة الجمع في عين جمع الجمع.

وقطبية الأوتاد وما يتعلق بها أبدال أبدال القطب الغوث الفرد الجامع.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ*بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج:20، 21].

نفس: روح الأمر من كنز عالم القدرة، وفيه يتعيَّن غيب الوجوب بالتجلِّي من أسماءٍ حسنى، وصفات عُلا، ومراتب أجل وأعلا، وكذلك ما يكون من ملكيات الملأ الأعلا بالعرش والكرسي واللوح والقلم، وما يكون من عالم البقاء، الذي لا ينقطع ولا يفنى، وروح الخلق من كنز عالم الحكمة، وبه يتعيَّن ما فيه من الأشباح الروحانية، والصورة الجسمانية، وهو يبطن في ظهور عالم الكون كما يبطن عالم اللون في ظهوره، وهما الملك والملكوت، والدنيا والآخرة، وما فيها من مسموعات ومبصورات ومحسوسات، وهذا الروح هو الأفق المبين، كذلك روح الأمر هو الأفق الأعلا، يظهر ويبطن عند ظهور الجبروت في الحيوان، ويظهر عند بطون الجبروت فيه.

نفس: كل موصوفٍ مقيَّد، وكل منعوتٍ منحصر، فما من الوجوب والإمكان مرتبة إلا وهي كذلك، وأما ذات السلوب وهي الحقيقة الإنسانية، وهي عدمية لا يحصرها الإمكان، ولا يصدق عليها الوجوب، فمتى حصلت في مرتبةٍ من هذه المراتب، وتقيَّدت مجازًا بالوهم ذهب ريحها، وانقطع خبرها عن مبديها، فإن تجرَّدت حقيقتها ورجعت إلى أصل سلوبتها بعدما تحصل فيها أقوية العالمين بما علمت من الأسماء، ونفخ فيها من الروح، صارت وسطًا بين الوجوب والإمكان، وسرًّا فاتحًا بعد ختم هذا الدور على الترتيب السابق واللاحق، والله ولي التوفيق.

نفس: فطرة الله هي الحقيقة القابلة للوجوب مطلقًا، وصبغة الله هي الحقيقة القابلة للإمكان مطلقًا، فما وقع في الأول من الإمكان قلب عينه وجوبًا، وما وقع في الثاني من الوجوب قلب عينه ممكنًا، وهذا من وجه المراتب لا من وجه الحقائق؛ لأن الحقائق لا تنقلب من حيث هي هي، فإذا قال الله كلمة وجوبية وقعت في الصبغة خلقًا حادثًا، وعينًا كائنًا، وإذا قال الجامع لأعيان الكلمة الكونية، والكلمات الخلقية، كلمة وقعت في الفطرة حقًّا قديمًا، وربًّا قيومًا، فكلام الله صادرٌ من الفطرة إلى الصبغة.

وكلام المخصوص صادر من الصبغة إلى الفطرة، وما عداه قاصر على الصنعة، فإنه هو الذي ذكر الله في نفسه على الحقيقة، بذكره الله في نفسه على الحقيقة، ونفس الله ذاته، وذكر الله الذاتي قديمٌ أزليٌّ، فذكر الله بالذات تعين مذكوره في أزليته بالذات، وما عداه يذكر الله في ملأ، ويذكره الله في ملأ خيرًا منه، وهذا ذكر بالصفات والأفعال.

قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:45].

وقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النور:19].

نفس: أرباب الأفلاك هي الملكات المفيضة لمراتبها، والمديرة لأكوانها، والمصرفة ملكات خصائصها وصفاتها، والربوبيات الإنسانيات هي ممدة أرباب الأفلاك، وإفاضات الأملاك، والجامع المخصوص من الإنسانيات مخصوص بالاستواء الرحماني، والسر الجامع العرفاني، والنور الرحيمي الواسع، الفاصل الفارق، الجامع المربع بالمحيط، والعظيم والمجيد والكريم في نظام بسم الله الرحمن الرحيم، هو محمود الأرباب الإنسانية، والتصرفات الربانية، وله سجد الساجدون، وسبح المسبحون، وهو الوسط المختار بين الإفاضات الإلهيَّة، والتصرفات الربَّانية، وهذا الوسط هو المطلع على سر الأزل، الذي لا يخبر ولا يخبر عنه، وهذا السر الأزلي هو الساري مع الهوية السارية في أعماق بسم الله، الباطن الذي لا تحكم عليه الحقائق، ولا تخرج عن إحاطته الرقائق ولا الدقائق، ولا إله إلا الله، محقق نفي ما ثبت، فالجلالة للرحمن الذي هو رب الأرباب، عن كل رب ملك وملكوت، ودائرة عز وجبروت، وإلى علمٍ انتهت هذه المشاهد، والله على ما أقول شاهد.

نفس: كلمة الأزل وقعت بالوحدة في أسماع قوابل الكثرة الأبدية، فتعيَّنت كل كلمةٍ بالرحمانية ففتحت دورًا كاملاً، وعالمًا لكل شيءٍ شاملاً[1].

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:38].

فإذا انتهى علم كل عالمٍ، والله بكل شيءٍ عالم، استخلفت الكلمة الروحانية على الدور منتهى رحماني من الانفهاق الإنساني، وكل كلمةٍ كذلك، ولا بداية لذلك، ولا نهاية لَه كذلك، وهي لا يحصرها العلم عددًا، ولا ينقطع حكمها أزلاً وأبدًا.

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف:109]، وكانت وما زالت على هذا النظم المؤتلف بفتح وتختم، وتستخلف وهي تسير ولا تقف، ويستمر الأمر ولا يختلف.

---

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ: الأزل في الأبد سر في علن، ومعنى في الكلام الذي ما ورد في الأسماء الحسنى لأنهم في نظامه، والمسميات في نظام قيوميته قيامه في كل كلمة من كلامه على كل نفس من تجلياته أقام فيه دوائر وجوه حضرات عين إجماع مرأى قوابله، وهذا هو الوجه الباقي في العين القائم عرش الإحاطة مربع بوجوه الحضرات.. وانظر: كتاب الأزل لسيدنا قدس سره (ص84).

نفس: حصول تجلِّي الواحد في آحاده يقع في كل واحدٍ وقوعًا كليًّا، وإن كان جزئيًّا بالنظر إليه، فإن كل واحدٍ من آحاده شخص منفرد بجملةٍ ما كلية، والواحد المحيط بالكل هو الذي يحصل في كل جزءٍ، وعن أجزائه بكله انحصار أنواع المجردات في أشخاصها، فهو محيطٌ بالكليات، عالم بما في الجزئيات على انفرادها، لا يتعدَّى علمه في كل جزءٍ، ولعلم ما في الجزء الآخر.

ومثال ذلك: كشخص وُضع بين يديه مرآة متعددة، ثم قابلها بحيث يظهر في كل مرآةٍ شخصٌ، الحاصل منه في المرآة منحصر في قابل مفرد، لا اطلاع له على القابل الآخر، والمقابل حاصل للقوابل في كل واحدٍ بكله.

نفس: هذا كتابٌ من الملك العظيم إلى القلب السليم، بسم الله الرحمن الرحيم:

أيها القائم بالحق، والمفارق بالخلق، والمتوجه بالصدق، والمؤمن بالغيب، والسالم من شوائب الريب، قد نظرتك نواظر العناية، ولحظتك لواحظ الرعاية، ونشرت لك في الملأ الأعلى ألوية الولاية، وتوجهت إليك وجوه الحضرات القدسية، وتنفست لديك نفائس أنفاس العلوم اللدنية، وانقادت إليك قواد الدولة الربَّانية، وسعت لسعة توسعات سعادتك جنود الأفلاك العلوية، ورمقتك لواحظ ألحاظ الأسماء الحسنى، بمحاسنها الإحسانية، وتقدمت إليك صفوف الصافين، وكبكبة الكروبين، وزمر الحافين والروحانيين في مطالع بوادر الواردات الرحمانية، وجاءك تقليد الخلافة الأبدية، وتشريف الولاية الأزلية، بتمكين المكنة الإلهيَّة، فتقدم عند ورود هذا الجند الذي لا يعلمه إلا هو؛ لمقتضى ما ضمناه في هذا المرسوم من نثار نظام بسم الله الرحمن الرحيم، ثم تسمَّى بما ورد عليك من الأسماء، وتجلى بما اتحفت به من أئمة جلالة العلي، واحكم بما يراه رأيك مما تحب وتشاء.

قال تعالى: ﴿لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى﴾ [طه:77].

نفس: إذا برز وجه التحقيق من غيب فؤاد الصديق تطاولت أعناق العقول إليه، وشخصت أبصار البصائر لجلال جماله، وحنَّت أرواح الشهود إلى مشاهدة كماله، وتلفتت لفتًا الأنفس المطمئنة إلى نفائس أنفس نفحاته، وتدفقت حياض بدائع الألفاظ لآل جوامع كلماته، ومد رواق رونق بهجة الحياء على أعين عين لمحاته ولحظاته، وأطلع أقمار الحكم في آفاق سمواته، ونبه تالي كلامه بإعراب ألحان وارداته، همم

الإلهام في دجنة ليالي خلواته، واستأنفت سمار الأسحار مبادئ جريان مناجاته، فكم من بصرٍ طامح، وذي سرٍّ بائح، وواقف خائف، وناطق واصف، ومنصف عارف، وعاشق رامق، ومخبر صادق، وكلٌّ يقتطف من زهرة نباته، ويشعل مصباحه من أشعة مشكاته.

نفس: الحقائق التي بطنت في الأزل بالغيب هي التي ظهرت في الأبد بالعين، وهي ثلاثة أسماء: الله، الرحمن، الرحيم.

فالله تعالى هو القائم بتمييز المراتب من حيث هو علم ومعلوم.

والرحمن تعالى هو صورة ذلك المعلم، وعين جمعه، وله الوجود.

والرحيم مشتقٌّ منه، وهو قابلته بفيضٍ فيه بالتجلي، والوجود ما بطن فيه من مراتب العلم، وفي الإنسان يتعيَّن الأبد بحقائق الأزل، في نظام بسم الله الرحمن الرحيم.

نفس: العقول الإنسانية هي مواسك السموات والأرض، والأفلاك متحركة بحركات الأنفس البشرية، وإليها تنتهي قضايا كل متحركٍ عنها، ولما حصل الحق في الإنسان، وإليه يرجع الأمر كله إذا استوى ما حصل فيه بالوجود مستوى الرحمانية.

نفس: استمعوا أيها المستمعون، واعلموا أيها العالمون، أنكم في حضرة قيوم القيامة، وهو قائلٌ لكم، فتفقَّهوا مقاله، واحفظوا مقامه، وعزوا كلامه، فإنه هو الحق الناطق، وعين الخبر الصادق، والأمر الفاتق الراتق، حاشر أصناف الخلائق، ومحقق أسرار الحقائق، وهذا مؤذن الأزل على صومعة الأبد، وقد نادى بلسان الأحد في أسماع: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ [الإخلاص:1، 2]، اتصل المدد، وانتفى حكم الأحد، وجاء الحق فيما وعد، وقد أسبغ سوابغ النعمة، وبسط بساط الرحمة، ونظم قلائد الحكمة، وقد صدقت الكلمة، وبرز عرش العظمة، وثبت راسخ القَدم على صراط القِدم، وتفتقت الجيوب، وكُشفت الغيوب، وقال الله: أنا الله، غالبٌ غير مغلوبٍ، تسمَّيت للذوات بأسماء الوجود، وللحوادث بأسماء القَدم، وللأرواح بأسماء الحياة، وللعقول بأسماء العلم، وللأقلام الناطقة بأسماء الكلام، وللأرواح الحافظة بأسماء السمع والبصر، وللأنفس بأسماء الإرادة والقدرة، ثم أعطيت كل شيءٍ خلقته من خلقي، وتخلقه من خلقي، وصنعت كل مصنوعٍ بصنع صنيعي ومصطنعي، فهم في حجاب الوجود والوجوب والحدوث والتخلق والعلم والحياة والكلام والإرادة

والقدرة والسمع والبصر والصنع، محجوبون بما علموا في كل ذلك من الأسماء عن المسمَّى، والمسمَّى اقتضى بالذات ألا يُسمَّى، فالأسماء واقعةٌ عليه بالمجاز، ولا بدَّ للعلة الغائبة من مقدمات المادة والصورة والوضع، وقد وجب لهذه الغاية بعد التجريد من مقدمات الحصول في الوجود الموجب بالذات والموجد للعقل.

نفس: أخبرني خاطر من خواطر الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو إخبار خبره لا إخبار خبر، يقول الله تعالى: عبدي اجعل شهودي في قلبك أجعل لك نورًا تمشي به بين الناس، واجعل نظرك إلَيَّ في كل شيءٍ أملأ بصرك حسنًا ملائمًا، وبصيرتك جمالاً مطلقًا، فلا يعارضك القبح ولا تعترضك المنافرة.

نفس: سألت خاطرًا من خواطر النظر الصحيح عن حقيقة الحق وتحقيق الوهم فقال: كل شيءٍ أدركه الحس وصوره العقل، وقاس عليه كيفية غائب [حظه] بالمسموع، فهو كخبر الواحد الذي يحتمل الصدق والكذب، وكل غيبٍ شهده القلب الصحيح من سقم الفكر، وقطع به قاطع اليقين فهو العلم الذي لا يحتمل النقيض.

نفس: اعلم أن القطبية على قسمين: قطبية في العلوم اللدنية، وقطبية في العلوم الدينية، والفرق بينهما أن الأولى علوم تعريفية، والأخرى تكليفية، وكل واحدٍ ينقسم إلى ثلاثة مراتب: الولاية، ثم النبوة، ثم الرسالة، وفي اللدنية بالعكس؛ لأن الأولى في الديانات: من تولى الله بأوامره ونواهيه، وفي اللدنية: الولي من تولاه الله. أما بالذات: فإذا أحببته كنت هو، أو بالصفات: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به[1]»، أو بالأفعال: «افعل ما شئت مغفورٌ لك[2]»، والجمع بينهم كمالٌ لا يُدرك، والنبوة اللدنية والرسالة الدينية سارية في أعماق الروحانية بدرجة الجلالة مع الهوية السارية، والله عليمٌ بذات الصدور، وإذا فهم هذا الخطاب علم الفرق بين الموسوية والخضرية، والله ولي التوفيق.

نفس: الرحمن رئيس عالم القدرة، ومفيض عقوله الإلهيّة، المتَّصفة بالصفات الربَّانية، وهي حقائق قادرة على التجلِّي والتأثير، وهي ألسنةٌ تكوّن كل كونٍ في عالم الإمكان، إلا الإنسان فإنه كلمة الرحمن، ورئيس عالم الأكوان، وله سجد الساجدون،

---

(1) رواه البخاري (2384/5).

(2) رواه مسلم (2112/4).

وسخر له ما في السموات وما في الأرض أجمعين، خلق الله آدم على مثل صورة الرحمن، وكلمة الرحمن انتجت في عالم الإمكان الإنسان، وهي كن، وكلمة الإنسان تنتج في عالم الإيجاب، الرحمن وهو لا إله إلا الله، والله حقيقة كل حقٍّ، ونور كل أمرٍ، وخلق لا فيه غيره، ولا معه سواه، الأبد والأزل في حقه سواء، ولله الأسماء الحسنى والصفات العُلى، يستتر ويتجلى، يظهر كيف شاء ويخفى، ويتنزل ويترقَّى من العرض الأدنى إلى العرض الأقصى.

قال تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:50].

نفس: قال لي من لا يسمع غيره، ولا يخبر عن سواه: أيها الذات المجردة بيد السلوب عن لباس الإثبات المتوهم، سميتك بالاسم الذي لا يغاير مسمَّاه قبل القبل، ووصفتك بالصفة التي لا تزيد على موصوفها، حيث ينقطع تصور العقل، وجعلتك في مقدمة الوجود المطلق؛ لتكون ضابطًا للجمل والتفاصيل، وجزءًا لتكون جامعًا لنظام المفترقات، وظاهر لتكون عنوان ما لا يتعين في الذهن ولا في الخارج، وباطنًا ليتحير في معرفتك أدلة النظر، حرست سماء عزتك شهب الأوهام الثابتة، وانقطع سير الروح عند منتهى تصور صورتك الجامعة لسدرة المنتهى، وقفت دون قاب قوسين أو أدنى من مقام قربك أقدام قدم الشديد القوي، مراماه بوارق بريق إشارتك من خلف خليفة الخلفاء، كان نزولك من القوة بالفعل، وتعينك بالروح والجسد، وتنكيرك بالتسمية والوصف، فرق جمعك العقول المتوهمة، قضية الأنا والأنت، صورتك المجردة في داخل الذهن، تتلو بلسان من لا تدركه الأبصار، ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعًا وكرهًا، فطرتك السليمة من آفات حوادث الحدوث، مثلها الأعلى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:123]، سر إسرائك يعلن بلسان العلي: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى:1].

مقدمة فاتحة كتابك المكنون: بسم الله الرحمن الرحيم، نزولك إلى سماء الدنو في معارج: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]، بجمالك لا يخرج عن إحاطته شيء حظ كل همةٍ، توهمت الاهتمام بالترقي إلى نهايتك التي لا ينتهي إليها حضيض محض العجز، نقيضك مستحيل الوجود كالضد، وخلافك ممتنع الجواز كاجتماع المثلين، كل شيءٍ عندك كمنزلة حوى عن آدم ظهورك في كل حينٍ من الدهر، كتمثل الروح لمريم

بشرًا سويًّا، روح أمرك فاتق كل رتقٍ، لسان كلمتك الصدق، يخلق خلقه كل خلق، إمكانك المكين مكنون بلسان قولك: كن فيكون، تمكين إمكانك جرده عن المكان والكون، وبعد فأنت المعجوز عن الإحاطة بكنه ما هو، فأنت لا تدرك ولا تترك.

نفس: وجود الحق الواجب لا يكتسب، وإنما هو مستفادٌ بكمال الاستعداد، الذي هو شرط حصوله عقب كماله وجوبًا لإيجاده، وإنما يكمل الاستعداد بسر السلوب الذي جاوز المعدوم والمنفي، فلا يتصور امتناع قبوله لشيءٍ حتى الجمع بين النقيضين وما ماثله.

نفس: أقول بلسان شاهد الوقت، وهو شاهد نفي محض، وعجز في سلوب بالغ قولاً يعبر عما لا يتحصل تصور مفهومه إلا للعقول الإلهيَّة، بعبارة مصطلح منطقي ليتنزل به الرفيع الدرجات إلى الوضيع الدركات، بحيث يشعره إشعار شعائر العلي، ويريحه روائح أرواح الملأ الأعلى، فإن كذب وأبى حُشر أصم أعمى، ونُودي عليه، وكذلك اليوم تُنسى، وإن رضي وأرضى، وأبصر في مرآة التجلي الأجلى، ولله المثل الأعلى، المقول عليه: لا إله إلا الله، يشتمل على مقدمةٍ سالبةٍ صغرى، ومقدمةٍ موجبةٍ كبرى، النتيجة عنها حصول ما لا يُتصور فيصدق عليه، وأيضًا حكمها يدور بين التسلسل والدور؛ لأنه إثباتٌ يستدعي نفيًا، ونفيٌ يستعدي إثباتًا، وهذا بلسان المتكلم الذي لا يتعد كلماته، وأما الدور فإن كل واحدٍ منهما حصول مفهومه متوقف على حصول مفهوم الآخر، فلا يصدق صدقه إلا على تصوره، وهذا هو المعجوز عنه لامتناعه عن تصور غيره بالقطع، أما المقدمتان ليس كل حقيقةٍ يجوز تصورها، وكلما جاز تصور حقيقته صدق عليه النفي والإثبات، فبعض الحقائق لا يتصور ولا جائزة التصور، فلا يصدق عليها نفي ولا إثبات، وأيضًا فإن كل معلومٍ منحصر، وكل منحصر، وذات الله تعالى بخلاف ذلك؛ لأن الإحاطة تستلزم النهاية، والحصر يستلزم الحل، وكلما سلبه حرف النفي أثبته حرف الاستثناء، والحروف كلها ألسنة تقول بها الحق ولا يقول عليه.

نفس: أبواب الجنة والنار لا تفتح أقفالها إلا بمفاتيح المعارف الإلهيَّة، ولأن أشخاص أنواع أجناسها الموجود فيها ما سمع عنها بحكم التعلق، مقصود على العبارة المؤدية لتصور الخارج ما يجده وجودًا أو شهودًا.

ولذلك قال في تصوراتها بعد التجريد بحكمة التعلق: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:26]، وإشارة الشارع في ذلك أفصح بقوله ﷺ:

«**أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر يتنزهن بهن في الجنة**[1]».

وفي الحديث الآخر: «**إنما نسمة المؤمن طائر تعلق شجر الجنة حتى يبعثه الله ولو نطقت البهائم لأخبرت بالغيوب**[2]».

وهذه الابواب في هذه الدار هي البرازخ الغيبية، وهي في الدار الآخرة حقائق ما وعد الله به وأوعد.

نفس: العلم بالله يوجب وجود الحق الذي لا يحتمل النقيض، ولا يقبل السلوب؛ لأنه إذا اتصل حبل الحق استحال أن تقتطعه قواطع الأدلة والبراهين، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88]، والباطل ما فقد عند وجود العلم بالله.

ألا كــل شــيء مــا خــلا الله باطــلُ[3]

نفس: التقليد في العلم بالله ينافي وجود الحق؛ لأنه اعتمادًا على قول الغير مجردًا، والاعتقاد صحة متوقفة على المطابقة، والاجتهاد ظني لا يفيد القطع، والحاصل عقب النظر الصحيح ليس بقطعيٍ؛ لأنه يختلف ويتناقض غالبًا، وأيضًا فإن الشرع نهى عن التفكر في ذات الواجب، فالأدلة والبراهين والحجاج كلها عقلية، وصدقه في كل ذلك متوقف على تصوره، والواجب لا يتصور لذاته، ولا جائز التصور، فامتنع حصوله من هذه الوجوه.

نفس: الواجب يوجب العقول، والخيال فرع الوهم، وهو يوجب النفوس؛ لأنها قد تتصور الشيء على غير ما هو عليه، وجميع مراتب العالم في نظام النفوس الناطقة العاقلة.

نفس: كل مرتبةٍ انحرفت عن الخط المستقيم، وهو صراط الوسط المختار، كانت لسان حرف، والحرف لا يصح أن يدل على الجامع الوسط، إن ربي على صراطٍ مستقيمٍ، صراط الذين أنعمت عليهم بنعمة ذاته وصفاته وأسمائه، وأسبغ عليكم نعمه

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (238/1) بنحوه.

(2) رواه النسائي (665/1)، وأحمد (456/3)، بنحوه.

(3) رواه البخاري (1395/3)، ومسلم (1768/4).

ظاهرة وباطنة.

نفس: من حكم العقل على الحق حكم الله عليه الحجاب، وطبع على قلبه بطابع: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:171].

نفس: الحقائق المطلقة خمسة: حقيقة العين، وحقيقة الغيب، وحقيقة الإحاطة، والحقيقة المشتركة، والحقيقة المعجوز عنها.

وأسباب الكثرة بروز جامع الحقائق المعلومة من غيب حقيقة الإحاطة الموجبة في بطانه، حقيقة الغيب العقول الإلهيّة الذين هم عباد الرحمن، المؤثرون ببروز جامع القوة المحكمة من بطانة حقيقة الغيب، الموجد في ظاهر غيب حقيقة العين، النفوس المدبرة الذين هم ملائكة الملك الحق، وهم مفيضون عالم الصور والأشكال ببروز الملكة المحكمة من ظاهر غيب حقيقة العين إلى عين العين.

نفس: في كل لسانٍ قوة، وفي قوة كل لسانٍ جلالة، وفي كل جلالةٍ قدرة، وفي قدرة كل جلالةٍ إنسان، كما أن في قوة كل فلكٍ ملك، وفي قوة كل ملكٍ فلك، الأول بالأصل والاتصال، والثاني منفصل بالفرع الخارج الذي هو ظل الشخص القائم الثابت، كون تصوره في مرآة التخيل عند انعكاس الأشعة، كالحاصل في المرآة من الناظر فيها، فالإنسان أصل بالقوة، وكل شيءٍ فرعه بالفعل، وهو فرع كل شيءٍ من حيث صورته الجسمانية بالتولد، وكل شيءٍ هو في قوته بالجلالة خرج إلى فعله بالملكة، وارتفع إليه بعد البطون في أطوار ما ظهر عنه، كما تقدَّم بانعكاس الأشعة.

نفس: العوالم ثلاثة: الملك، والملكوت، والجبروت.

وكل واحدٍ منهم له مادة وحقيقة، مادة عالم الجبروت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وهذه الإحاطات العلى والأنوار الأولى، وحقيقة هذه المادة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]، جلَّ ربنا وتعالى.

وهذا العالم هو عالم العقول الإلهيَّة، والملائكة النورانية، الصافين والحافّين، والكروبيين والمقربين.

وهذه العقول هي المخصوصة بالكشوف الإلهيَّة، والمعارف الوحدانية، والتحقيقات الأحدية، والثاني عالم الملكوت، ومادة الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وحقيقة هذه المائدة الروح، وهذا هو عالم الملكوت، وهي

عقول مؤثرة، آمرة وناهية، مقبحة ومحسنة، معرفتها بالله على طريق التنزيه على مرتبة الفرق[1]، وإيمانها به بالغيب، وهم الملائكة المسبحون المقدسون، الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤمرون، والثالث عالم الكون، ومادة الماء والتراب والنار والهواء، وهذه الأجسام البسائط، وحقيقتها الجوهر الفرد، الذي لا يتناهى انقسامًا ولا عددًا، بل لا ينقسم ولا يتجزَّأ، وهو عرش نفس المدبرة العبدانية الحيوانية، هو عالم الملائكة الأرضية، والأنفس الفلكية، ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفا*فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات:1، 2]، ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا*وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات:1، 2].

وأما أعلام الإحاطة الساري في أعماق هذه العوالم، القائم بأعيان هذه المراتب، عالم اللاهوت الحي الذي هو بكل شيءٍ عليم، مادته: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وحقيقة هذه المادة الجلالة والهوية السارية، وهذا العالم هو عالم الأسرار الأحدية، والوحدانية، والفردانية، والصمدية، ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:103]، لا يتعيَّن معه الغير والفرق، ولا يبقى مع تجليه الأمر والخلق، ولا تميزه الحقيقة والحق، ولا تحصره المعرفة والعلم، ولا يُقال عليه بالإثبات والسلوب، ولا يصدق عليه بالتصور بوجه العدم والوجود.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

نفس: كتب روح الأمر بالقلم المستملى من العلم المحيط في لوح نفس المستعدة لقبول الفيض الإلهي، أربعة أسطر:

---

(1) قال الشيخ المصنف في الشعائر: واعلم أن العلم والوهم بالفرق والجمع في التجريد والطبع.
الأول: حقيقته في حقِّه، والثاني: حقه في خلقه، فبالأول: اسم وهي نفس المُسمَّى، وهذا هو استحقاق للحقيقة، والثاني: تسمية وهي غير الاسم، وهذا استحقاق الحق للخلق، ولا ينعكس فيكون الاسم للجلالة مستحق الحق، ومستحق الأول بالوجوب، والثاني بالإمكان، ومن هنا تقع التفرقة بين التسبيح الأخص والتسبيح الأعم، كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].
وهذا الأعم والأخص، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: 206]، ثم أخص الأخص وهو موضع الكشف من التحقيق الأسنى، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] فافهم.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عين الأزل، ومفيض أعيان الأبد ومعانيه.

والثاني: قال المعجوز عن تصور ما هو بديهة واكتسابًا كالمعدوم؛ لأنه متصور بتصور نقيضه، ولا يصدق عليه السلوب؛ لأنه إذا تحقق كان نفيًا محضًا، هو الأول ولا يصدق عليه الإثبات؛ لأنه داخلٌ تحت التعلق، وما لا يُتصور لا يصدق عليه، أما الذي قاله انقطعت دون اللحاق بالكشف سوابق العقول الإلهيّة في ميادين العلوم اللدنية، بإشارة: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة:255]، وكذلك: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه:110]، فهي منتهى، إما للوقوف أو الدوران.

نفس: قال الذي يخبر ولا يُخبر عنه بلسان غيره: أيها المخصوص في العين بنفي الغين، قبل أن أخلق خلقك أوجدتك في الإحاطة المطلقة، موصوفًا لا متصفًا بالزيادة، وسميتك بأسماء الوجوب لا بتسمية الإمكان، وجعلتك عينًا للغيب الذي لا يطَّلع عليه أحدٌ غيرك، فالمجاز لا يصدق عليك في مطلق، فلما نزلت وجودك السابق في خلقك اللاحق أثبت لخلقك ما سلبته عن وجودك، فجوزت لك ما استحال في حق الغير من الجمع بين النقيضين، وكذلك كل مستحيلٍ عند العقول المعقولة التصورات الذهنية الحاصلة بالمسموع، والنظر الصحيح الرابع من حكمه الحكم الواضع، وهذا هو الوسط المختار مفيض أرباب الآفاق، وأملاك الأفلاك المخترعون للمؤثرات، والمبدعون للمدبرات، وهم العقول والنفوس، بنفخ الروح التي هي عين جمع الوجوب في الصورة التي هي عين جمع الإمكان، فصدق الخبر على عينه، وحار النظر في غيره، وكتب قلم الوجوب في لوح الإمكان: ﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الإِنسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:1: 4].

نفس: الحقيقة الإلهيّة متحلية في العلم بالكشف الذاتي، وفي الجسم بالحجاب الفعلي، والروح بين العلم والجسم، ولا وصف لها، وصفها ما غلب عليها، فإن غلب عليها الجسم اتصفت به وتجسمت، وإن غلب عليها العلم اتصفت به وتمتعت.

نفس: الحروف[1] أقلام الوهم يرسم بها أمثالهم في لوح الخيال القابل لتصور

---

(1) قال سيدي علي وفا قدس سره في المسامع: الحروف كلها مركبة الصور في إسميتها، وأجزاؤها أجنحتها وهي مثنى كحا، وثلاث كعين، ورباع كقاف؛ لأن الحرف المطبق لا يتأتى النطق به إلا

الشيء على غير ما هو عليه، فيفرض الإمكان والوجوب، ويقدر الإيجاب والسلوب، ويجعل راجحًا ومرجوحًا ومتساويًا، ويقدر تمييزًا لا يحتمل النقيض، وكل فلكٍ، ولم يكن وأن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

نفس: الراسخ في العلم من وجد الحق؛ لأن وجود الحق لا يتغير، ولا تزلزله زلازل الأقوال والأحوال.

نفس: الفكر يزيد الوهم أينما يوجهه لا يأتي بخيرٍ، والذوق يزيد الفهم أينما يوجهه يأتي بالخير، المطابق خبره عين خبره.

نفس: بعث الله الرسل من الوجه الملكي بها الجن والإنس والملائكة على الحقيقة هم الرسل، فيتجلَّى الملك في مخصوصٍ من الأبشار، وما من أحدٍ إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، فيخاطب الجان بلسان القرين، والبشر بلسان البشر.

نفس: انبعاث الرسل من أجل وجوه الحكمة الإلهية، وانبعاث الرسل يقع عند الحاجة لمصالح العباد وجوبًا، كما يجب نصب الإمام، وإن كان لا يجب على الله شيء لذاته، وإنما الوجوب على أنواع قد تكون وجوب فعل، ووجوب حكمة، ووجوب إيجاد، وكلها وجوبات اقتضاءات لا بحكمٍ.

نفس: بعث الله محمدًا ﷺ بالوحي الملكي، وما بعثه بالوحي الإلهي الذي أوحاه الله قاب قوسين، ولكنه أسرَّ ما خصَّه به فيما بعثه به عمومًا، فمن تخلَّى عن الأعم تحلَّى بالأخص، وذلك عند حصول حقيقة المخصوص الذي لا يستحق ما خُصَّ به غيره، ولكل حقٍّ حقيقة، ولكل عينٍ معنى، وإنما يكون التخلي عن شيءٍ بعد حصوله.

- بعد سكون وحركة يعرضان لآلة النطق به في أوله، يقتضيان تكرره من ألقى باله بتأمل أدركه، فيصير الثلاثي بتكرار أوله رباعيًا، وأوضح من هذا الثلاثي إذا نُوّن تربّع.

انظر ليس في المتولدات شيء بارد فقط، ولا حار فقط، ولا رطب فقط، ولا يابس فقط، إلا مبادئ قوتين أو ثلاثًا أو أربعًا مزاجية، وقس على هذا، فمفهومها المفرد الذي هو فرد من أجزاء صورته المركبة جامع لها هو ملك فلكية صورته المركبة، وأجزاؤه أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وإذا جعلت مثنى اثنين في اثنين، وثلاث ثلاثة في ثلاثة، ورباع أربعة في أربعة، صار المجموع تسعة وعشرين حرفًا وجناحًا، والتضعيف تكرار في الصورة، وسيلان في المعنى؛ لأنه بالأول منفصل، وبالثاني متصل.

نفس: الإنسان نسخة العالم، وعين جمع مفترقاته، وأنواع العالم منحصرة في كل شخصٍ من أشخاص نوع الإنسان.

نفس: مستقر كل نبأ حيث تعيَّن ما أنبأ به وأنبأ عنه، فتوح مستقر ما أنبأ به آدم وإبراهيم، مستقر ما أنبأ به نوح وموسى، مستقر ما أنبأ به إبراهيم وعيسى، مستقر ما أنبأ به موسى ومحمد ﷺ، مستقر الجمع، وكذلك الرجال المبعوثون على رأس كل قرنٍ الذين هم مستقرات الأنباء المحمدي، وصاحب الزمن الثامن، خاتم العصر، وعين جامع الجمع، مستقر النبأ العظيم، ومُسمًّى: بسم الله الرحمن الرحيم.

نفس: أحسن القائلين من نطق بحق اليقين، وأصدق القائلين من أخبر عن عين اليقين، والمخبر عن علم اليقين صدقه متوقف على المطابقة.

نفس: حقيقة الله هو حق اليقين، والقطب عين اليقين، والوتد علم اليقين، وعين جمعهم بسم الله الرحمن الرحيم، ومُسمَّى بسم الله الرحمن الرحيم، غيب مطلق يتعيَّن بالتجلِّي والتمثل، واليقين والجلالة، تجلِّي الهو، والرحمن تمثل الجلالة، والرحيم نفس الرحمن في مرآة صورة الإنسان.

نفس: من قابل قلبه قلب القطب بشرط المسامتة، أفاد تصوره الحق، كما يستفيد البدر صورة الشمس ليلة كماله.

نفس: إذا خُيرت بين الدنيا والآخرة وما عند الله فاختر ما عند الله، وإنما اختار رسول الله ﷺ ما عند الله لأمته لا لنفسه، واختياره عند تجريده بيّن بقوله: «**اللهم الرفيق الأعلى**[1]».

نفس: وقال في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾، قال: كفروا من ثلاثة أوجه[2]:

---

(1) رواه البخاري (1620/4)، ومسلم (1894/4).

(2) قال سيدي علي وفا في المسامع: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17]، فإن شهدوه واعتقدوه الله فقد كفروا بدعواهم بنوته لمريم، وهم ينكرون احتياج الله لمبدأ، وإن عكسوا فبالعكس، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]: أي مع شهودهم مغايرتهم لله، والمسيح ابن مريم: أي واتخذوا المسيح ابن مريم: أي نعتوه ببنوته لمريم وهم يشهدونه عين الله، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140].

الأول: إنهم قالوا ما ليس لهم به علم.

والثاني: إنهم يقولون بالثالوث.

والثالث: إنهم كفروا بمجرد إطلاق القول؛ لأن فيه إفشاء السر؛ لأن التوحيد أجل شيء يُعلم، وأقبح شيء يُقال.

وثم رقيقة أخرى يلحظها العارفون؛ لأن عيسى عليه السلام لم يكن تمكن من التحقيق بهذا السر، فإطلاقه عليه خلف لعدم الاستحقاق، والذي استحقه استغنى بإطلاقه على غيبه الذي هو عينه، ولأن ستر الحال شرط، وإفشاء السر يؤدي إلى هتك الستر، وهدم نظام الحكمة.

نفس: تجريد سر التوحيد لا يُقال ولا يُعتقد، وإنما يُذاق ويُعلم، وتحقيقه الشهود والوجود، ولأن القول إفشاء السر، وهو قبيحٌ عند الحكيم الواضع، وأما العقد فإن صحته متوقفة على المطابقة هذا خلف؛ لأنه ينافي الوجود الذي لا يقبل العدم؛ لأنه نقيضه.

نفس: حقيقة الإيمان منفردة لا تنقسم، وهي محل التصديق، والحال لا ينقسم إلا بانقسام محله، وهذه الحقيقة هي جوهر العقل المفارق، وقد يُطلق عليه القلب، وإطلاق المحل عليه مجاز يتوصل به إلى معناه؛ لأنه لا يحل فيه شيء، ولا يحل في شيء، ولو لم يكن كذلك ما وسع الله، فعلى هذا لا يصلح أن يكون العقد والقول والعمل أقسامًا ما للإيمان، ولكن الاعتقاد أرجح المخيلات، وهو معنى زائد على الإيمان، فمتى فسد بعدم المطابقة بقي الإيمان على بابه، والعقد والقول والعمل شروط ودلالات، وضوابط للحكم الربَّانية.

نفس: قال المتكلم بلسان بسم الله الرحمن الرحيم: أنا المتكلم بالكلمة الجامعة، التي لا يتكلم بها غيري، كل كلمةٍ من كلمات ذاتي متَّصفة بكمال صفاتي، كلمتي لا ينفد كلمات كلامها، ولا يحصرها العدد وإن جاوزت حد الكثرة.

نفس: قيل لي: ذكرتني حتى سمعت منك، فلما سمعت منك ذكرتك حتى أسمعتك ذكري لك، فلما سمعت ووعيت وجب عليك الإنصات لقولي، والفهم لمعنى كلامي، فلا يلهينك ذكرك عن ذكري، أغير منك فاقبض عنك لسان ذكري لك، فلا أسمع منك ذكرك لي، وإذا صليت عليكم فكن كالميت، ولا تتحرك؛ فإن الحركة تنافي

روح السكينة، متى تحقق موتك نفخت فيك روح كلمتي الجامعة التي سجد لها ملكوت السموات والأرض، ومحياتها تتروحن أرواح حياة كل شيءٍ، إذا انجلت كلمتي من غيب الغيب الذي لا يطلعه عليه أحد، حيث بطن المعجوز عنه.

قلت بلسان القدرة الذاتية: الله خالق كل شيءٍ، ثم تنزلت في بطانه ليلة القدر، وهي الملائكة بالمعنى، ومعها الملائكة والروح، فإذا نفد أمر كل شيءٍ عرجت في معارج العقول الفلكية، المستفادة من تصريف الأوامر، ويعرج معها الملائكة والروح إلى الله ذي المعارج، وهم يتلون بالألسنة الروحانية: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى*لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ [طه:5، 6].

نفس: قال المتكلم بلسان البيان: أنا واضع الإنسان، ومفصل جمال الإجمال، ونور بهجة الإبهام، وكاشف غم الإغماء، فتقت رتق الخلق بروح الأمر، وركزت أعيان الكون في قوة الحس، وجعلت لك نوعًا من أنواع الخلق عقلاً، فلكل عقلٍ حرفًا، ولكل حرفٍ كلمة كن، فما من صورةٍ تراها عينك، ولا كيفيةٍ تدركها حاسة من حواسك، إلا وهي مستقر وجه من وجوه المعتقدات، وملكة من ملكات تحكم التصورات بالمسموع، تقليدًا واعتقادًا واجتهادًا، ولكل صورةٍ تجرَّدت في داخل الذهن الإنساني لها بعد تحليل الكون الصوري عنها أعيان تعيين، وأكوان تكوين، وخلقه أخلاق، فاعمل ما شئت فإنك ملاقيه، واعمل ما شئت فإنك كائنٌ فيه.

نفس: تجلِّي الحق لكل شيءٍ من وجه إشائته فيه تعرفه من ذلك الوجه المخصوص، وعنك تجرد ما تحكم له فيه، ثم تمثل بوجود تجلياته روحًا سويًا، وخطًّا قيومًا قويمًا، وعقلاً جامعًا عليمًا، واضعًا مخترعًا حكيمًا، فاجتمعت فيه الأنوار، وأسبل دونه من سنا سبحات وجهه أستار، فهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، ثم تجلَّى في نسخة الجمع بالنفخ والوحي، فسجد الكل لتمثل الحق في شخص عين الجمع، وهو المخصوص بروح الجمع نفخًا ووحيًا، وهذا العين يتطلَّع على رأس كل سبع أمم بالحشر والنشر معه في حال البطون والظهور، فمن وفَّقه الله تعالى للاجتماع به عند تطلعه، ورفع لَه الستر عن الوجه المخصوص منه، ومن عليه بالاستقامة معه أفاده رقيقة من رقائق روح الجمع، فيكون وليًا، وقطبًا، وخليفةً، ومحققًا، وعارفًا، وعينًا من عيون الله، ودرجة من درجات الجلالة، وهذا كله بالاستفادة والاستقامة، ولا بدَّ من

مخصوص يرث بالذات عند تحليل تلك العين، كذلك من آدم إلى محمدٍ، وهو بسر الفتح بروح الأمر، وهي السبعة الأوامر التي أوحاها في كل سماءٍ، ومن محمدٍ ﷺ إلى خاتم السبع المثاني، وهو القرآن العظيم، وهذا بسر الوحي الإلهي الذي كان قاب قوسين، فالمستفاد من طريق الفتح كله من دائرة القطبية الوتدية، والمستفاد الوحي كله من دائرة القطبية الإلهيَّة، وليس لأحدٍ من الدائرتين على جمع الجمع المخصوص بروح الجمع اطلاع إحاطة؛ لأنه إنما يطلع في كل زمانٍ بوجهٍ مخصوصٍ حسبما يقتضيه حكم الظهور، واقتباس النور من النور.

قال تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:255].

نفس: العالم على قسمين: عالم الغيب، وعالم الشهادة، فعالم الغيب كله في نظام العلم القديم، ولأنه معلوم لا يفارق متعلقه، وعالم الشهادة كله في نظام الإدراك متعين بالفرق المتوهم تصور ما تعلق به خارجيًّا، منها الحاصل، منها جامع، وسط مختار بالأول لا بالثاني، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:123]، ففيه يبطن ما في نظام العلم القديم، وعنه يبرز ما تعلق به الفرق المتوهم، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:38].

نفس: لا يطَّلع على غيوب السموات والأرض إلا من تحقق السبعة، والمقاليد الخمسة الذين هم آلاء الحق، مفيض الصور من القوة إلى الفعل، وقابل تصوراتها بالأفعال والمفعولية والتمثل المنحصر تحت الخط المستقيم، هذا ما يتعلق بالخمسة الغائبة والشاهدة، وأما السبعة فصفات ذات يستحيل وقوعها صفة لغير موصوفها، ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل:65]، وهذا أول قدم المطالعين في غيوب الملك والملكوت، والناظرين في مرآة الرهبوت والرحموت، والحاضرين في حضرات حظائر الجبروت.

نفس: يوم الله هو المقدور بخمسين ألف سنة، هو العقل الأول الذي لا يصح حصول ما صدر عن الواجب بالتجلي إلا في قوته، ويستحيل وقوع الإمكان في غير إفاضته بالفعل الواقع فيه لا بالاختيار، والصادر عنه لا بالذات، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾.

نفس: وجه العارف مرآة تجليات صفات معروفة، والمحقق عنوان ما تحقق به، والصوفي هو المتخلق بالأخلاق المضافة إلى مطلوبه بالتقديس، والجمع عين كماله،

لا يحصل إلا مع وجود اجتماع النقيضين المستحيل عادةً وعقلاً.

نفس: إذا تعيَّن الحق انتفى الشك، وإذا ظهر اسم الله ارتفع حكم التشريك.

نفس: من وجد اليقين صدق ظنه، ومن انتفى ريبه وجد قلبه، ومن صدَّق الصادق المحقق صدق الله عليه، ومن أخلص في تصديقه صدَّقه الله.

نفس: لو تعيَّن العارف، وانكشف عنه الغطاء، وجب التوجه إليه؛ فإنه البيت المقصود بشرط الاستطاعة، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران:97]، وإذا فهم هذا علم أن البيت الحرام بدل عن القلب المعمور بالله، ولأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وهو ما اقتضت الحكمة الإلهيّة، «**وأُمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**[1]»، ومن طالع من عوالم الأنوار الإلهيّة غاب عن الآثار الخبرية.

نفس: من حلل عقود الطبع أخرج ما في قوته للفعل، ولأن الإنسان انطوت قوته على كل شيءٍ بالحقيقة، فمتى حصلت لَه شروط المكنة انتشر عنه ما انطوت عليه قوته، والخضر وإلياس في الولايات كجبريل وميكائيل في النبوات، فمن درأ تلك المراء، وغلبة الأوهام مفسدة للأحكام.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:40].

نفس: صبغة الله هي الجمال الذي يحبه الله، «**خلق الله آدم على صورته**[2]»، وهي صورة مطابقة لواضعها، وكل موضوعٍ في صبغة واضعه، فمن نفخ فيه الملك كانت صبغته ملكية، من أي فلكٍ كان أو أفق، ومن كانت نفخته ربَّانية كانت صبغته كذلك، من أي حضرةٍ كانت، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:84]، وهي الدين الحقيقة، والصبغة الأولى، والتخلق السابق، وصبغة الله للأوراح كالكبريت الأحمر للأجسام المعدنية، الذي أحسن كل شيءٍ خلقه، وبدا خلق الإنسان من طينٍ.

نفس: انحصار أنواع العالم في كل شخصٍ من أشخاص بني آدم من إبداع القدرة التي يتناهى فيها، وكمال وجود الواجب في الشخص المخصوص منهم من الحقائق التي لا تدرك حكمة بالغة، وكلمة تامة.

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (398/1).

(2) رواه البخاري (2299/5)، ومسلم (2017/4).

نفس: عالم الحكمة على قسمين: ملكوتي وهو عالم الأرواح المجردة، والحقائق الغائبة، وملكي وهو عالم الأجسام والصور المركبة، الأول بالمثل والمثال، والثاني في حصر الوهم والخيال، وأما عالم القدرة فهو على قسمين:

لاهوتي وهو غيب الذات والحقائق المعجوز عنها، وجبروتي وهو حضرة الصفات المحيطة والأسماء القدوسية، الأول لا يُتصور، ولا جائز التصور، والثاني معلوم وجوده، مجهول تعيينه.

نفس: أسماء الحضرة المقدسة كلها وجودية، دالة على غيرها مع توهم الفرق، وعلى عينها مع المعرفة والجمع، الفرق نتيجته الوهم والخيال، والجمع حاصل التمكن من كشف المثل والمثال.

نفس: الصورة المجردة في داخل الذهن إما مسموعة وإما مريبة، الأول عند التجريد تكون أوراحًا عاقلة مؤثرة بحكم مسموعيتها الأولى، وحكم تصورها في المرتبة الثانية، والثاني تكون عند التجريد نفوسًا مدبرة في أفلاك هي أنماط ما تصورت فيه، وتعيَّنت بسببه.

نفس: الجسم سجن أو حجاب، والروح[1] مرآة تجلِّي كشف ربَّاني، أو حضرة

---

(1) الأصل في الروح قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:29]، وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجدة:9].

اعلم أن هذه الإضافة إضافة تشريف وإظهار بأنه خلقٌ عجيبٌ ومخلوق شريف، وإن له شأنًا لأنه جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به، ولذلك أضافه إليه فصار بسبب ذلك حيًّا حساسًا بعد أن كان جمادًا.

والروح اختلف العلماء هل يجوز الخوض فيها أم لا، فذهب قوم إلى أن الإمساك عنها أولى، وذهب آخرون إلى الكلام فيها، والمتكلمون فيها اختلفوا هل هي عرض أو جرم لطيف يحل بالأجرام، كحلول الماء في العود الأخضر، والحكماء يقولون هي اللطيفة المدبرة للجسد حيوانًا كان أو غيره، وهذه اللطيفة مختلفون فيها، فمنهم من قال: إنها الريح فهي عندهم في الحيوان روح، وفي الهوى ريح، فالأولى تحرك الحيوانات، والأخرى تحرك الجمادات، ومنهم من قال: إنها ماء الجسد المشتبك فيه اشتباك ماء العود الأخضر به، وهذا الماء عند الفلاسفة هو الدم، وعند غيرهم ما صحَّ منه التركيب البدني؛ لأنهم إذا ذهب ذهب تركيب البدن، وهذه الأقوال وإن كانت حقًّا فمن وراء حجاب عن حقيقتها، وحقيقتها هي التي أجاب عنها تعالى بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: أي اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي هو روح البدن الإنساني، ومبدأ حياته سألوه عن حقيقته، فأجيبوا بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:85]: أي من جنس ما استأثر الله =

بعلمه من الأسرار الخفية، التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر، فالأمر واحد الأمور بمعنى الشأن والإضافة؛ للاختصاص العلمي لا الإيجادي؛ لاشتراك الكل فيه، والمعنى أن الروح ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهرين البدنيين الذين لا يتجاوز إدراكهم عن الحس والمحسوس بالتشبيه ببعض ما شعروا به، والتوصيف بل من عالم الأمر الإبداع الذي هو عالم الذوات المجرّدة عن الهيولي والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والأين، فلا يمكنهم إدراكه أيها المحجوبون بالكون؛ لقصور إدراككم وعلمكم، ولذلك قيل: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» إذ لا يمكن معرفتها حق المعرفة، وأقاويل العلماء والحكماء والصوفية كثيرة في ماهية الروح، وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله ﷻ وهو قول أهل السنة.

قال عبد الله بن بريده: إن الله لم يطلع على الروح ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً بدليل قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الذي استأثر به؛ لأنها من قول: (كن) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾ [النحل:40].

واعلم أن الروح في الحقيقة روحان: روح القدس، وروح الأكوان، فروح القدس هو روح الأرواح، وهو المنزه عن الدخول تحت حيطة (كن)، فلا يجوز أن يُقال فيه إنه مخلوقٌ؛ لأنه وجه خاصة من وجوه الحق، قام الوجود بذلك الوجه، فهو روحٌ لا كالأرواح؛ لأنه روح الله تعالى، وهو المنفوخ فيه من آدم.

وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص:72]، فروح آدم مخلوق وروح الله ليس بمخلوقٍ، فهو روح القدس: أي أنه هو الروح المقدَّس عن النقائص الكينونية، وذلك الروح هو المعبَّر عنه بالوجه الإلهي في المخلوقات.

وهو المعبَّر عنه في الآية بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:115]، يعني هذا الروح المقدس الذي أقام الله به الوجود الكوني بوحدانيته، تولوا بأجسامكم في المحسوسات، أو بأفكاركم بالمعقولات.

فإن الروح المقدس متعين بكمالٍ فيه؛ لأنه عبارة عن الوجه الإلهي القائم بالوجود، فذلك الوجه في كل شيءٍ هو روح الله، وروح الشيء نفسه، فالوجود قائم بنفس الله، ونفسه ذاته، فتعالى الله عن المثل والشبيه، أو أن يدركه بعقله نبيه.

وروح الأكوان هو أن كل شيءٍ من المحسوسات له روح مخلوق قام به صورته، والروح لتلك الصورة كالمعنى للفظ لا يخلو منه كون ما، إلا إذا لم يدخل في كينونة (كن)، وتلك الروح كائنة من روح القدس، لا يصح كونها من غيره، ولا يصح كونها منه كما قيل:

رق الزجاجة ورقت الخمر	فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنها خمر ولا قدح	وكأنما قدح ولا خمر

فافهم ثم تتعلم، وهو من أغرب ما يعلم أن الروح في دخولها في الجسد وحلولها فيه لا تفارق مكانها، ولكنها لما نظرت إلى الجسد حلَّت فيه؛ لأن من عادة الأرواح أن تحل فيما نظرت فيه من غير مفارقةٍ لمركبها، وهذا مما لا يُفهم إلا بالكشف الربّاني، ولكني أمثله لك ليقرب من ذهنك يسيرًا، فهذا الحلول كحلول وجهك في المرآة من غير مفارقةٍ منك لموضعك وهو مجرد

انكشاف غيب أزلي، فمن حُشرت روحانيته في جسمانيته طال عذابه في سجن تركيب قالبه وتقلبه في أطوار تجليه وتركيبه، ومن حُشرت جسمانيته في روحانيته طال حجابه وإن أجزل ثوابه، ومن فارق جوهر روحانيته جواهر جسمانيته انطلق في ميدان المعارف الإلهيَّة، وحضر في حضرات الغيوب الأزلية، وظهر بالسر الذي لا يُتصوره العقول فيُعرف، ولا يتخيله الأوهام فيُوصف.

نفس: العوالم ثلاثة: عالم الملك وهو عالم الأفعال، مبني على الحدوث والتغير، قابل لتنزيل الملكوت فيه بالحلول، وهو عالم الصفات مبني على الغيوب التي لا تُعلم ولا تُدرك، مستعد لقبول تجلِّي الجبروت، وهو عالم الذات، حصوله فيه بالاتحاد المناسب فيه للمتحد والمتحد به، وهو اصطلاحٌ يُفهم من وراء مدارك العقول المكتسبة، يُقال عليهم هكذا إذا اعتبروا عوالم خارجية، وأعني بذلك تصور المغايرة الإنسانية، وبالنظر إليه يُقال: أفعال، وهو ما قام فيه بالتلون وصفات وهو ما تعلق منه بذلك من الحقائق المفارقة، والجواهر المجردة، وتعلقها كائن في عالم الفعل منه، بالنظر إلى عالم الفعل لا بالنظر إليها، ثم الذات وهو ما يُقال عليه: علة لوجود هذه الصفات، يُستدل عليها بمجرد الوجود ضرروة، لا أنها منحصرة بالتصور والصدق، فمن غاص في بحار هذه العلوم، وترقَّى في درجات الأفعال والصفات والذات، وأُفرغت عليه خلاصة هذه الخصوصيات، كتب في صفحة الوجه الإحاطي بالتعين في العين الجامعة لمفردات هذه الحقائق: بسم الله الرحمن الرحيم، فتندرج أفعاله في رحيمه القابل لجامع الصفات، الوسط المختار في العقل، وهو ضرورة مظهر تجلِّي الجلالة من غيب الأزل بالإحاطة الذاتية إلى المشاهدة الأبدية بالاختيار والإرادة.

نفس: شرف الإنسان بالعقل، وشرف العقل بالإيمان، وشرف الإيمان بالمعرفة،

مثل.
وأما التفرقة فهي حاصلة من كل وجهٍ غير ذلك الحلول، وشهود تلك الروح القائمة بها الأكوان قدسًا وكونًا هو البحر، الذي إذا شاهده الولي شاهد منه الأنبياء والأولياء والملائكة، وغير ذلك من كل روحٍ قائمةٍ في جسدها شهودًا لا تكون فيه تفرقة بين كبيرها وصغيرها، وكثيرها وقليلها، ولا ينجيه من الغرق فيه إلا سفينة الشريعة؛ لأنها ترد له كل شيءٍ إلا بما هو له ظاهرًا وباطنًا، فيحكم للكل بما حكم به ربه من وجود ظاهر وعدم باطن.

وشرف المعرفة بالتحقيق، وشرف التحقيق بالوجود، وكل علمٍ يشرف بشرف تعلقه، ولا يتعلق الواجب إلا بالواجب.

نفس: الواحد من كل الجهات حقٌّ واجبٌ ممكنٌ، غير أنه احتجب عنه بعزه، فقيل عليه في كثرة أعيان جمعه: ﴿**أَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ**﴾ [الواقعة:41]، واحتجب به في رحمته فقيل عليه: ﴿**أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ**﴾ [الواقعة:27]، وتجلَّى لَه في كشف معرفته فقيل عليه: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [الواقعة:10، 11]، وتجلَّى فيه من وجه وجوده، فقيل عليه: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**[1]»، وتجلَّى لا لَه ولا فيه، فكان هو هو، كما أنه إذا احتجب لا معه ولا به قيل عليه: ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**﴾ [طه:110].

نفس: كلام الجان كله دعاوى تدل على شهوات، وكلام الملائكة وعظٌ يقارنه تنزيه، وكلام الله تعالى كشفٌ بحقيقة الوجود، وكلام البشر حدسٌ منوطٌ باعتقاد إن طابق فصحيح وإلا فاسد، وكلام الشياطين كذبٌ محضٌ مزخرفٌ بتزين وخلق مستبطن برياء الناس، ينتج الشرك، ويبعد عن الحق، يوحي بعضهم إلى بعضٍ زخرف القول غرورًا.

نفس: من رضي بالله رضي الله به، ومن رضي عن الله فيما يرد عليه من أفعاله رضي الله عنه فيما يصدر عنه من أعماله.

نفس: من طلب الله بصدقٍ أعزه في ذله، وأغناه في فقره، ومن عرف الله بحقٍّ أحياه في موته، وأبقاه في فنائه، ومن تحقَّق بالله على الحقيقة سلب عنه جميع النسب والإضافات، وأسقط عنه جميع الأحكام والتحكمات، ورفع عنه عارضة المعية من كل الجهات، وكان الله ولا شيء معه.

نفس: من نطق بلسان حقه خرس لسان نطقه، ومن صدق وجود وجوبه كذب كون إمكانه.

نفس: العلم بالله يوجب الجهل بما سواه، ووجود الله يحقق إعدام كل شيءٍ، وبالعكس الأول بوجه الترقِّي، والثاني بوجه التنزل.

---

(1) تقدم تخريجه.

نفس: حقيقةُ كل شيءٍ تتعين في نهاية كونه، والله على الحقيقة حقيقة كل شيءٍ.

نفس: الإنسان مخلوقٌ من أجل الله، فلا يقبله غيره وجودًا واتِّصافًا، وكل شيءٍ مخلوقٌ من أجل الإنسان، فلا يتم كون دونه، وإليه تنتهي حقيقة كل ما وُضع من أجله، فالإنسان غاية الأكوان، والرحمن غاية المخصوص من الإنسان.

نفس: الشهادة لله بالوحدانية على قسمين: شهادة تتعلَّق بالغيب، وهي شهادة العوام، وشهادة تتعلَّق بالعين، وهي شهادة الخواص.

نفس: ما خلق الله جميع الأكوان إلا لأجل آدم، وخلق آدم لأجل محمد، وخلق محمد لأجل الله ﷺ، وكل شيءٍ ساجد لما خلق له ومن خلق من أجله، فالخاتم الأحمدي المستقر المحمدي إليه انتهت الغايات في السجود، وعنده تحقَّقت إشارة كل مقصودٍ، ومن حيث بدأ الأمر إليه يعود.

نفس: قال الواحد بالذات، والأحد من كل الجهات، ما تعرَّفت لشيءٍ، ولا عرفني شيء، وإنما هو من الإيجاد يولد في كل موجودٍ معرفة، كصورة خَلقه وخلقه.

نفس: العدم والحدوث ذهنيان كالعدم والبقاء، لا يصدق عليهم الوجود، وإنما هي اعتبارات وأحوال وأكوان، أُطلقت عليها أسماء بتصور الذِّهن، مفهوماتها في وجه الظهور بعد البطون وعكسه، أو باعتبار أمور تكون عند أسبابها وعللها كالمتولدات.

نفس: العالم محصورٌ في ثلاثة أقسام: محسوسٌ وهي الجواهر وأعراضها، وقسمٌ حساسٌ وهي النفوس الحيوانية وإدراكاتها، وقسمٌ عالم وهو العقل ومعانيه، فالعقل هو الأفق الأعلى، وفيه نظام الحقائق الإلهيَّة، لا كالعقل المكتسب؛ لأنه مستفادٌ من أمورٍ خارجيةٍ ذي أنواعٍ مختلفةٍ، والنفس الحيوانية فيها نظام الملكات الملكوتية، والجسم المؤتلف من الجواهر الفرادنية في نظام هوية ملكات الصور والهيئات، التي لا يتعدد ولا ينفك موجودة مع التركيب مفقوده مع التحليل، والوحدة الذاتية أصل في الباب، وهي من اللوازم لا من العوارض كالنبوة ومراتبها، فإذا زال العقل المستفاد بانحلال نظام الفكر صدقته مرتبة العقل الحقيقي على نفس والجواهر، وبدل أسمائها وصفاتها.

نفس: الحقائق قائمة بالوجود قيامًا مطلقًا، وكل موجودٍ متساوٍ فيه من وجه الاشتراك، وتمييز المراتب في نظام الحكمة باختصاصات عارضة بالاستعداد، أما من حيث المفردات فبالوضع، وأما من حيث التركيب فبالنتيجة والعلة والغاية هي ما

تحصل في داخل الذهن الإنساني من الصور المجددة، وتفاوتت بتفاوت العلوم المتعلقة بأنواع المعلومات من محدبها إلى مقعرها، وهذا التعلق غير منحصرٍ وإن كان متناهيًا، فللمرتبة المجردة في داخل الذهن من وجه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5].

نفس: الواجب حقيقتان: حقيقة مؤولة بالعلم، وحقيقة مؤولة بالعقل، فحقيقة العلم هي مجردة بالأصل، لا يثبت ولا يتعقل ولا يُشار إليها، فإذا انجلت أوجبت العقل الإلهي، واتحدت به اتحادًا بالذات، كاتحاد الماء بالبرد المنعقد عنه، وتتحد العاقلة بالنفس الناطقة اتحادًا بالفعل، وهي العالم الإمكاني، وعند اتحاد الحقيقة المؤولة بالعلم بالعقل الإلهي يتحقق الاتصاف بالعلم، ويجب المعلوم بالذات، وكذلك الحقيقة المؤولة بالفعل هي مجردة بالأصل، فإذا تجلَّت أوجبت الروح، واتحدت بها كالأول، ثم اتحدت الروح بالجسم اتحادًا بالفعل، وهذا هو خلق الإنسان في أحسن تقويم، فلما ذاق الشجرة ووقعت القضية ارتفعت نفس الطبيعية من الخارج، ونفرت الروح الإلهيَّة، ونزلت هي في محلها من عالم الجسم، وكذلك العقل المعيشي ارتفع من الخارج، واستولى على الناطقة، ونفر العقل الإلهي، وانقطع الخبر، وعمي البصر، فمن وفَّقه الله بعناية المجاهدة والمشاهدة حتى نفى هذين العارضين، وتخلَّص من قضية هاتين العلتين، يرجع إلى القوام الأعدل، والمقام الأعز الأكمل، وقرب كل أحدٍ وبُعده بحسب ما فنى من هذين العارضين، وبحسب ما بقي منهما.

نفس: المعرفة[1] ترفع حجاب المغايرة، وتسقط حكم الغيرة[2].

نفس: الوجودات متساوية في الحقيقة، متفاوتة في الحد، متميزة بالمراتب، أربابها في الأفلاك المماثلة، وهي النفوس المختارة للتمييز، والله بكل شيءٍ محيط، فمن عرف

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: المعرفة هي أعلى مراتب العلم الثلاثة؛ لاستغناء موصوفها في حصول ما تعلَّقت به عن إعمال النظر الصحيح، وهذا هو حق اليقين، وحقيقتها: وجودٌ ينتفي معه وَهْمٌ مرجوحٌ وظنٌّ راجحٌ والشكُّ المتساوي، وغايتها: تعلق العلم بمعلومٍ ذاتيّ لموصوف مغايرة من عينٍ واحدةٍ الذي لا يستقل غيره بنفسه دونه اهـ.

(2) قال سيدي محمد وفا ﷺوعنّا به: الغيرة هي حرصٌ يُوجب صون المخصوص بالمحبة عن إشراف لواحظ الأسباب المؤدِّية إلى بذله، مع عدم الاستحقاق، واستقباح فحش الشركة فيه، وحقيقتها: حميةٌ تستلزمها المحبة؛ لمنع صفاء ما يكدر صفاء العين مع المحبوب اهـ.

الله خرج من تحت حكم الإحاطة، ومن جهل المعلوم الأول دخل تحت الخلق، وانسحب عليه حجاب الغرق.

نفس: غيب الله في أسمائه عين في أفعاله، موصوف من وجه تمييزه في المراتب من حيث يصدق الغير، ومع كذبه فمعانيه المرسلة مع الهوية السارية، وأما حقيقة ذاته فلا يوقف عليها بوجهٍ من الوجوه، أما لاشتراك الكل والجزء والجملة في حقيقتها، فالجزء ينافي في الإحاطة بكله، وإما لتجريدها عن الشيء والوجود؛ لأنهما يقعان بالمرتبة الثانية فلا يصدقان عليها، فهي لا تُتصور ولا جائزة التصور.

نفس: وجه الله ما تعيَّن فيه غيبه الذي بطن في كل مرتبةٍ، وينكر في كل عينٍ، وفقده الوهم في كل موجودٍ، فوجهه مرتبة تخصيص يدل على عموم، وعين تقييده ينظر بها في مرآة المطلق، الذي لا يصدق عليه ما دخل تحت الصور.

نفس: الذي أثبته النفي، وحققه السلوب، باطن في أسمائه، ظاهر بأفعاله، موجود بصفاته، معدوم بذاته، مجهول بعلمه، معلوم بجهله، لا تتعلق إحاطته بما لا يدخل تحت قدرته، وإن تعلقت قدرته بكل ما صدق عليه اسم الشيء، وجوده أول مراتبه المميزة بالوهم الحقيقي، والعقول الإلهيَّة معلومات مرتبته الوجودية، فكلما تصور في داخل الذهن، وتحصل في خزانة صور تجردت عن الحروف المتوهمة، التي تسبب الفكر في تركيبها بعد التحليل بالقدرة، متوقفة على إخراجها من القوة للفعل عن حصول شروط المكنة، المشروط إتمام حقيقة قوامها بكمال الملكة المحكمة، المتوقف كمالها على السلوب، الذي لا يستلزم حصوله استلزام ضوابط الحكمة، التي لا يصح قانون قيام قوام مراتب العالم دونها بوجهٍ من الوجوه.

نفس: متى يسمع الإنسان كلام الرحمن، وينظر في محاسن الإحسان، ويرفع لَه الحجاب عن الوجه الكريم، ويتطلَّع في صفحة العرش التي تحتها مثال كل شيءٍ.

نفس: الواجب والممكن متباينان، يستحيل في حق كل واحدٍ منهما ما وجب للآخر من أحكام الذات والصفات، ولو جاز غير ذلك لجاز انقلاب الحقائق، وكل واحدٍ منهما لا يُستطاع ما فيه لغيره، والشيء عظيم متى عجز عنه فالواجب متوجه للممكن، بحكم ما توجه الممكن إليه، ولولا الوسط المشترك والجامع المختار لاستحالت قضية إخراج ما في قوة كل واحدٍ منهما للفعل، ولانطمس نور البيان،

وانحل نظام تمييز المراتب.

نفس: الزُّهاد اندرجت علومهم في أعمالهم.

والصوفية اندرجت علومهم في أحوالهم.

والعارفون اندرجت أعمالهم في معارفهم.

والمحققون اندرجت أحوالهم في حقائقهم.

فالزهاد وجدوا ما علموا فيما عملوا.

والصوفية وجدوا ما تحققوا فيما تخلَّقوا.

والعارفون وجدوا ما عملوا فيما عرفوا.

والمحققون وجدوا ما تخلقوا فيما تحققوا.

نفس: الإنسان الكامل[1] هو العلة الغائية من وضع الهيكل الإلهي، فالإمكان وما اندرج تحته منطوٍ في قوته المدركة بالحس، والواجب وما فيه من أسماءٍ حسنى وصفات على منطوٍ في قوة العاقلة بالمعنى، وإنما كان آخر العمل، لأنه أول الفكرة.

نفس: من أفرد الله بالمحبة أفرده الله بالتخصيص في العطاء؛ لأن التخصيص بالذات لا يحتمل الاشتراك، كالتخصيص بالأفعال والصفات، ولأن التخصيص بالذات يقتضي نفي الاشتراك، ويستلزم حصول المكنة التي لا يعجزها شيء، فكل مخصوصٍ بالذات في ملكٍ وملكوتٍ وجبروتٍ مفرد، لا يعلم من يفضله، ولا من يساويه في المرتبة والدرجة، ولو حصل الشعور بذلك لتنافت لوازم المكنة.

نفس: من صدق في محبة شيء أخلص في عبادته، ومن أخلص في عبادة شيء خُلعت عليه صورته، ومن خُلعت عليه صورة شيء عرف به إذا التزم الطائر وابتُليت السرائر.

نفس: من عرف الله عرَّف به كل شيءٍ، ومن تعرَّف لَه الله تنكر عليه كل شيءٍ، وأنكره كل شيءٍ، ومن عرف الله بالله فهو الغنى بالله عن الله.

---

(1) قال سيدي علي وفا: الإنسان الكامل موجودُ الوجودِ الحق في إحاطته، هو شخص حقيقة الدائرة الرحمانية الرحيمية، الظاهر ظله في مرآة كل استعداد زماني بحسبها، فيكون صاحب ذلك الزمان.

نفس: مبلغ حكمة الله في الخلق قيامهم وتوجههم بالحق، فهم محجوبون بما توجهوا إليه عن أسرار قيومية قيامهم، فهم لا يدركون ولا يتركون، وهذا أصل منشأ حيرتهم في الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

نفس: بقاء كل شيءٍ شتات رسمه، وبقاء الإنسان في فنائه عن رسمه واسمه.

نفس: كن خصيمًا لله على نفسك بكون الله خصمًا لك على نفسه، لا تزكي نفسك عند الله فتُفضح، خل بين الله وبين نفسك؛ فإنه أعلم بها منك.

نفس: المستمعون للحق أربعة: مستمعٌ يسمع ويعي، ومستمعٌ لا يسمع ولا يعي، ومستمعٌ يعي ولا يسمع، ومستمعٌ يسمع ولا يعي، وفيه البلاغ وعنده توجه فصل الخطاب.

نفس: من نظر في عين الله أمنت بصيرته من العماء، وقلبه من الغشاوة، وسمعه من الجواب بلن.

نفس: قال رضي الله عنا به وهو بمنزله بأخميم:

السلام عليكم ورحمة الله، الجسم فانٍ، والنفس ميتة، والروح باقي، والله حيٌّ لا يموت، فاعبدوا أيهم شئتم، العصمة على قسمين: عصمة ملكية، وهي نفي مخالطة الأمر بالقوة، وعصمة إلهية وهي نفي مخالطة الإرادة بالذات، ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ [يونس:64]، قيام الحقيقة الإلهيَّة بالعالم قيام خاص لا كقيام الأعراض بالجواهر، فإنه ليس كمثله شيء، وسريانه في كل شيءٍ كذلك، وكل شيءٍ تجليه من وجه الكلام، فالشيء منطوقه، وهو مفهومه إذا تكلم الله في المخصوص بكلمته التامة الشاملة لعين بسم الله الرحمن الرحيم في بطانة غيب درجته الرفيعة، مرقاة مقام الجلالة، قام به الوجود الواجب، وحصلت شروط المكنة، وبرزت القوى اللاهوتية بوضع هيكل الإمكان الكلي بحفظ النظام الذي لا ينخرم.

ونشأ آدم بعد كمال الاستعداد العالمي، وسجد لَه الملائكة، وعارضت القوى النفسانية البارز عن الغضب الدافع للمضار العارضة للماهية المخصوصة، ومشى الكلام إلى صاحب الختام، وترتب النظام إلى يوم القيامة، والسلام على من فهم ما تضمنه هذا الكلام.

نفس: من أحبَّنى فقد أحب الله، ومن خدمني فقد خدم الله، ومن عرفني فقد عرف

الله، ومن تحقَّق بي فقد تحقَّق بالله، ومن أبغضني فقد باء بغضبٍ من الله، ومن أنكرني فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

نفس: أتاني آتٍ من غيابة غيب الملكوت الأعظم، وعليه من شواهد مشاهد مشاهدة جبروت الأنوار أنورها، ومن خلع انخلاع صور تجليات الأسماء والصفات أزهاها وأزهرها، ولديه من خدمة سادة المملكة الإلهيَّة أقواها وأقدرها، فقال لي: السلام عليك أنت مورد الحقائق الأزلية ومصدرها، وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها، إذا حضر في حظائر حضرات قدسها محضرها، وحرم أمانها الآمن وحجرها ومعتمرها، وبيت مقامها وحجرها، وحجرها الأسود ومنزلها الأسنى، ومعشرها، وعرفات معارف عوارفها، ومزدلفة زلفاها وأشعارها ومشعرها، وطيبة طوباها الطيب، ومسكن سكون ساكنها، وخبرها ومخبرها ومسجدها الأقصى، وأقصى معبد تهجد فيه أعبدها لله، وأكثرها شكرًا وأذكرها، وعلوم معالمها العلمية، ومبهمها ومضمرها، ومجملها المؤول ومفصلها المحكم ومفسرها، وعين عيان تعيينها، وخبرها ومخبرها، كشف اللاهوت الأعظم عن ساقك القيوم بحياة الكل، فسجد الساجدون، وألقى كنف قدم صدقك المحيط بالجملة، فتسلك في سبل مسالكك السالكون، وانحشرت موانع الامتناع في سبحات جلال جمال وجهك الكريم، فسبّحه المسبحون، واستوى على سواء استوائك رحموت رحمانيتك، فحملة عرشك بحول قوتك محمولون، دارت أفلاك أملاك مملكتك بإمداد نقطة قطب السمت عن خطك المستقيم، وأحكمت قوانين موضوعات مصنوعاتك، فأنت العليم الحليم، ولذلك أظهرت علتك الغائية مطابقة لعلمك السابقة في كلامك القديم، فعليك السلام من السلام، وأنت السلام من السلام، وإليك يعود السلام من السلام، وفيك تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

نفس: المعجوز عنه ما لا يمكن التسبب في حصوله.

نفس: الحاصل من كل شيءٍ غير حقيقته التي ليس كمثلها شيء.

نفس: الإحاطات كلها تنحصر تحت إحاطتين: العلم، والوجود، فالمعاني الغائية كلها مرسلة مع ذاتٍ، وهو اسم الله الباطن، والجسم هو الذات القابلة للفيض الوجودي، والحقيقة الفعالة تعطيه بحسب الحكم المراد منه، وصورة المرتبة التي صدقت عليه ثم المرتبة الإلهيَّة المخصوصة بالذات، والوسط المختار بين الأزل

والأبد، المقول عليه الرحمن، فياض الوجود في الذات القابلة للإمكان الصادر عن الوجوب الفعال لما يريد، حسب متعلق العلم القديم روحه المنفوخة في آدم مفارقه، فكل شخصٍ من أشخاص النوع الإنساني بعد التجريد عن قضية الجسم، والحاصل معه ما اكتسبه بواسطة تعلقها من المعارف الإلهيَّة صورة مجردة في داخل الذهن، تنتقل إليها حقيقة الإنسانية المُشار إليها بالأنا والأنت، سلمت من العوارض الحائلة، والقواطع المانعة إلا الخاتم المخصوص، وهو العلة الغائية من الموضع الكلي، فإنها لَه بالذات، وتحل فيه بالحقيقة، فلا يصح له الاكتساب مع حلولها، فإذا تجرَّدت انتقلت أنيته إليها، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الحديد:21]، والله بكل شيء عليم، فهو للوجود والعلم كقرص الشمس للحرارة والضوء، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ.

نفس: كلما أُطلق عليه اسم العالم منقسم إلى خارجي، وهو عالم الكليات والأجزاء بالمولدات من الأجسام الطباع الأربعة، المدبر لها نفس الكلية، والمؤثر فيها العقل الكلي، مركوزة في الأقوية الستة، وهي أيامها الحقيقية، وأنوارها المبينة لتجنيسها وتنويعها وتشخيصها، وهي المشاعر الخمس والحس المشترك جزؤها المولد فيها عن الطباع الأربعة، أخذ بقسطه من نفس الكلية والعقل الكلي، وهو أخذ بالاستعداد والاستفادة والقبول بحسب الخلق والخلقة، الحاصل في أجزائها في كلياتها كالحاصل في المرآة من شكل الناظر فيها ملائكتها المدبرات لأفلاكها، أقوية قادرة على التمثل والتشكل والتخيل بحسب اختلاف عواملها في أفلاكها، أرواحها المجردة عن أجسامها الجزؤية بعد التحليل منها ما شابه الشبح الجسماني، فهي نفس المقيدة بالهياكل المنعكسة بحكم الحشر والنشر، لا بحكم النسخ، ومنها ما يتجرَّد عن الأجسام، وهو نفي حكم التسبيح، وهي الأرواح الجانية، ومنها ما يلتحق بالأقوية المدبرة، وهي النفوس الفلكية، وربما تعلَّقت بالنيرات، ومنها ما يرتفع إلى المؤثرات، وهي العقول المولدة للمعاني المفهومات، والصيرورية إلى ذلك بحسب الملكة المحكمة، فبأي عالمٍ من هذه العوالم، وجزء من هذه الأجزاء، تخلقت وتحققت، تقيدت به، وصارت معه، وعادت إليه، وأشهدها تخلقًا وتحققًا، ربها ومالكها والقاهر عليها، مفيدها نعيمها أو عذابها، وكل إفادةٍ معها مادتها وأحكامها وتحكماتها إلى ما لا يحصيه الإحصاء، ولا

ينتهي إلى غاية تحكم الاستقصاء، والعالم الثاني هو الباطني وهو عالم الإحاطات والأسماء، فالحياة فيه بإزاء نفس الكلية في العالم الخارجي، والعالم بإزاء العقل الكلي والروح والأمر والقدرة، والإرادة بإزاء العناصر الأربعة، ثم الأسماء الجزؤيات المولدات في عالم العناصر والتجليات، والتحليلات بإزاء الهيئات من الأخلاق والخلق، وهذا هو عالم القدرة ودرجاته ومقاماته مرتبة على أحكام الأسماء الحسنى ومراتبها، ولأنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وهو نفس الذات الذي هو نفس المُسمَّى، وأما الصفات التي يُقال عليها لا هي نفس المُسمَّى ولا غيره، إذ الغير مقدرٌ بالاستقلال، والواحد لا يزيد على نفسه، وأسماء الأفعال وهي غير مسمًّى في هذا العالم خاصة، وما من شيءٍ وقع في عالم الكليات إلا بإزائه اسم في عالم الإحاطات، والحكم فيها راجع إلى الملكة المحكمة، وصيروريتها الوسط المختار، والعالم الثالث وهو عالم الذات الذي لا يُوصف بالخارجي ولا بالداخلي، ويُقال على التقريب ذات الوجود بإزاء ذات الحياة في عالم الإحاطة، وذات العدم بإزاء ذات العلم، والذات المتلونة بالتربيع وهي ذات التجليات بإزاء التربيع من العالم الإحاطي، والذاتيات لها وفيها بإزاء الأسماء، فهو عالم الذات والذاتيات، وهو الذي لا ينتهي إليه الفكر، ولا يتعلق به ألسنة الذِّكر، وكما وقف رئيس عالم الكليات عند سدرة المنتهى، وسدرة المنتهى حقيقة القوة التي ينقطع معها تصور الخارجيات، وكذلك يقف رئيس عالم الإحاطات عند غاية قاب قوسين أو أدنى، وهذه الغاية حقيقة القوة التي ينقطع معها تصور الباطنيات، وكما زج الروح الكلي بالروح الإحاطي في عالم الإحاطات التي هي غاية الدنو والتدليات، كذلك يزج هذا الروح بالروح الذاتي، وهو خاتم الولايات في الظلمات الذاتيات، ومن سلم سلم، ومن تحقق فهم، ومن اعترض ندم.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:40].

نفس: حقيقة الجنة قوة فعالة، أمثلة روحانية في قابل ظاهر غيب، جزء جسماني متميز، بهيئة منحرفة عن الخط المستقيم، الحاكم في عين تلك الأمثلة صورة اعتقادية تطابق هيئة ما تمثلت فيه القوة الفعالة، إذا تجرَّدت في داخل الذهن، بشرط سلامتها عن العوارض المفسدة، وهي سبعة متنوعة بتنوع الأفلاك السبعة، وثامنها الفردوس التي سقفها عرش الرحمن، هي كالأول غير أنها تمثل في القابل المتميز بالهيئة المستقيمة

من الخط القائم على سمة عرش الاستواء الرحماني، الموضوع معلولاً للمحمول فيه، وحقيقة النار كذلك غير أنها في سلوب عن الروح الرضواني، وبما لم يتثمن تسبيعها لاستحالة تمثل شيء منها في القابل المتميز بهيئة الخط المستقيم، وحملة العرش الثمانية حقائق مادية الذاتية لَه، ومقدمات نتائج صورة المتميز بها في خاصيته قبول تجليات أسماء صفات الذات، التي هي مشروطة بالزيادة على موصوفها الرحمن وإن لم تغايره، والرحمن هو تجلِّي اسم الذات بحقائق هذه الصفات الثمانية، تمثلاً في معلوله القابل لَه بالكثرة التي لا يصدق عليها العدد، ولا يفتقر في بقاء أبديتها لمددٍ ولا مُدَد.

نفس: الفقر[1] هو قطع يد الأمل، وكفُ كفِ التعلق بكل سببٍ توهمت نهايته إلى منتهاه من أحد الطرفين، فموصوفه لا يتَّصف بذاتي يلزم من نفيه نفي حقيقة لكل متمثلٍ بمثالٍ يصدق عليه اسم الوجود، والشيء مخبر بعين وجوده في عين خبره بباطن الأزل، الذي لا يخبر ولا مخبر عنه، فإذا ثبت الفقر كان حجابه كل شيءٍ في نفسه مع تنزيهه عن حكم الغير مع حكايته، وإثبات سواء الحق مع بقاء كل مرتبةٍ فيه على ما تميزت به من الحكم.

نفس: التجريد[2] هو انخلاع العوالم الإنسانية عن لباس تلبيس العوارض الزائدة على الحقائق الذاتية لها؛ لتحقق خلوص الخلاصة الإنسانية المعدومة بالحقيقة، والموجودة في المجاز، وهي القابل المشترك مطلقًا، حيث لا يتعيَّن مع مقبولها، ولا تحدث كيفية زائدة في متحد تحقيقها إن وضعت فكانت عين المحمول، وإن أخبرت فكانت عين الخبر في صدق المقول إن وقعت في الجعل، فلا يتميز مع الجاعل والمجعول فهي الفطرة الإلهيَّة، والصيغة الربَّانية، وإليها يقع الالتفات بالأسماء والصفات والذات، فهي ضرورة إيجاب الوجوب، وتمكين الإمكان، كما أن العقل ضرورة العلم فيما يعطيه ترتيب الوضع.

نفس: التفريد[3] هو صفة توجب تمييزًا لا يصح حكم الاشتراك فيما بين

---

(1) قال الشيخ المصنف سيدنا وابن سيدنا في الشعائر: الفقر: فقدٌ لا ترك.

(2) وقال: التجريد: الخروج من حضرة إلى حضرةٍ.

(3) قال سيدي محمد وفا: التفريد: شهود الحق في كل شيءٍ بحكمةٍ.

المتغايرين؛ لنفي المماثلة في صفات نفس، أو هو تميز بسلوب من كل واجبٍ للتمييز في المراتب، فتميزه سلب التمييز، ولا يُقال على موصوفه: موصوف بزيادة؛ لما فيها من فحوى الثنوية وإن لم يكن تكثيرًا في الذات، بشرط إثبات وجود خارجي، فهو كثرة معقولة في داخل الذهن، وتصور الخارج مجاز كل شيء، فلا يُقال بالذات؛ لأنه لا يقدر صفة نفسه إلا بالذات، فذاته توجب ذاتيات لا يُقال عليها غير لامتناع الاستقلال فيها، ولا مثل لشمول الوحدة الحقيقية عليها، ولا هي صفة؛ لأن الصفة مشروطة بموصوفها عند تقدير الوجود، فهي شيء يُلحظ بملاحظة المعجوز.

نفس: الفناء[1] هو فراغ موصوفه من كل قضية صدق عليها اسم الوجود، والشيء وتصور المعدوم في داخل الذهن فلا يُقال عليه: معلوم للمحيط المطلق، ولا ثابت، ولا هو المنفي؛ لأن النفي المحض يميز في داخل الدهن شيئًا صدق عليه النفي، وأيضًا فإن الفناء اسمٌ لا مُسمًّى لموصوفه، وضع استدراجًا لفظيًّا لإشعار ما لا يستشعر به، وإصابة سهم العقل في قرطاس الغرض من حصوله محال.

نفس: المخصوص هو الواحد في كل دهرٍ بتكرار السبع المثاني عند ختام كل حشرٍ، وفاتحة كل نشرٍ جملي هو القرآن العظيم، وهو عين الله التي بها ينظر، وسمعه الذي به يسمع، وحواسه التي بها يدرك، ولسانه الذي به ينطق، وعواقله التي بها يعقل، وفواعله التي بها يفعل، فهو آحاد واحده، ووجه ذاته التي لا يتمكن تصورها إلا من حيثياته، وبه جاز قلب الحقائق، وله ومن أجله جازت المستحيلات العقلية وغير العقلية، فبه أُمكن الواجب، ووُجب الإمكان، «**وكان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان**[2]».

وفي معناه:

يَا فريد الزَّمَانِ فِي كلِّ دهرٍ ... كل حينٍ حميت من كل حين
حرَسَ الله زمانًا أَنْتَ فِيه ... يَا مَلِيح الشئون مِنْ كُلِّ شين

---

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به: الفناء هو اضمحلال كل متعرضٍ متوهمٍ لا ينتهي إلى غايةٍ محقَّقةٍ، وحقيقته: صدق العدم الذاتي على كل موجودٍ بالعرض في المجاز، وغايته: صادقٌ من العلم يمحق كل كاذبٍ من الوهم وهو الهلاك الحقيقي.

(2) ذكره ابن حجر في فتح الباري (289/6).

نفس: من خاطبك بلسان الأزل[1] علمك من غير دليلٍ ولا برهانٍ، وهو عالم الوجود الذي لا يصدق عليه نقيضه، ومن خاطبك بلسان الجبروت أفادك حلاوة المناجاة، وهو عالم الوارد الذي دليله منه وبرهانه فيه، ومن خاطبك بلسان الملكوت أوقر في نفسك رهبوت الربوبية، وكشف لك من عجائب الصنع، وبدائع القدرة، ومن خاطبك بلسان الكون فقد أحالك على بوارق الأحوال، وأشغلك بشواغل الوهم والخيال، الناطقة مقر الوجوب بالوجود، والحيوانية مقر الأكوان بالإمكان.

نفس: لقد أسمعك من أشهدك فيه ما أخبرك عنه.

نفس: العالم يخاطبك بما يسعه عقلك، وتقبله نفسك، والعارف يمحوك ويمحقك، ويبعثك وينشئك من عوالمه، وبعد ذلك يسمعك ويعلمك ويخبرك، وكما أوجدك يوجدك، وبحسب ما أثبت فيك يثبتك، ولذلك قال متكلم الكليم: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه:13].

نفس: العالم يعلقك بمعلوم تشخيصك، إن طابق فصحيحٌ وإلا فاسدٌ، والعارف يوجدك حاضرًا لا يحول؛ لأنه لا يقبل نقيضه، تحصيل العلوم بالأدلَّة تكلف، وحصولها بالأذواق تعرف، وحصولها بالوجود غير متوقفٍ.

نفس: الكامل هو الذي لا يُفقد عنده شيئًا تعلق به العلم القديم.

نفس: العلوم المستنبطة بالأدلَّة والبراهين صناعية، وكل مصنوعٍ منقطع.

نفس: العالم بالله يهبك قلبًا عالمًا، ولسانًا قائلاً، ومكنة فعالة، وعلماء الأدلة يحدثون فيك قلبًا متعلمًا، ولسانًا ناقلاً، وكونًا للمفعول.

نفس: النفوس الناطقة هي أسرة العوارف الروحانية، والأعراف الربَّانية، فإن استوى عليها شيطان رجيم فهي كتاب في سجين، وإن استولى عليها ملك كريم فهي كتابٌ في عليين، وإن استولى عليها الرحمن الرحيم فهي على الخط المستقيم، عليها رجال يُعرفون كلا بسيماهم، وهم رجال البيوت الإذنية، الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع

---

(1) قال سيدي محمد وفا: الأزل إحاطة في وحدة، والأبد إحاطة في كثرة، فإذا تجلى واحد الأزل في آحاد الأبد أعطى في كل واحدٍ من آحاده حكم ما تجلَّى به، فالأول بالوجوب، والثاني بالإمكان. وقال سيدي علي وفا: الأزل مبدأ الإيجاب، وهو وجود واجب والأبد مقابله.

عن ذكر الله، كما قال: القلب بيت الرب.

نفس: الجانّ في محض الأوهام، والرحمن مستوى عرش الأفهام، فمن فهم شيئًا حكم به، ومن توهم شيئًا حكم عليه، ومن تحقق شيئًا حكم فيه.

نفس: حجاب الجسم يفيد تصوير ما لا يتصور صورًا مجردةً في داخل الذهن، ولهذا شق حمله على الروح، والأجر على قدر المشقَّة، وإنما يُستفاد منه على قدر الهمم.

نفس: علم اليقين هو ما قابله الذوق الصحيح من غير دليلٍ ولا برهانٍ، فاليقين قبول الخبر عن المغيبات بغير تعليلٍ ولا تجويزٍ ولا احتمالٍ، وعينه أن ينزل الخبر بالمخبر منزلة القطع في المشاهدات، وحقه أن يقع موقع الوجدانيات، والمستفاد عقب النظر الصحيح ليس من علم اليقين، ولا من عينه، ولا من حقه في شيءٍ، ولو كان صفة توجب تمييزًا لاحتمل النقيض.

نفس: الجسم ذات قابلة لاستقرار الفعل[1]، والحس ذات قابلة لتمييز كل محسوسٍ بصفته المعينة فيه، والنفس ذات متطورة مع الأخلاق والخلق، والعقل ذات تمييز كل شيءٍ بالوهم، والقلب ذات قابلة للصبغة الإلهيَّة، والروح ذات موصوفة بالصفات التي لا يتَّصف بها من تقدم وجوده عدم، والسر ذات مجردة عن الكثرة من كل الجهات، هذا في الأعم.

---

(1) قال سيدي علي وفا: خاصة المرتبة القابلية المسماة بالهيولي الجسمانية بتجسيم ما عينته وخاصة هيولي عالم الكون والفساد منها وضع ما عينته بحيث يكون ويتحلل وخاصة هيولي المتولدات منها وضع ما عينته بحيث ينشأ ويقف وخاصة هيولي الكثائف منها تكثيف ما عينته وقس على هذا والكل أحكام وجودية كما تقدم وما كان من حسن وجمال وطيب ونفع وقوة وكمال فيها فمن نظام الفعل الوجودي الروحاني الجميل وما كان من ضد ذلك في محله فمن المحل ومن فاعل آخر وبالجملة فلكل فعل مصدر ولكل مقام حكم.

اسمع: الظاهر عنوان الباطن إذا كنت في مكان واسع بحيث تتصرف حسب اختيارك وتأنس وتستريح وخرجت منه إلى ضده فقد أخرجت نفسك من ذلك الوجد أو مظنته إلى ضده مثال هذا أن تكون في وطن أهلك فتخرج تسافر متغربا لا لمعنى فانظر كيف تصير قلقا خائفا على رحلك محبوسا في مسلكك محصورا في ضيق محلك واحذر أن تكون في المعنى كذلك أما إذا كان لمعنى فسم الخياط مع المحبوب ميدان ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ وقس على هذا.

وفي الأخص سر المخصوص يُنزل بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [آل عمران:18].

وروح المحبوب يوحي ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة:255].

وقلب الشاهد يتلو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]، وعقل المحقق يقرأ: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35]، ونفس العارف تملي: ﴿أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه:12].

وحس الصدِّيق يستملي: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:123].

وجسم الفاني يقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88].

وصورة الباقي تخبر بلسان الحق: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:51].

فالمجموع من القطب الفرد الغوث الخليفة المحقق، المخصوص الجامع لأسرار الأسماء والصفات والذات، مكتوب بقلم: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:103]، في حيطة أم الكتاب في سابقة الوجوب: بسم الله الرحمن الرحيم، مرسوم بقلم: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:7]، في إحاطة اللوح المحفوظ من لاحقه الإمكان: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4].

نفس: حبة الإنسان خلاصة الأكوان، وعين جمع مفترقات عالم الإمكان، وهي حبة أنبتت سبع سنابل، نحو: الجسم، والحس، والنفس، والعقل، والقلب، والروح، والسر، في كل سنبلةٍ مائة حبة، وهذا الحَب هو اللب الكائن في السنبلة، فكل عالمٍ من عوالم الإنسان فيه المائة لبنة، وهي ثلاث حقائق: الأولى: مائة رحمة، والثاني: مائة اسم، والثالث: مائة درجة، قلب الإنسان إذا تخلص من القشر والأب، وتنصل من القش والشوك، كان خُبزةً يتلقاها الرحمن بيمينه، وهو غذاء الحضرة الإلهيَّة، وما تنصل عنه وتخلص منه كان غذاء الأرواح الأكوان كالملائكة والجان والمعدن والنبات والحيوان، كما أن سائر الأكوان الواقعة بالإمكان من حضرة الرحمن عند تكاملها في المعدن والنبات والحيوان، خلاصة لبابها غذاء حضرة الإنسان، وما تخلص عنها من قشرٍ وشوكٍ وجلدٍ وعصبٍ وعظمٍ وأبٍ غذاء للمعدن والنبات والحيوان، ذلك كله فيما استقام واعتدل على صراط القوام، وانتهى إلى نهاية التمام، ومن عرضه عارض الفساد

رجع مع النزول إلى المعدن والنبات والحيوان، وكذلك في الإنسان.

نفس: الحقائق غير ممتنعةٍ عن القبول مطلقًا من وجه استعدادها بالذات، لا من حيث صفة نفس، وكل شيء صدقت عليه إحاطة العلم القديم قوة في موصوفه، يبرز بمقتضى الحركة الذاتية، فعلها الواقع بمفعولها المحكم بملكتها، ثم تجتمع مفترقاتها في العلة الغائية من القصد الأول، وهي قابلة مطلقًا كما تقدَّم لكلام الوسط المختار، وكلامه في نظام كلمتين كلمة وجوب، وكلمة إمكان.

وكل عين الجمع للحقائق المستعدة إذا صدقت عليه إحدى الكلمتين، صبغة بمقتضيات مفهوماتها، وإذا صدق الشيء كُذب نقيضه.

وكل قوةٍ في غيب النظام الذاتي غير موصوفه، فلا يُقال عليها مقول ما بوجهٍ من الوجوه؛ لأن لها حكم ما بطنت فيه، والذي بطنت فيه لا يُتصور، ولا جائز التصور، فلا يصدق عليه نفيٌ ولا إثباتٌ.

نفس: الكلام كلمتان: كلمة وجوب، وكلمة إمكان، والحقائق الواقعة بالفعل عن الأقوية الباطنة في الذات لا يصدق عليها، ولا تشمل إحاطة العلم القديم شيئًا سوى ما وقع عنها، وهذه الحقائق مستعدة بالذات استعدادًا لا يصح منه الامتناع مطلقًا.

والصورة المعبر عنها بالعلة الغائية هي عين جمع مفترقات الحقائق المتقدم ذكرها، وهو جمع نسخ، فهو عبارة عن كل شيءٍ جمع فيه، فإن صدقت عليه كلمة الإمكان حققته بمفهومها، وإن صدقت عليه كلمة الوجوب حققته بمقتضياتها من كل الوجوه.

نفس: المعلوم الحاوي لمعلومات العلم القديم هو الإنسان، ولأنه عين جمع في كل حيثيةٍ، ومن علم الأسماء كلها حتى اشتمل على المعلومات، كاشتماله على بنيه في الصلب، وهو الشيء المُراد للأمر الكائن في كل مرتبةٍ على كل هيئةٍ وماهيةٍ، فلا يصدق الشيء على غيره، ولو قُدِّر في حال معدوميته من الوجه الحادث، ومن هنا يعلم أنه حقيقة في العلم الواجب مجاز في الكون الممكن، فإن خلص إلى حقيقته تمكن بشروط المكنة الواجبة، وإلا فهو المجاز المحكوم عليه.

نفس: الكمال الإلهي في عين الكل من حيث هو هو، والعارف غيب فيه لا من حيث الجزء الذي ميزه، فإنه غير حاصرٍ لكله، وإنما هو علمٌ مشهورٌ، فإذا تجرَّد العارف عن الجسم، ونظر في منظرة العلم من الوجه المحيط، رأى في مجموع مفترقات

أشكاله عين كماله.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:164].

وقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:8، 9].

نفس: السر الإلهي مع الهوية(1) السارية بالذات، وهي حقيقة الإنسان الذي هو سر السلوب، لا يمكن تصورها مع غيرها، وصورة الإنسان مفادة من عالم فياض الصور الحاصل على رأس السمت من الصورة الكلية من الإنسان الكبير، وحصوله كان بالتصعيد كحصول العقل للإنسان في قطب الرأس منه، فالحقيقة الإنسانية تفيد فياض الصور معنى الإلهيَّة في شروط المكنة، وهي تفيد الإنسان صورته الجزئية بالفعل المطابق، الواقع بالتنزيل، والحاصل بالتركيب في قوام العين الجامعة لحقائق مراتب أجزاء الكل، ولهذا المعنى أشار بقوله لملائكته: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

نفس: المحبَّة إذا تحققت لا تتعلق بغير موصوفها، ولو قدر إثبات المحبوب على نفس المحب من كل الجهات، وكل ذلك هو منى نفس المحب، فإذا تحققت المحبة رفعت حجاب الفرق، وأسقطت حكم الغير، لكن باعتبار إحدى الطرفين، فإذا كان

---

(1) والهوية بضم الهاء: يُراد بها عند الحكماء: الحقيقة الجزئية؛ لأن ما به الشيء هو هو، إن كان جزئيًا تسمَّى بذلك. وإن كان كليًا يُسمَّى بالماهية، وإن لم يعتبر فيه كلية ولا جزئية كان حقيقة، فهي أعم منها. وهذا المعنى وإن كان صحيحًا في نفسه عند السادة حيث أن الوجود الحق عندهم جزئي لا كلي: أي هو شيء واحد ظهر بكثرة إلا إنهم: أي السادة اصطلحوا على الهوية بأنها الوجود الحق الذي لم يؤخذ بشرط شيء، ولا بشرط لا شيء، فإن الوجود كما قدمنا إما أن يؤخذ لا بشرط شيء، وهو الذات البحت.

وإما أن يؤخذ بشرط شيء ولو كثرة، وهو مقام الجمع المعبر عنه بالواحدية، وإما أن يؤخذ لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء، وهو هذه الهوية السارية بكل شيء، أي شيء كان، وهي الوجود الحق المذكور، والمراد بالسريان الظهور في المظاهر: أي ظهور هذه الهوية في كل شيء، كما يشاهده العارفون فإنهم صرَّحوا به، لا يكون الكامل كاملاً حتى يرى هوية الحق سارية في كل شيء، بل وهويته كذلك؛ إذ هي هي، ولا يظن الحلول بقسميه، بل ولا يتوهم أن لا إثنينية أصلاً، بل شيء واحد تعين بتعينات حسية وغيرها رجعت إلى عدم محض. وانظر: كشف الأسرار لصلاة سيد الأبرار للعطار (ص125) بتحقيقنا.

الحب من العبد لله، وسقط الفرق من هذا الوجه يقع نقص في عين الكمال، وفساد في نظام الحكمة، وحيرة في ميادين السير، وإذا كان الحب من الله للعبد، وارتفع حجاب الفرق، كما قال: «كنت هو[1]» أو «**كنت سمعه الذي يسمع به**[2]» أو «**افعل ما شئت مغفور لك**[3]».

وكل هذا كمال بالذات والصفات والأفعال، والله حكيمٌ لا يضع شيئًا في غير موضعه، ومن تولاه الله حفظه وكمله، ومن تولى الله كان الأمر منسوب إلى نقص البشرية، وعلى كل تقديرٍ ما من الله إلى العبد أتم مما من العبد إلى الله.

نفس: اعلم أن الله ما وضع وضعًا حتى أودع فيه حكمًا وسرًّا وحقيقةً وأمرًا، وجعل لَه ضابطًا ومهيمنًا عليه، وجعل بينهما موافقة من وجهٍ، ومباينة من وجهٍ آخر، فكل فلكٍ له ملك يدبره، واسم من الأسماء الحسنى يقيمه ويمده، وجعل فوق الفلك ملكًا ومهيمنًا عليه، فمتى ما انحرف في نفس أوضاعه أقامه وعدله، ونهاه وأمره وزجره، كالحيوان والإنسان مثلاً، والولد والوالد، فهي كلها ضوابط حكمية، وقوامات علميه وعملية، ولكل شيءٍ معقبات من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه من أمر الله، وبذلك جاءت الشرائع كالعقد والكتب والإشهاد في النكاح.

ولو تُركت نفس على سجيتها أدى ذلك إلى الفساد من اختلاط الأموال والأنساب، إلى غير ذلك من المفسدات، وكل ذلك ضوابط حكمية، ﴿**حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ**﴾ [القمر:5].

ولما كان الإنسان نسخة الكل وعين الجمع، وقع على أحسن تقويم، وأعدل نظم وتمكين، فجعلت نفس منه مهيمنًا على الحس والعقل، مهيمنًا على نفس والقلب، مهيمنًا على العقل والروح، مهيمنًا على القلب والسر، كذلك ولولا ذلك لانقطع ألف الوصل والكلام، وانخرم حكم النظام، فإذا جاء الفتح من الله إلى العبد، وتنزل السر الإلهي في عالم السر من العبد أعطى السر الروح ما يستحق منه، وأعطى العقل نفس ما يستحق منه، وأعطت نفس الحس ما يستحق منها، وأعطى الحس الجوارح ما

---

(1) هو حديث كشفي مستدل به عن السادة الصوفية.

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه مسلم (2112/4).

يستحقون، فيظهر الكمال، ويعتدل الميزان، ويحق الله الحق بكلماته:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 9: 12].

ومتى كان الأمر من العبد بالقصد والتوجه الطلبي وقع من الأدنى الأعلى، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، وعلامته أن يظهر في الكمال نقصان، وفي الميزان خسران:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء:82].

فأهل التوفيق في قدم التحقيق ينتظرون الفرج بالصبر، ويرضون الله، والآخر الحائر، وهو صاحب قلق وحنق، ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء:37].

نفس: العارف غيب الله، فلا يظهر على غيبه أحدًا، والله غيب العارف، وهو لا يفشي سره أبدًا، والحقيقة المشتركة كمالها بالخاصية، فلا يدخل في حصولها ما اتصف بعموم الصفات، وتميز بنعتٍ من نعوت التحكمات، وإذا اختص الله عبدًا أدخله في غيبٍ من غيابات ملكه، أو غيبٍ من غيابات ملكوته، أو غيبٍ من غيابات جبروته، أو في الظلمات الثلاث، فإن الغيوب في ظلمات الذات التي حجبت الأبصار عن تصورات حقائق الأسرار، ومن تجلَّى الله فيه بحقائق أسراره حجبه في غيابة حر من أحراره عن مدرك أبصار أغياره، فلا عين تراه، ولا يد تمتد إليه.

نفس: الوجودات ثلاثة: وجود عالم الأفعال، وهي الصور، والصور مستودعة في قوة الاستقصاءات الأربع، وهي الجواهر الصورية الحاصلة في الجواهر الهيولانية من الجسم المحيط القابل للفعل، وكلما يصدر عنها خارجي فيها، متغاير بالاستقلال، فكل فعلٍ وقولٍ وعملٍ كائن فيها، صورًا مجردة يشاهدها الروحاني المجرد عن الجسم بعد تحليله عنه، وذلك الروحاني هو نتيجة عن المجموع، حاصل فيه قوة الاستقصاءات، فمتى انحصرت بعد التجريد وانحلال التركيب في صورة الركن الناري أو الهوائي أو المائي أو الترابي جاء العذاب؛ لأنه انحراف محض لحصول الأقوية من الاستقصاءات

الثلاثة في صورةٍ واحدةٍ، فيرى من التخيلات المدهشة والموهمة والموحشة، ويذوق من الآلام بالقدر الذي حصل فيه انحرافه، وهذه حقائق الجهنميات، فإذا تجرد الروحاني عن الصور الاستقصاءات بعد تحليل التركيب تجريدًا تامًا، صار قادرًا على التشكل والتمثل، وتصرفت كل قوى من الأقوية الحاصلة فيه بالنوع الذي هو من نوعها، فتشكل نفس الآكلة وقد تشكلت نفس النامية، وتصورت نفس الحيوانية في الصور الملائمة المطابقة لمراداتها، وما يتصور ثمره ولا شجره من نفس النامية على السماع عوالمها وتشخصاتها، إلا وتصور لها من نفس الآكلة شكلاً أكلاً ممتنعًا، وكذلك من الحيوان، وكذلك الناكحة إلى غير ذلك، وإذا رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا، ومن هذا العالم تنزلت علوم النبيين، ومشاهدة الرسل في قوابل المؤمنين والشهداء والصديقين، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ [النساء:69].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:72].

وأما الوجود الثاني فهو وجود عالم الصفات، ووجوده معنوي، وحكمه الإحاطة، وهو حاصل مع العقول المجردة، فإذا قلب علم بإسقاط الصورة وجدته علمًا واحدًا محيطًا في كل عالمٍ بكل معلومٍ، وكذلك في الحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر إلى غير ذلك مما لا يُحصى، ولا يحصره الاستقصاء، وهذا هو ملكوت الله وجنده الذي لا يعلمه إلا هو، ومتى ما تحصلت الجلالة من هذا الوجه قلب عالم الصور في عين الذي تجلت لَه معانيًا، والوجود الثالث هو عالم الذات، ووجوده الأسماء وحقائق المسميات، وهو إذا تجلَّى صدق بأسمائه عند من تجلَّى له على كل شيءٍ، والكمال في خاصية الملكة المحكمة والوسط المختار، وبه يصح إبقاء كل شيءٍ على ما هو عليه مع تمام الكشف برفع الستر، وتصريف العلم بقوانين الحكمة، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ نفس عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ﴾ [الرعد:8، 9].

نفس: كل شيءٍ حصل في الفعل كيفما كان حصوله حكم عليه ما حصل فيه، والفاعل الذي لا يحكم عليه هي الكلمة الإلهيَّة التامة بالصدق والعدل، وصدقها صبغة الله، وعد لها تمييز المراتب الصادرة عنها بقوانين الحكمة الإلهيَّة، والأحكام الربَّانية، والكلمات التامات صدقًا وعدلاً، وحسن كلمة الروح في عالم الجبروت، وكلمة جبريل في عالم الملكوت، وكلمة آدم في عالم الملك، وكلمة عيسى في عالم النبوات،

وكلمة محمد ﷺ في الرسالات، وأما الكلمة الجامعة للكلمات هي كلمة الخاتم للولايات من الأمة الأمية، الذي تحقق من الله بأسرار اللاهوتية، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: 123].

نفس: كل كلمةٍ أشرق في ظلمتها مصباح: لا إله إلا الله، تنبصر في هيئة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11].

نفس: تنزيه الواحد(1) من كل الجهات الذي لا يدخل تحت عبارة العقول الإلهيَّة؛ لأن الحصر ينافي من لا يدخل تحت إحاطة العلم القديم.

نفس: صدق العلم على من يدخل تحت إحاطته كذب، تصححه العقول المتوهمة صور الحكايات الصناعية.

نفس: ادِّعاء المعرفة بمن لا يعرفه غيره غلط مع توهم التحقيق به، أو مغالطة إذا لم يكن كذلك.

نفس: مطلوب الهمم الإلهيَّة لا يتناهى، وكل مطلوبٍ لا يتناهى لا ينتهي إليه.

نفس: غاية العقول السليمة في المطالب الإلهيَّة الوقوف عند العجز بتصور السلوب بحكم قضية الوهم.

نفس: المتكلم بعبارة الأزل الكائن في العقول المجردة في السابقة المسلوب عنها الأولية التي هي ضرورة كل متصورٍ، لا بدَّ وأن يتنزل عن إحاطة العلم الذي لا يتَّصف غير معلومه إلى التصورات التي لا يفيد مجرد وجود المخبر عنه في عين الخبر، الذي هو تلويح على رأس البعد.

نفس: لسان البقاء لا يقع مخاطباته في سمع يسمع من لسان الخلق الذي غايته في تحقيق صدق الكذب.

نفس: لسان الفناء لا عبارة لَه؛ لأنه يدخل تحت ما يُقال عليه بالنفي والإثبات.

نفس: من فُتح لَه باب من أبواب الله دخل مدخلاً لا مخرج لَه منه.

---

(1) قال سيدي عليٌ بن وفا نفعنا الله به: إنما كانت القلوب السليمة تحنُّ إلى التنزيه أكثر من التشبيه لأن التنزيه هو الأصل، والتشبيه إنما هو تنزُّل للعقول، ومن شأن الذات الإطلاق لذاتها، وتساوي النسب لصفاتها؛ فاعلم ذلك، ونزِّه ربَّك عن صفات خلقه اهـ.

نفس: البكم لسان من يخبر عما لا يخبر عنه.

نفس: الوارد الإلهي يقضي بمحو ما لم يكن، وإثبات ما لم يزل، وإن لم يكن شيء كذلك.

نفس: تكلم الله فلم يسمع، ودعاه دعاة الخلق فلم يسمع، ونظر إليهم فلم يرَ شيئًا سواه، فما رآهم ونظروا إليه فلم يروا شيئًا سواهم، فما رأوه فما هو منهم ولا هم منه، حتى ينظروا إليه من الوجه الذي ينظر إليهم منه، وإن كان كل شيءٍ منه فبلسان فعله، يُقال عليه كذلك وإن لم يكن كذلك لما كان كذلك.

نفس: العلل والأسباب أوجبت مغايرة الوجوب والإمكان، فمن انقطعت علته وارتفع حكم سببه سقطت عنه توهمات المغايرة.

نفس: كل الناس يعظم ما توهمته عاقلته غاية المطلوب، والعاقل عبد لما عظم في الغاية.

نفس: المحبة لا تصدق بلسان القول، والحكمة لا تصدق بلسان الحال، ولكل حقيقةٍ برهان، والمحال ما لا يوجد له حقيقة.

نفس: من التفت إلى آدميته بالكلية سُلبت عنه حقيقة الإنسانية، ومن سُلبت عنه حقيقة الإنسانية جهل حقائق العلوم الإلهيَّة، رده الله إلى الآفاق المظلمة، والأفلاك المبهمة، ونظمه في نظام الحروف المنعكسة.

نفس: سلطان الحقيقة قاهر؛ لأنه غالبٌ على أمره، فإذا نزل بساحة العقول محق أثرهم، وأبطل خبرهم ومخبرهم، وأبدلهم مكان إمكانهم تمكين مكانتهم، فكأنهم إذ ذاك هو لا هم.

نفس: النظر في ذات من لا تدركه الأبصار عماوة، والكلام فيمن لا يحيط به العلم القديم عمى، ووجود من لا يجده سواه إعدام لوجود العين، والمخصوص بوجوده فلا واجد لَه؛ لأن الحاصل لا يبتغي.

نفس: فرض الله على عباده في مراتب الأكوان الاعتراف بالعجز عما هو هو، وفرض الله على الخواص في غيوب وجوبه القوة التي لا يصدق عليها، كذب العجز المؤدي إلى الكثرة المنافية للوحدة الذاتية.

نفس: كلما يبلغ العباد بالعين والكون والمنقول والمعقول، سواء إن كان في مراتب الإمكان، أو مراتب الوجوب، وجودات أوقعتها حقيقة الذات المعجوز عنها، فمما وقع من وجودٍ يُقال عليه الذات، ووجود يُقال عليه الصفات، ووجود يُقال عليه الأسماء، وكل ذلك في النظام القديم، وكذلك ما عدا ذلك من عقولٍ وأرواحٍ وأشباحٍ في نظام الإمكان الحادث.

أما العقول فثلاثة:

أولها: من الوجه المقعر للعقل الطبيعي، ويتفاوت في مراتبه بحسب تفاوت الاستعدادات في الاكتساب والتركيب، وغايته ما جاءت به الفلاسفة والطبيعيون من علوم المعدن والنبات والحيوان، والأفلاك السماوية، والتراكيب الصناعية، ويستقر قدمه في النهاية إلى استخراج الخاصيات في صناعة الكيمياء، وإلى استنزال النواميس السماوية.

فيصل الثاني: العقول المعيشية وحقيقتها بالنظر في مصالح المال من الأمور الأخروية، والتخلي من الأخلاق الدميمة، الموجبة للارتكاس في الطبع بعد التجريد في الأجسام الحيوانية، وغايتها في ذلك مع فرض التفاوت والتباين في الدرجات إلى مشاهدات ملكوتية، ولطائف روحانية، وتنزلات ربَّانية، ومقولات حكمية نهائية.

فيصل الثالث: العقول الإلهيَّة، وهي مفارقة للنفوس المتوهمة سوء العاقبة في المال، وفساد صحة المعتقد في الحال، لا متصفون بالاستهلاك في الحقيقة التي لا يصدق عليها نقص بوجهٍ من الوجوه.

ولا يُقال: بل النقص بالنظر إليها عين الكمال؛ فمعارفهم خارجية عن قبيل العلوم النظرية، وعلومهم مباينة للأحكام العرفية، وهذه العقول الثلاثة بما حوت من المراتب والدرجات والمقامات والحضرات يتوصل إليها بضروبٍ من الاكتسابات، كما قيل: على قدر أهل العزم تأتي العزائم، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، ومن وراء هذه خصوصية الواحد بما يُقال عليه بالذات والصفات، وهي خصوصية لا اشتراك فيها؛ لأنه مخصوص بالوجود للأحد الذي لا يصدق عليه العدد.

نفس: من لا اختيار له لا حكم له، ولا اختيار لمن دخل تحت الحكم، وكل شيءٍ ما سوى الجلالة من وجه الدرجة لا اختيار له؛ لأنه محكوم عليه حتى من وجه أنه

حاكم، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88].

نفس: إنما أعجز مدارك العقول السليمة معنى ما هو هو سلب التمييز في عين وجود ما سلب عنه، فلا هو هو ولا هو غيره، ولذلك قال المركب في العقول البسيطة بتوهم الأصلح والأحسن، «**اللهم زدني فيك تحيرًا**»[1][2].

---

(1) حديث ذكره السادة الصوفية في كتبهم، مثل الشيخ الشعراني في الميزان الذرية (ص73) بتحقيقنا.

(2) قال الشيخ الشعراني: الحيرة في الله من كمال المعرفة به، وهي ساريةٌ في العالم النُّوريِّ والنَّاريِّ والترابيِّ، لأن العالَم ما ظهر إلا على ما هو عليه من العلم الإلهيِّ، وما هو في العلم الإلهيِّ لا يتبدَّل، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30] الآية.

فما فُطِر العالَم إلا على الحيرة، وذلك لأن المرتبة الإلهية تنفي بذاتها التقييد عنها، والقوابل تنفي الإطلاق عنها، ولا تشهد إلا صورتها من التقييد.

فهذا هو سبب شدة الحيرة في الوجود، ولا أحد أشدُّ حيرةٍ في الله من العلماء به، ولهذا ورد أنه ﷺ كان يقول: «زِدْنِي اللَّهُمَّ فِيكَ تَحَيُّرًا»، ومع ذلك فأعلى ما يصل إليه العلماء بالله تعالى من طريق نظرهم مبتدأ البهائم؛ لأنها كغيرها مفطورةٌ على الحيرة في الله ﷻ، والإنسان يريد أن يخرج بما أعطاه الله تعالى من العقل والرؤية وإمعان النظر عن الحيرة التي فُطِر عليها، فلا يصحُّ له ذلك.

وعلى هذا الذي قررناه الإشارة بقوله تعالى في حقِّ قومٍ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان:44].

فإن التشبيه بالأنعام إنما هو في الحيرة لا في المحار فيه، فليس ذلك نقصًا في الأنعام، والحيرة عَمًى بلا شكٍّ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:72]، أعني جاهلاً بالذات. لا كما هو في الدنيا.

ولذلك كان العارف المحقق عمرو بن عثمان المكي يقول في صفة العارفين: وكما هم اليوم يكونون غدًا، فَعُلِمَ أن من طلب معرفة الذات من طريق الفكر والنظر كان مآله إلى الحيرة، كما أن من طلب الواحد في عينه لم يحصل إلا على الحيرة، فإنه لا يقدر على الانفكاك من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب، وكيف يقدر على ذلك، وهو يحكم على نفسه بأنه طالبٌ، وعلى نفسه بأنه مطلوبٌ، ومقام الواحد يتعالى أن يحلَّ في شيءٍ، أو يحلَّ فيه شيءٌ؛ لأن الحقائق لا تتغير عن ذاتها؛ إذ لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه، وتغيير الحق في نفسه وتغيير الحقائق محالٌ.

واعلم أن حيرة أهل الكشف والشهود أعظم من حيرة أصحاب النظر في الأدلة؛ لاختلاف الصورة عليهم عند الشهود.

فإن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان، فلهم أن يحاروا ويعجزوا، وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان، وما بقي لهم شهودٌ إلا فيه، فهو مشهودهم، فكانت حيرتهم باختلاف

التجليات أشد من حيرة النُظّار في معارضات الدلالات، وفي الحقيقة ما في الوجود إلا الله. ولا يعرف الله إلا الله، فمن وصل إلى الحيرة من المقربين فقد وصل، والسلام.

وسمعت شيخنا ﷺيقول: العلماء بالله على أربعة أصنافٍ:

صنف: ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق النظر الفكري، وهم القائلون بالسلوب.

وصنف: ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق التجلي، وهم القائلون بالثبوت والحدود التابعة للصورة.

وصنف: يحدث لهم علمٌ بالله بين الشهود والنظر، فلا يبقون مع الصورة في التجلي، ولا يصلون إلى معرفة هذه الذات الظاهرة بهذه الصورة في أعين الناظرين.

وصنف: ليس واحدٌ من هؤلاء الثلاثة، ولا يخرج عن جميعهم، وهو الذي يعلم أن الله تعالى قابلٌ لكل معتقدٍ في العالم، من حيث أنه عين الوجود، وهذا القسم ينقسم إلى صنفين:

صنفٌ يقول: عين الحق هو المتجلي في صور الممكنات.

وصنفٌ يقول: أحكام الممكنات، وهم الصور الظاهرة في عين الوجود الحق، وكلٌّ قال ما هو الأمر عليه، ومن هنا فشت الحيرة في المتحيّرين، وهي عين الهدي في كل حائرٍ، فمن وقف مع الحيرة حار، ومن وقف مع كون الحيرة هدًى وصل، ومن وصل لا يرجع، لأن من المحال الرجوع بعد كشف الحجاب إلى الحجاب؛ إذ المعلوم لا يجهله العالم بعد تعلق العلم به.

ومرادنا بالوصول الوصول إلى السعادة الدائمة.

وهو معنى قوله: «فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه وبصرَه» الحديث.

وأنشدوا في ذلك:

وكل حب عُلِمَ له بدءٌ ويحققه علمي ... سوى حبِّ ربٍّ ما له ثاني
وغايةُ الحبِّ فِي الإنسانِ وصلتُهُ ... روحٌ بروحٍ وجثمانٌ بجثمَانِ
وغايةُ الوصلِ بالرحمنِ زندقةٌ ... فإنَّ إحسانَه جزاءُ إحسانِ
إنْ لَمْ أصوِّره لم تعلمْ بما كُلِّفتَ ... نفسي وتصويره ردٌّ لبرهاني

وأنشدوا أيضًا في نحو ذلك:

الله الله لا عقل يُصَوِّرُهُ ... والوهم يُعيدُهُ في صورة البشرِ
والشرع يُطلقُهُ وقتًا ويحصرُهُ ... والكون يُثبِتُهُ فِي سائرِ الصورِ
إنْ قالَ كُنْ فلمن والعينُ واحدةٌ ... بل عينُ كنْ لم تكن إن كنتَ ذَا بصرِ

وأنشدوا أيضًا في حيرة العقول:

فلو رأيتَ الذي رأينَا ... ما قلتَ إلا أنا هو أنتَا
قد أثبتَ الشيءَ قولَ ربِّي ... لو لم يَكُن ذاك ما وجَدتَا
فالعدمُ المحضُ ليس فيهِ ... ثبوتُ عينٍ فقُلْ صدقتَا

لــو لــم تكــنْ ثَــمَّ يــا حبيبِــي / إذ قــال كُــن لــم تَكُــن سَــمِعتَا
فــأيُّ شــيءٍ قــبلتَ مــنه / الكــونَ أو كــون أنــتَ أنــتَا

وأنشدوا أيضًا:

عجبِــي مــن قائــلٍ كُــن لعــدمٍ / والــذي قِــيلَ لــه لــم يَــكُ ثَــمّ
ثــم إن كــان فَلِــمَ قِــيلَ لــهُ / لِــيَكُن والكــون مــا لا ينقــسَمْ
فلقــد أبطــلَ كُــن قــدرةَ مــن / دلّ بالعقــلِ علــيها وحكــمْ
كــيفَ للعقــلِ دلــيلٌ والــذِي / قــد بَــنَاهُ العقــلُ بالكــشفِ انهــدَمْ
فــنجاةُ الــنفس فــي الــشرعِ فــلا / تَــكُ إنــسان رأى ثــم حــزَمْ

فَعُلِمَ أن من أعظم غلطات أهل النظر طلبهم الخروج عن الحيرة بالخلوة والرياضة، وذلك لا يكون لهم أبدًا، لأن التجرد عن المواد يُعقل ولا يُشهد، ولا يُسلم لهم عقلٌ من حكمٍ ولا خيالٍ؛ لأن كل ما سوى الله حقيقته الإمكان، والشيء لا يزول عن حكم نفسه، ولا يتعقل إلا ما كان على صورته، تعالى الله عن ذلك.

وأنشدوا في الحيرة أيضًا:

لــستُ أنــا ولــستُ هــو فمَــن أنــا / ومَــن هُــوَ هُــوَ فيا هــو هــل أنــتَ أنَــا
ويــا أنــا هــل أنــتَ هــو لا وأنــا / مــا هــو أنــا ولا هــو هــو مــا هــو هــو
لو كانَ هو ما نَظَرَت أبصارنا به لـه / ما في الوجود غيرنا أصلا أنا وهُوَ هُوَ

وكان شيخنا ﷺ يقول:

من الرجال من زالت عنه الحَيرة في الله ﷻ. فقلت له: كيف ذاك؟ فقال: إذا تجلى الله تعالى للقلب في غير عالم المواد زالت الحيرة، وعلم من الله على قدر ذلك التجلي من غير تعيينٍ؛ إذ لا يقدر أحدٌ على تعيين ما قد تجلّى له إلا كونه تجلى في غير مادةٍ لا غير، ثم إذا رجع من هذا التجلي إلى عالم المواد صحبه تخيل تجلي الحق تعالى.

فما من حضرةٍ يدخلها إلا ويعرف الله تعالى في تجليها؛ لأنه قد ضبط من معرفته أولاً ما ضبط، فيَعلَم أن التجلي قد تحوّل في أمرٍ آخر، فلا يجهله بعد ذلك أبدًا، ولا ينحجب عنه، فإن الحق تعالى ما تجلى لأحدٍ هذا التجلي، فانحجب عنه بعد ذلك أبدًا.

فإذا نزل العبد إلى عالم خياله وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدةً بعد أن عرفها قبل ذلك علمًا وإيمانًا رأى الحق تعالى في صورة الخيال مقيَّدًا فلم ينكره، لكن لا يسعه إلا السكوت، لأنه حينئذٍ يرى أن لا معلوم إلا الله، وإذا كان لا معلوم إلا الله فلا يدري أحدٌ ما يقول! ولا كيف ينسب الأمور!وأنشدوا في تجلي عالم المواد:

مَــنْ قــالَ يعلــمُ أنَّ الله خالقُــهُ / ولــم يَحُــر كــان بــرهانًا بــأن جهــلا

نفس: كل نفسٍ ركبت بمستحسن عظمته من كل الوجوه، فهو معبودها تحمد عاقبة أمرها معه، ومع ذلك هو حجابها عن معنى ما هو الهو، وهو حجاب يعجز قوتها عن النفوذ منها بعد التجريد، هذا ولو قدر أنها متحققة بجميع أسماء الحضرة الإلهيَّة.

نفس: ما حكم أحد بشيءٍ حتى حكم عليه، ولا حكم أحد في شيءٍ إلا وهو محكوم معه حتى أنا، ولولا ذلك ما كنت ولا قمت، ولو لم أكن ولم أقل لكان أيضًا حكمًا، والاستدراجات اللفظية لا توصل إلى غرض المدرك الفكري، والمدرك الفكري غير واقفٍ على حقيقة معنى الهو.

فالأقوال وإن كانت في غاية الفصاحة والبلاغة والإيجاز فهي من [الاجتياز].

نفس: الشفيع بإذن الله، والحاكم بأمر الله، والمفارق بالله، والله على كل شيءٍ قدير، وحقيقة الإذن قوة من الفعل أوجبها التردد إلى مقام الربوبية بتوقيع:

«**افعل ما شئت مغفور لك**[(1)]»، ومفهوم الحكم بروز إحاطة الصفات الإلهيَّة من غيب الأزل إلى شهادة العين المخصوص بانكشاف حجاب العبودية ببزوغ شمس الحرية من مطالع الحواس، فأومأت إليه إشارة الخصوصية بأنامل: «**كنت سمعه الذي يسمع به**[(2)]»، وتقريب المفارقة، فقل ما أمكن بوجود ما وجب، وهذه منح لا يبلغها الوهم بلسان التقريب من تلويح تصريح، فإذا أحببته كنت هو، والمعجوز عنه بيانه في ترك البيان.

نفس: العالم بنفسه والعارف والمحقق ليس إلا الله.

نفس: إذا تكاملت المعارف أوجبت معروفها لعارفها وجوبًا بتحقيق من وجه العلم يدل على إيجابه بالوجود.

نفس: القلب عبارة عما به تحقق ما أشار إليه العلم[(3)].

=

العجـــزُ عـــنْ دركِ الإدراكِ معـــرفةٌ كـذا هـو الحكـم فـيه عـند مَـن عَقِـلاَ

وانظر: الميزان الذرية (ص73) بتحقيقنا.

(1) رواه مسلم (2112/4).

(2) تقدم تخريجه.

(3) قال سيدي ابن باخلا شيخ سيدي محمد وفا: القلب ظل نور الروح والروح ظل نور السر والسر مظهر تجلي أشعة الحقيقة الأولي في أوائل علائم التكوين، والنفس عبارة عن توجه القلب إلى =

والروح عبارة عما به الشوق إلى وجود العلم.

والسر عبارة عما به الحصول فيما سكت عليه العلم[1].

والإنسان عبارة عن صورة هذا المجموع.

والشخص الذي لا يدرك منها إلا في غيبه، وهو القائم في الأفق الأعلى من العالم الذي وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، وأسماؤه في النزول العقل، وهو ما به تقييد ما أطلقه العلم والنفس وهو عبارة عن التنافس فيما لحظه الحظ من حضيض العلم والحس وهو عبارة عن تفهم حصول وجود العلم وآدم صورة هذا المجموع وشخصه، القائم في الأفق المبين الأول، عين غيب الوجوب، وحضرة حضوره في غيابة الغيوب، والثاني خزانة خزائن الإمكان، ومدد أساس بناء الأكوان فيما يكون وما قد كان.

نفس: أعظم ما نطق به لسان، واعتقده جنان، وهو العلم بالقرآن الذي علّمه الرحمن للإنسان، قبل خلق الإنسان في عالم البيان بيد الإنسان، ﴿**الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الإِنسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن: 1: 4].

والحسبان تفصيل لسان الإمكان في لوح الأكوان، بمداد توهم الأذهان، فكأن كل شيء كان وما كان، وكذلك نسخة الأديان بالأديان من حيث حكم الملك والجان

سياسة العالم الشهادي والتفاته إلى تدبير عالم شهادته، والعقل نوعان نوع وكل بالنفس ليسكن هيجان شربها في تناول مطالبها الدنيوية ويحصل بوجوده اعتدالها في تصرفات مأربها الشهوانية وهو العقل الطبيعي الذي بوجوده تسمي الإنسان عاقلاً، واستكمال أوله عند بلوغ سن الاحتلام وهو مناط التكليف وهو قيد الإسلام في سلوك سبيل دنياه ويتبع المزاج الإنساني اعتدالاً وانحرافًا. ونوع آخر يتحسس به القلب عند حجابه وشغله بعالم شهادته وغلبة أوصاف النفس عليه فيتوصل به إلى تعرف الحقائق الغيبية وينشق بواسطته أرايح نسيم العوالم القدسية ويرسله يزيدا إليها لينقل إليه من أخبارها ويستصحب له منها شيئا من ثمارها وأزهارها لأنه عند حجاب القلب عن شهود غيبة قاصد يتوصل وناقل معدّل سواء لكنه عن إدراك الحقائق متقاعد وليس له إلا قياس غائب يشاهد فإذا تنبه القلب من رقدته وتخلص من قيود عالم شهادته هاجم وعاود ولاحظ صريحًا، وشاهد لكن علي حسب علّو مقامه وحالة بمقتضي كمال تخلصه من أوحاله، وهذا العقل هو المحمود من النوعين والمزكي من الشاهدين وقوته علي حسب حال الموصوف به من زهده في الغانيات وإقبال همته علي العوالم الفانيات.

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: السر هو ما يخفى في البيان، وحقيقته: معنًى يُعْجِز عن تصور ما هو الفكر البشري، وغايته: وجدانٌ يقوم بالقلب لا يمكن التعبير عنه بوجهٍ من الوجوه.

والشيطان، والسلام على أهل العرفان، ويا خيبة أهل الخسران، الذين حُجبوا عن هذا الشأن بتوهم وضع الميزان موضع الربح والخسران.

نفس: السماء والأرض والجنة والنار والعرش والكرسي وما فيهم وما منهم ومن فيهم ومن منهم كل ذلك حجاب موضوع في الجسم، والنفس الطبيعية والعقل المعيشي وضعهم فيهم فاعل الوهم في قابلة الخيال، وليس وراء ذلك من الخلق شيء، والحضرة من وراء ذلك كله، وفيها بيت الإنسان الذي علَّمه الرحمن القرآن، قبل خلق الإنسان في عالم البيان بلسان الحسبان، فمن فقد خلقه وجد حقه، ولا يكون ذلك إلا مع زوال ما وُضع للحجاب، ولا يزول ما وُضع للحجاب إلا بزوال أحكام الأسباب، فمن فارق جسمه ونفسه وعقله فقد فارق خلقه.

نفس: بنى الله للإنسان بيتًا في عالم الأكوان بيد الإمكان، وجعل فيه من كل شيء زوجين صنوان وغير صنوان، ونصب على أعلاه قبة هيئها بإياه، وجعل في هيكلها كتابه المرقوم، وما فرط في هذا الكتاب من شيء، ثم بنى لَه وراء هذا البيت بيتًا في عالم القدم بيد الوجوب، وجعل بينهما حجاب السلوب، ونصب له في هيكل هذا البيت عرشًا مجردًا عن الأسماء والنعوت، البيت الأول بيت عبودية، والبيت الثاني بيت ربوبية.

نفس: من عرف العوام من وجه الغيب فهو من خواص الله؛ لأنه الوجه الذي تعرف الله لهم منه، ومن عرف العوام من وجه العين فإنه من عوام الله؛ لأنه الوجه الذي احتجب الله عنهم فيه، فمن زيَّنه الله للعوام فهو منهم، ومن اختصه بمعرفته تنكَّر عليهم فلا هو منهم ولا هم منه.

نفس: من نظر إلى الله بنفسه حجبه بحجاب الغيرة، ومن نظر الله إليه حجبه بحجاب الرحمة، والمخصوص بالله هو الذي لا ينظر إلى الله ولا ينظر الله إليه؛ لسقوط الغيرة التي أوجبها الفرق الذي نتج عنه الشرك الخفي بتوهم الثنوية التي هي أصل الكثرة، المنافية للوحدة الذاتية، الحاصلة في التحقيق، الذي لا يصدق عليه نقيضه.

نفس: المشروط يدور مع شرطه وجودًا وعدمًا، والعبد شرط في تعيين مرتبة الرب، وهو موضوع الفناء، أو جائز عليه كذلك جميع الأسماء المضافة والمضاف إليها، والجلالة في وحدة ذاتية لعدم قبول الشرط والإضافة، وفي نفيها نفي الكثرة عنه،

وتجويز الإضافة إليه مجاز، وعبد الله على الحقيقة ليس لَه وجود معه، والمعدوم لا يقع عليه الحكم بوجهٍ من الوجوه.

نفس: إذا صدقت عبودية العبد، وأخلص في محبة معبوده، خلعت عليه صورته الخاصة لَه، فيعرف بها في كل موطنٍ من مواطن الملك والملكوت، ولا بدَّ وأن يكون المعبود مقصود التوجه من العبد، والمقصود للتوجه لا بدَّ وأن يكون في مرتبةٍ خاصةٍ متميزة بصفات وأخلاق، ولأن الذات المطلقة لن تكون جهة أبدًا لوجوب نفي الحصر عنها، ولا جهة لأحدٍ، ولا ناحية لوجهٍ، ولا تقع عليها الإشارة ولا الإيماء، ولا يكون هذا القول أيضًا حصرًا لها، فلا بدَّ وأن تكون جميع الأسماء ومسمياتها، وصفات ومسمياتها، وحقائق ومسمياتها، وجوهًا للذات المعجوز عن تصورها، ثم ولا بدَّ وأن يكون لها وجهًا خاصًا، إليه تعنوا جميع الوجوه، وعنده ترسخ جميع الأقدام، ويتحقق نهاية الهمم، ولا يكون ذلك إلا في نوع الموجود الجامع المحيط، الذي وجبت له السجدة العامة، لا المستثنى ببقية عارضة لما يكون من الكمالات في أحد مظاهر هذا الوجود، وهو المقدمة لبروز العلة الغائية من الموضوع الكلي، فلما تعيَّن كمال الربوبية باستيفاء غاية العبودية، فتنزلت المولوية في ثلاث عوالم:

الأول: الجبروت وهو العالم الإلهي.

والثاني: الملكوت وهو العالم الروحاني.

والثالث: الملك وهو العالم النفساني الصوري(1).

الأول بالجبروت، وهو عالم الإلهيَّة، والحاصل فيه الذي كان قاب قوسين، والعالم الثاني الملكوت، وهو عالم الروح والحاصل فيه الجبريلية، وهو المستفاد بالوحي الملكي المتنزل عن القلب، نزل به الروح الأمين على قلبك، والثالث الملك، وهو عالم الأركان والمتولدات، والحاصل فيه القرين الجان بالأمر الصالح، ولكن الله أعانني عليه، فأسلم فلا يأمرني إلا بخيرٍ، ولهذا جاءت الإشارة بالآية الكريمة: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4].

---

(1) قال سيدي علي وفا: الجبروت التحقيق، والملكوت التدبير، والمُلك التصوير في كل مقامٍ بحسبه، فالجبروت مجرد موجب، والملكوت مفارق موجد، والملك متشخص محدث، فقد ظهر بذلك مرتبة كل عالم منها.

وهو ما يكون من أنماط التعبدات والفروضات النفلية، فلما تحكمت هذه الأحكام، ورسخت هذه الأقدام بمقتضى هذا الكلام، أفاض المولوية على أوليائه من أتباعه بالنسب القريب إليه، وبحسب تفاوت المراتب.

فمنهم: من مولاه القرين الذي أعانه الله عليه فأسلم، وهو عامة الناس.

ومنهم: من مولاه القرين جبريل، وهم المختصون بتحقيق الإيمان.

ومنهم: من مولاه الرحمن الرحيم، وهم المخصوصون بمقام الإحسان، وحضرة شهود العيان، وبقوله: «**أنا من الله والمؤمنون مني**[1]»، ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً**﴾ [الأنعام:115].

وأما الكافر فلا مولى له، ولأنه عبد لربٍ لا مكنة لَه، ولا بدَّ وأن تصدق عليه صورة معبوده، فإذا التبس بها حصل في محض العجز والقصور، وتنافت عنه لوازم المكنة الإلهيَّة، وفسد حكم الاستعداد لقبول الفيض الإلهي، فصار رتقًا طبقه ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**﴾ [القلم:42]، ولا التفات إلى قول القائل: فكان الله عَين أبصارهم.

نفس: عالم الملك مركوز في الجسم المحيط بالأجسام الأربعة البسائط.

وهي: الماء، والنار، والتراب، والهواء، المتولد عنها المعدن والنبات والحيوان، والعقل المعيشي من شخص الإنسان، وعالم الملكوت مركوز في الروح المفارق، وهو المحيط بالجواهر الأربعة: العقل، والنفس، والقوة الفعالة، وروح الأمر، الموجود عنهم اللوح والقلم والعرش والكرسي، وعالم الجبروت قيوم في إحاطة الوجود المطلق، المتميز بالحقائق الأربعة: العلم، والحياة، والوجود الحق، والوجه المحيط المتنزل بالصفة والاسم والنور والتجلِّي، وهذه العوالم الثلاث بإحاطاتها المطلقة والمقيدة في شمول إحاطة الذات، المعجوز عن تصور ما هي، والإنسان نسخة المجموع، والجزء لهذا الكل الموضوع.

نفس: كلما صدق عليه اسم الشيء والوجود هو عين في غيب الذات التي لا يتعلق بها، ولا يقع عليها إدراك، فكل شيءٍ وجه لها لا جهة، وجهات كل شيءٍ حيثيات لصفاتها وذاتياتها القائمة الغائية بغيبها، فعلم الله في كل شيءٍ هو علم الشيء في نفسه،

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (237/1).

الذي به يعلم ما فيه وما منه، وما يخفى عليه فيه شيء به، فيكون هذا العلم حيثية للعلم القائم بذات الغيب، وكذلك القدرة والحياة والسمع والبصر والإرادة والكلام، إلى غير ذلك، فأما الوجود فصفة حقيقة كل شيءٍ، وفروع كل شيءٍ تابعة لحقيقته، وكمال كل حقيقةٍ بكمال جهاتها التي هي حيثيات للمعاني القائمة بذات الغيب، فكل عينٍ كملت هي وجه الله الأكرم، واسمه العظيم الأعظم، الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو معنى الكلمة التامة، ولا يكون ذلك في عينٍ من عيون الذات إلا في العين الموسومة بالإنسان، التي هي إليها ينتهي استواء الرحمن، وبه المستعان.

نفس: الصورة الكلية الحاوية للسموات والأرض وما فيها هي صورة جسمانية مركوزة في صورة روحانية خاصة لها، وهي قائمة بها في عمق الفضاء المطلق، فهي جسمٌ في روحٍ، وما تولَّد من هذه الصور الجسمانية هي روح في جسم، فإذا تجرَّدت روحانيته عن جسمانيته صار وضحًا في الصورة الروحانية، هذا إذا تطهَّر من جميع كثافات الأجسام الطبيعية، فإن لم يتطهَّر منها إلا وهو مقيدٌ فيها، وإن ذلك لواقع ما له من دافع.

نفس: إنه لا يصل إليها كثيف، ولا ينفصل عنها لطيف، فلو أُلقي مثلاً حجر في البحر المحيط وخرق إلى الفضاء تلطف بقدر قربه من الصورة الروحانية، حتى إذا حصل فيها صار لطيفة من لطائفها، ولو قدر اندفاعه عنها إلى الجسم كثف بحسب ما يبعد عنها، والله أعلم.

نفس: رأيت من يَرى ولا يُرى، فلا تسأل عن حديث الدمع كيف جرى.

فقلت: علمتني علم كل شيءٍ من وجه ما هو، فما هو العلم الذي استأثرت به عن خلقك؟ قال: أنت، قلت: فمن أنا؟ قال: سبحان الله، أنا وأنت أنت، قلت: فمن أنت؟ قال: لا إله إلا أنا أنت وأنا أنا، قلت: فمن أنت وأنا؟ قال: الله الله، لا أنت ولا أنا، خرس اللسان عن البيان، انقطع الكلام والسلام.

نفس: الرسالة بالتنزل من حضرة الوجوب إلى حضرة الإمكان بإشارة: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء:193، 194]، والولاية: الترقِّي من حضرة الإمكان إلى حضرة الوجوب بإشارة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:1]، فتنزّل الرب إلى العبد رسالة، وترقِّي العبد إلى الرب ولاية، فإذا انطوى بساط الانبساط، وخرقت

أمراط الأنماط، واستغرقت الألحاظ أحكام الاحتياط، قال الواحد وهو الذي سمعه: «**كان الله ولا شيء معه**[1]»[2]، وإذا نطق لسان الرحمن قال في محكم الإنسان بلسان التبيان، وهو الآن على ما عليه كان، فإذا كان هو له فيه غيره فقد وقع حجاب الغيرة، وظلت هدايته في أودية الحيرة، وكتم في كتمان الإمكان عن سريرة سر إسرائيلية سره، وإذا ضل العقل وتاه فلا حول ولا قوة إلا بالله.

نفس: الغيب المُشار إليه بالحضرة الإلهيّة هو المستتر بالأوهام البشرية، كثير بالفعل، محيط بالصفات، واحد بالذات، ومعنى أنه واحد بالذات كقرص الشمس مثلاً، المختص بالنور المحيط على جميع الأنوار؛ لأنه المفيض لها، ونعتها فيه بحسب أسبابها، وبواسطة الأسباب وقعت الكثرة، وهو كانبساط النور على البيوت، وحصول الأنوار في بطونها بحسب تعدد مسام البيوت، النور واحد في نفسه كثير بعارضة تعدد تلك المسام، فهو واحد في نفسه كثير بغيره.

نفس: الذوات ثلاثة: ذات الوجود، وذات العدم، وذات السلوب.

والصفات ثلاث: الحياة وهي صفة ذات الوجود، والعلم وهو صفة ذات العدم، والجسم وهو صفة ذات السلوب.

والأشخاص ثلاث: الروح شخص الحياة، والعقل شخص العلم، وصورة الكون شخص الجسم.

ولكل روحاني روح، وهي في نظام شخص الحياة، ولكل معقولٍ عقل، وهو نظام شخص العلم، ولكل صوري كون، وهو في نظام شخص الجسم، والإنسان نسخة

---

(1) رواه البخاري (1166/3)، والبيهقي في السنن الكبرى (2/9) بنحوه.

(2) فائدة: قال البغدادي في شرح الصلاة الأكبرية: والجواب عن الحديث بأن للأشياء وجودين وجودًا علميًا، ووجودًا خارجيًا، فالوجود العلمي: الأعيان الثابتة وهي أزلية قديمة، والوجود الخارجي: محدث، فخفاء الحق تعالى بالنسبة إلى الأعيان الثابتة في الأزل فلما أراد الله تعالى أن تعرفه الأعيان الثابتة أخرجها من الوجود العلمي إلى الوجود الخارجي لتعرف الله تعالى، يقتضي أن تعتبر الأعيان الثابتة مع الهوية الأحدية، وأن تساوقها، وليس كذلك بل الجواب الصحيح أن يقال: أن الخفاء كناية عن عدم عالم به سواه، فكأنه قال ﷺ: كنت كنزًا غير معلوم لأحدٍ سواي، على أن الأمور الذوقية، والأسرار الإلهية لا يلتفت فيها إلى مثل هذا الإيهام.

المجموع، وحكاية ما لا بدَّ منه، وهو الوسط المختار، والملكة المحكمة، والعين الجامعة، والبرزخ المحقق بين العوالم المذكورة وبين ما يستنتج عنها من الآفاق المالية، ولا يكون ذلك إلا عن عين الشخص الناطق العامل من كل جهاته، والعالم بهذا المجموع من كل الوجوه جملةً وتفصيلاً، ومن لم يكن كذلك شمله الحشر فيما هو فيه ومنه وبه بالوزن والقسط، لا تبديل لخلق الله، والله بكل شيءٍ عليم.

نفس: من جعله الله خزانة لأسراره ستره وأخفاه، ومن جعله مشكاة لأنواره أظهره وأبداه، وربما حجب الأبصار عن تحقق مرآة بتلألؤ أشعة سناه.

نفس: الواحد في كل شيءٍ هو الله، والرحمن متميز في الإنسان بحقائق العرفان، فمن ذكر الله بحق الكشف وتحقق الوجود ذكره الله في كل شيءٍ كائن وموجود، وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده، فمن ذكره الله أقامه في مقام ربوبيته، وأمده بأسرار إلهيته، وإن علن في كل شيءٍ بتحقيق عبوديته، ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾ [مريم: 93].

واسم الله المطلق هو القائم بهذا الإتيان في كل شيءٍ صدق عليه الإمكان لوجوب الرحمن، والرحمانية المحيطة هي المتحدة بالروح، المنفوخة في آدم يوم السجود، وهي حقيقة كل معبودٍ، وهي ذات الخط المستقيم المتنقلة في الدهور والأدوار بأحكام خاصة تعرفها الخاصة وما عداها من مظاهر الرحمانيات، فنور مقتبس من سناها، أو مصباح أشعل من مشكاة تلألؤ ضيائها.

نفس: المعجوز عنه شيء لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات، غير أنه من وجه الوجود متوحد بالذات، متّحد بالصفات، متعلق بالأفعال تعلقًا مخصوصًا بخاصيات تفصح عنها الألسنة الفصيحة، وتصحح تحقيق معناها العقول الصحيحة، فالذات والصفات صفاته، والأفعال أفعاله، وهو مع ذلك معجوز عنه من كل الجهات.

نفس: تبارك رب الآيات البينات، ذو المجد والسبحات معلم العقول السليمة من الآفات والشبهات، مفيض أصول العوالم بالذات، وهي العروش والكلمات التامات، والمؤبدات الموصوفات بمكنة صفات الذات، فلما حصلت فيها بذلك قوة الفعل انفهقت إلى آباء وأمهات، ثم اتسعت في سبع أرضين وسموات، فلكل عرشٍ أقوية وملكات، ولكل كلمةٍ أسماء وصفات، ثم جعل العرش العظيم الواسع العليم الذي هو

أصل الأصول، وعنه انفصل كل عرشٍ مفصول في غيابة غيب الإنسان، موضوع الرحيم الرحمن، وجمع الكل بعد إحكام النظام في عينه الجامعة للوجوب والإمكان، فتبارك عالم الغيب والشهادة الرحيم الرحمن، الذي وجبت له السجدتان: سجدة الملكوت يوم نفخ الروح في عين جامع الأعيان، وسجدة كشف الساق يوم حشر الأديان إلى الديان، فلقد خسر المخصوص بهذا الشأن متى دان، لسوى ذي الفضل والإحسان، ولقد خسر كل الخسران من استولى عليه الشيطان بالبهتان، فتبارك من لا يدركه النقصان، وسبحان من تقدَّس عن الأشباه والأقران، وأعوذ به من مزلات الأقدام في مهاوي لهوات الهوام، وغلبات الأوهام، والسلام على عباده الذين اصطفى والسلام.

نفس: جلال الله المقدس، ونوره الواضح الأنفس قد تنفس، فبادروا إلى حظائر قدساته، وسارعوا إلى نضير نظراته، فهذه غيوبه قد فتحت أبوابها، ورفعت حجبها وحجابها، وتطلعت في مطالع سبحات الرضوان أربابها، هلموا فالمهيمن على جامع جوامعها قد هيئها لهمم خطابها، فاسمعوا وعوا هي لكم وأنتم لها، فلا يهولنكم من دونها أهوالها، فهي أولى بكم وأنتم أولى بها، فقولوا بسم الله علينا وعلى جوامع أفرادنا، وبارك مفيض النعم علينا في شئوننا وأحوالنا، وعصمنا بشروط مكنته، وأسرار قدوسية قدرته من تهافتنا، وغباوة عماوتنا، سارعوا وأنتم ضارعون، واخشعوا وأنتم متواضعون، وافقهوا وأنتم مستمعون، فلا بدَّ من الحق أنه يحق بالكلمة الصدق، وتنقطع السبل، وتبطل الحيل، ويتأبّد العلم والعمل بحيث لا ينتقل ولا يتحول، فبادروا الآن وأنتم سالمون، وافقهوا كلام الله وأنتم سامعون من قبل ألا يوجد الفقه عنه، ولا الإصاغة له.

نفس: ورد الوارد الناطق بلسان خبر خبرة الخبير الصادق بكتاب تضمنت عبارات عبرانية تعبيره بتراجم أحبار تحبيره، نصائح صاح بها صائح الدَّاعي، فأسمع كل سمعٍ مصيخ واعي وهو:

أيها العبد الأوَّاه، الباحث عن أسرار مفهوم منطوق (لا إله إلا الله)، جعل لك جلوسًا في مجلس جلساء الحضرة الربَّانية، وقيامًا مع قومة مقام القيومية الإلهيَّة، ومصافًا في صفوف الصافين من مصلى صلاة هذه الاصطفائية، ومجالاً في جولة جولان همم الإلهام في مجالي تجليات جمال الأنوار الأحدية، وانطلاقًا في طلق سبق

مسابقة السابقين إلى المعالم العلية، وقف في موقف نهاية منتهى سدرة المنتهى على أقدام الأقدام الأوائل الأولية، فإذا وفدت وفود الفوائد الأزلية، وأعلنت أعلام الإعلام بالمصابيح الصمدية، وبرزت زين التزيين في إيجاد أنجاد حملت حمى محامات الحميَّة، وضمنوا ضنائن ظنونهم في أكنة أكلة تكوناتهم الكونية، وتحاربوا في ميادين الحرب على الصفين بطينة سر القدسية، فما ظفروا منها بغير هوية الهوية، فتحل هناك في خلوة الخمول بهمة عن الاهتمام بالأوهام عَريَّة، وتفانٍ في فنون الفناء عن التفنن في فناء أفنية المكنة الإمكانية، فإذا أومئت إليك ذات السلوب في صفاء صفات تجليات جمال حضرات الوجوب، وانبسط بساط بسيطة رحم الرحيم بقائم قيومة الرحمن على عروشه المستوية، وتطلعت أعين العين في مطالع تطلع محاسن حسنا الإحسان في مظاهر النورانية، وتطلعت لك أقمار إشراقها في مطالع آفاقها، واستخرجت لك يتيمة جواهر أعلاقها من مكنون غيب غيابة أعماقها، وأطلقتك في طلق سباقها في ميادين إطلاقها، فهنالك يختطفك خواطف العناية، وتخرجك من تحت خفقان الولاية، ويمحو من مراسيم مرسوماتك أسماء سمات رعونات الرعاية، وتستنقذك من يد حاكم النقيض والضد، وتقطع عنك قطائع حد تحديد الحد، وتجذب جوادب الجد علائق عوائق القبول والرد، وتلحق لواحق المحاق بقية بقايا كل باقٍ منك ببقية، فإذا تجرَّد الموصوف وتنكَّر المعروف ورد الأسماء الظاهرة إلى الضمير المحذوف، وقال الواحد الفرد لزوج الحصر والعد: أنت خلية، أنت بلية، فينطلق بإطلاق الطلاق إلى ما لا يُقال عليه بتعليل المعلولية والعلية، ولا بسمات التسمية والاسمية، ولا يتعلق باستعدادات الأقلام الحرفية، والكلمات العلمية، ولا التصورات اللوحية، والألواح الشكلية، وهذه النسخة مستنسخة لا منسوخة من أم كتاب إمام الأمة الأمية، عليه صلاة متواصلة من صلاة صلواته، تشمل الصحابية والآلية، والمتبعين لهم بموافقة التبعية.

نفس: الجنة والنار متنوعتان بتنوع البرازخ، ومتميزتان بتميز الملكات، فمعنا من كل عالمٍ جنة ونار بمناسبة ذلك العالم، وهو ما يكون فيه من ملائمات ومنافرات، ثم من تقبيحات وتحسينات، ثم ما أفاضه صاحب القوى والملكة المحكمة في القوابل الحافظة صورًا في الأنفس المتشكلة، تنويعًا مع التطوير، كما جاء: «النار أقرب إلى

أحدكم من شراك نعله والجنة كذلك[1]»، وهذا بما فينا من خوفٍ ورجاءٍ وملائم ومنافر، وكما جاء:

«إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار[2]»، وهذه غير تلك، وكما جاء عند الميزان إذا قيل: اذهبوا به إلى الجنة، أو اذهبوا به إلى النار، وهذه أيضًا ليست كأولئك، وكذلك الصراط والحوض، وكذلك عند كل موقفٍ جنة ونار، وما دامت القوى في حصر الملكة كان الأمر على ذلك معها، وقصارى الأمر أن القوى إذا سعدت صارت لها ملكة محكمة، وإذا شقيت كانت بعكس ذلك، فمتى تخلصت القوى من الملكة خرجت من الملك والملكوت، ونفدت من أقطار السموات والأرض، وتحصَّل لها شروط المكنة، والله على كل شيءٍ قدير، كما أنه بكل شيءٍ محيط، فمن فارق الأفلاك فارق الملكات، ومن فارق الملكات خرج من الحكم والتحكم[3].

نفس: رحمة أوجب الله نشرها، ونعمة افترض على العباد شكرها، وكلمة اختصاص رفع في منعقد العلياء ذكرها، وبها نصب أعلام العلماء العالمين للمتعلمين، ونشر ألوية الأولياء العارفين للمعترفين، وأجرى أعين معين المعاني على ألسنة الصدِّيقين للمصدقين، وهي كلمة أولها لام نفي أنفة أنف المستأنفين على المستأنفين، وأوسطها استثناء ثناء المثاني المتثبتين للمتثبتين، وآخرها توحيد الواحد في الآحاد الموحدين للمتوحدين.

نفس: النار وخزنتها يدعون إخوان الشياطين وعبادهم من الجن والإنس والجنة وما فيها، يدعون اتِّباع الملائكة وأوليائهم، والحضرة تدعو اتِّباع الأرواح الإلهيَّة، والعقول الربَّانية، والأسرار السريانية الذين هم منازل العز، ومضارب خيام العزة، وأخبية السراري السرية، ومظاهر الجلال والجمال في عين الكمال، والله من ورائهم محيط، استخلص خيرة اختارهم لذاته، ولمكنون صفاته أفناهم في بقائه، وأعدمهم في وجوده، فلا يُقال عليهم بلسان الإثبات والسلوب، ولا بمقولات الإمكان والوجوب،

(1) رواه البخاري (2380/5)، وأحمد (387/1).

(2) رواه الترمذي (639/4).

(3) قال سيدي علي وفا: الجنة دائرة المحاسن الفرقانية، فهي في نظام الروح الحكيم، وأهله أهلها، وجهنم ضدها عن ضده، وهو الوهم البهيم وأهله، وهم عيونه المُسمَّاة بالشياطين المردة، هم أهلها الذين منها خُلقوا، فلذلك لا يخرجون منها قط.

والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

نفس: من شهد الحق في كل شيءٍ خافه في كل شيءٍ، ومن خافه في كل شيءٍ أمنه من كل شيءٍ، ومن شهد الله ولا شيء معه حكمه في كل شيءٍ.

نفس: من افتقر إلى الله استغنى عن كل شيءٍ، ومن استغنى بالله افتقر لَه كل شيءٍ.

نفس: الفقير هو الذي لا يملك ولا يستحق، والمخلص هو الذي عافاه الله من داء العلل، والصديق من شهد عين الخبر في ذات المخبر.

نفس: الدنيا مبرأة من الإسراف، والجنة مبرأة من المعاصي، والله سبحانه وتعالى بريء من العلل.

نفس: المعلم الحق هو الذي أمكنه الله من نظام القلم، وأذن لَه في تبليغ الحكم، فقال لَه: اكتب علمي في خلقي.

نفس: حب العبد لله سبيل لرضوان الله، وحب الله للعبد إكسير إلهي، يطهره من أوساخ أخلاق الخلق، ويقلب عينه بغلبة أوصاف الحق، كما جاء في الحديث: «**كنت سمعه الذي يسمع به.. إلى آخر الحديث**[1]».

نفس: قلب العارف حضرة الله، وحواسه أبوابها، فمن يقرب إلى قلب العارف بالقرب الملائمة فُتحت له أبواب الحضرة.

نفس: أنا خزانة الله، أودعني حقائق كل شيءٍ بالقوة، وعني يبرز مرتبة كل شيءٍ بالفعل، فأنا غيبه الذي لا يظهر عليه إلا من ارتضى، وموضوع محموله الذي عليه استوى، وكرسيه العزيز الذي به على الملك احتوى لَه ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

نفس: سمعت الباطن بالذات، والظاهر بالصفات، والغيب بالأسماء، والعين بالمسميات، والوجه المحيط بكل التوجهات في جميع الجهات، يقول بلسان الإنسان في حضرة الإحسان، ومشاهد شاهد عين العيان: أنا الذي لا يعرفه العرفان، ولا يبينه البيان، ولا يحده الزمان، ولا يحصره المكان، كان وما كان، وهو الآن على ما عليه كان أبقى وكل شيءٍ فانٍ، لا يعرفني إلا من تعرَّفت إليه بمعرفة نفسه، ولا يعرف نفسه إلا

---

(1) تقدم تخريجه.

من أشهدته خلق نفسه، ولا يشهد خلق نفسه إلا من جلوت بنور الجلال عن بصر بصيرته من ظلم ظلمة الضلالة، فكان لي عضدًا ومدادًا ومددًا وسمعًا وبصرًا ولسانًا ويدًا، وهو غيبي الذي لا أطلع عليه إلا من أرتضيه له غيبًا ومشهدًا ومصلًى ومسجدًا وعهدًا ومعهدًا، فكان لأزله أبدًا، ولواحده أحدًا، ولفرده صمدًا، أسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا، وأحاط بما لديه وأحصى كل شيءٍ عددًا.

نفس: قلب العارف قَلم الرحمن، يكتب به في لوح الإمكان ما يكون وما قد كان.

نفس: عالم الملك ينقسم إلى المعدن والنبات والحيوان، وشخص الإنسان والملكوت ينقسم إلى الروح والملائكة والشياطين والجان، فالشياطين تتعلق بالخشاش والحشرات والمعادن المستقرات، فبها يتوصل إلى الأكل والشرب والنكاح، ولغير ذلك ما يكون من نسبتها وصفاتها وأخلاقها، والجان تتعلق بالوحوش والأنعام، وتتوصل بهما كالأول، والملائكة تتعلق بالطير، ويتوصلون كما توصل غيرهم، والروح تختص ببني آدم في التعلق، وتتوصل بهم إلى ما يمكن أن تتوصل إليه بنو آدم، والرحمن جلَّ اسمه، وتعالت قدرته، صاحب الجبروت الأعظم، استأثر بالاستواء على الإنسان العارف المحقق المخصوص، فبه يسمع، وبه يبصر وينطق ويبطش، إلى غير ذلك مما يُعلم ويُعقل ويُحس ويُدرك، والله بكل شيءٍ محيط.

نفس: الحكيم لسان وضع وبيان، والعالم لسان دليل وبرهان، والعارف لسان كشف وعيان.

نفس: العالم يستدل على إثبات وجود غيره، والعارف يكشف عن شهود شاهد عينه.

نفس: الحائر من تعلق علمه بما يغاير موصوفه، والعالم من تعرف إليه معروفه بوجه معرفته، والعارف من تعرف إليه معروفه من وجه معرفته، والمحقق من كان معروفه عين عارفه.

نفس: أكرم الكرماء من أتابك على قربةٍ تقربك بما لا يقدر عليه غيره، فيتكرم عليك بنفسه، والله أكرم الأكرمين.

نفس: سبيل السلامة وصراط الاستقامة القيام في كل حالٍ بالله، والسماع في كل نطقٍ من الله، والأخذ في كل عطاءٍ بيد الله.

نفس: من تحقَّق بوحدانية الله فقد خصَّه الله باسمه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ومن استعاذ بالله حق استعاذته قلب عين الشيطان الرجيم بإكسيرية بسم الله الرحمن الرحيم، وكان كما قال:

فَـإِذَا بَـدَا كُـل الوجـودِ بِأَسْـرِهِ قـدس الكليمِ وحضرة المتكلمِ

نفس: العارف من استدل بمعرفة كل شيءٍ على معرفة نفسه، واستدل بمعرفة نفسه على معرفة الله ﷻ، ثم استدل بالله على معرفة نفسه، وبمعرفة نفسه على معرفة كل شيءٍ، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾ [فصلت: 53].

نفس: العالم يتحقق بالحق من وجه الخلق، والعارف يتحقق بالخلق من وجه الحق.

نفس: من ليس لَه أستاذ ليس لَه مولى، ومن ليس لَه مولى فالشيطان به أولى.

نفس: أسهل الطرق إلى الله أن ترد العلم في كل شيءٍ لله، وتسمع في كل خبرٍ من الله، ومن رضي بالله رضيه الله.

نفس: صاحبك من أصحبتك أحواله، وشيخك من نفعتك أقواله، وخليلك من خاللتك خلاله، وحبيبك من استهلكتك ذاته.

نفس: ربك من سرت فيك حقيقته، وتجلَّت فيك صفته، وانجلت فيك صورته، إذا صحت العبودية بصدق المحبة أفادت العبد صورة معبوده.

نفس: خالقك من خلقك بأخلاقه، وربك من استولى عليك بصفات أفعاله، وإلهك من بطن فيك بصفات ذاته، ورحمانك من وسمك بسمات أسمائه، وواحدك هو الذي لا يغايرك مع وجود الكثرة، وأحَدُكَ هو الذي لا يفارقك مع عدم المغايرة.

نفس: العبد مرآة معبوده، والشاهد حضرة مشهوده، والواجد من قام وجود موجده بعين موجوده.

نفس: البصير من أبصر خبرة عين الخبر في شاهد المخبر.

نفس: الصديق من تعيَّن فيه أخبار الصادق عين الخبر.

نفس: الجاهل من جهل نفسه، والفاقد من غاب عن شاهده شيئًا من معلوماته.

نفس: كل مشتاقٍ مؤمن، وكل مشاهدٍ محسن، الأول: علم اليقين، والثاني: عين اليقين وحق اليقين، ليس معه شوق ولا شهود، وإنما هو تحقيق الوجود بالوجود.

نفس: من سمع عن شاهد من غائب فهو متوهمٌ، ومن أبصر عينًا استدل بها على غيبٍ فهو محجوبٌ، ومن سمع فقدًا فهو عارفٌ متمكنٌ.

نفس: دليلك من دلك بك عليك، والمريد من تحقق بمراده في عين أستاذه.

نفس: السالك من الله بالله لله[1].

نفس: من تصور مطلوبه في الخارج توهم حصوله عنده، ومن تحقق بمطلوبه في الداخل فقد استراح من وعثاء السفر، فإن الحاصل لا يبتغي.

نفس: من وافق أستاذه في أفعاله طابقه فيما أخبر به من معارفه، ومن خالفه في أفعاله فقد المطابقة بتوهم معاني أقواله؛ لأن الوهم معرفة الشيء على غير ما هو عليه.

نفس: من كان مع أستاذه بلا إيّاه كان أستاذه معه بالله.

نفس: المبعود من توهم أستاذه مخبرًا عن غيره، ومتكلمًا بسواه.

نفس: من عرف نفسه فقد عرف شيخه.

نفس: من لم يجد شيخه لم يجد قلبه، ومن لم يجد قلبه فقد فقد ربه.

نفس: أبوك على الحقيقة: من أولد فيك لسان علمه صورة عقلية تفهم بها عنه.

نفس: لولا حجاب الجسم ظهر مكنون الغيب في عين العارف.

نفس: الجسم حجاب من لا بصيرة لَه؛ لأن الأجسام تُحجب بالأجسام، والبصيرة الروحانية لا تُحجب بكثافة الجسمانية.

نفس: لم يبقَ بين بشرية العارف وبين تروحن الأرواح الإلهيَّة، وبين قيامها في الله بالكلية إلا حجاب الوقت.

نفس: قلب المريد بيت أستاذه، وقالبه قبره الذي يُدفن فيه، وينشر منه، ومن لم يخلف ولدًا ذكرًا لم يُذكر.

نفس: المتكلم من تكلم بلسان قلبه، والناطق من نطق بلسان مريده بعد تجريده.

---

(1) قال سيدي محمد وفا: السالك: من لا يتعين مطلوبه، ولا يجهل مقصوده.

نفس: المريد الصادق منبر ناطق، يرقاه الأستاذ بعد تجريده عن عوالم الجسم، فيخبر بلسانه الصادق عمَّا شاهده من الحقائق.

نفس: قلب المريد عرش لاستواء رحمانية أستاذه.

نفس: شيخك من فرغك عنك، وملأك منه.

نفس: أستاذك من أفرغ على نحاسية عوالمك من أكاسير عوالمه، وصبغك بصبغة الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة:138].

نفس: العالم يحجبه كل شيءٍ عن الله، والمحقق من احتجب بالله عن كل شيءٍ، والعارف من عرف الله في كل شيءٍ، وبكل شيءٍ، وكل شيءٍ، فلا يحجبه شيء عن شيءٍ.

نفس: اعلم أنه لما توجهت الإرادة الذاتية لوضع صورة العالم المحيط بما لا يتناهى اخترع بفرض التجلِّي من وجه صورة الإحاطة العلمية، قوابل كليات لمؤثرات إحاطيات من وجوه متميزات بجهات مخصوصات، فأعطت صورة العلم في قوابلها بالإبداع الإلهي من هذا الوجود عقولاً آباء، ونفوسًا أمهات، كآدم وحواء، وكلا وضع صورة نفسه، وتكثرات أشخاص نوعه في إحاطة جنسه، كالنبات في تفريع أصله، وتنويع ذوقه، وشمه، ولمسه، إلى غير ذلك مما يضيق عنه تصور عقل البشر وحدسه.

فإذا فُهم هذا فنقول على فرض المثلية أن العقل الأول في الأبية الأولية أبدع في نفس الكلية عقولاً ونفوسًا، فكان كلا منها كليًا في نفسه، وإحاطة نوعه وجنسه، كحبة النبات إذا أخرجت غصنها وورقتها، وأبرزت ثمرتها، كانت صورتها الخاصة لها في عين ثمرتها، وهي المرتبة الغائبة لها، فلما أن كانت بنو آدم ثمرة الشجرة الجامعة كان كل منها قائمًا بعقلٍ ونفسٍ، وهي ثمرة وجه من الوجوه المتنوعة، والآباء والأمهات التي كانت عن التجلِّي الإلهي مخترعة ومبدعة، وكل شجرةٍ لب ثمرتها أصل شجرتها، فحصل العالم بصورته في وجوه لا يتناهى عددًا، ولا ينفد مددًا، فكل عقلٍ يحكم على العالم بصورة ما حصل فيه، كالقابل بالعلة والمعلول، وكالقابل بالطبيعة، وكالمنجم، وكالنورانية، وكغير ذلك من وجوه الملل والنحل على اختلاف تصوراتها، وكذلك في سائر الأفلاك والآفاق، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور:41]، والعقل الكامل هو لُب ثمرة الشجرة المحيطة في جامع الأصول، وكل فصلٍ مفصول، وهذا هو الوجه

الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار.

وكما قال: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت:54].

نفس: اعلم أن العالم من حيث هو ينقسم إلى قسمين:

عالم الحكمة(1)، وهو ذو الأفق الأدنى محل الإمكان، والكون المنحصر في نظام روح الطبيعة، وله عقول آباء، ونفوس أمهات مؤثرات ومدبرات، ويُقال عليها في الوضع الشرعي أقلام وألواح.

والقسم الثاني: عالم القدرة، وهو ذو الأفق الأعلى، مشرق شموس الإيجاب والوجوب، وله عقول ذاتيات، ونفوس أرواح صفات إحاطيات، وهي مرائي تجليات للأسماء الحسنى، ومشارق شموس أنوار تلألؤها الأسنى، وإن فلك الحياة الإلهيَّة القائم بوجود الهوية الذاتية، المتصف بالإحاطة العلمية أمد بالأفق الأدنى بالخلق الطبيعي، والكون الجسمي في الصور العنصرية، فكل عقلٍ ونفسٍ في عالم الطبيعة تكون صورتها، وتوجد عين جسمها، وتدبر مصالح بنيتها البدني، وقيام عينها الكوني، بقدر ما اتصل إليه، وبحسب ارتفاع الموانع، وانقطاع الدوافع، لا يتعدَّى حكمها الجزء والذي هي فيه، وإن كان بالنظر إليها، ومن وجه ما هي.

ثم إن الإرادة الذاتية والحكمية الإلهيَّة نزلت العقول العلوية بالوجودات الذاتية، والإحاطة العلمية، والأسماء القيومية، والاختصاصات الإرادية في الكُمَّل من الصور الآدمية، فخلقها بالأخلاق الإلهيَّة، وأمدها بالإمدادات الربَّانية، وجعل لها من لدنه سلطانًا نصيرًا، وتحكمًا ربَّانيًّا ظهيرًا، فحالت هذه العقول العلية بينهم وبين أنفسهم الطبيعية، ثم تحكموا في الأشخاص بحكم التبعية، والاختصاصات الإرادية، كما حكمت العقول فيهم، واستولوا بما استولت الأرواح العلوية عليهم، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: 19، 20].

فشيخك من حال بينك وبين نفسك بصورة نفسه، وكان لك بدلاً منك إليك، كما قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24].

---

(1) قال سيدي علي وفا: جاء في الخبر النبوي: «الحكمةُ غذاءُ القلوب»، فالنفس المدركة إذا تغذت بالحكمة كانت قلبًا روحانيًّا، وإن اغتذت بقضايا الوهم البهيم فهي نفس بهيمية، وقس على هذا.

نفس: إنما الجاحدون الذين يجحدون اليقين وهم به معترفون، ويكفرون بالحق وهم إليه ينظرون، كمه البصائر وكأنهم مستبصرون، ختم الشقاء على قلوبهم فهم في شقائهم يترددون، سبقت عليهم سوابق الغضب، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، وإنما المؤمنون الطيبون الذين يجدون الخبر فيما به يخبرون، ويسمعون بمسامعة اليقين من الحق المبين، وحتى كأنهم بعد اليقين إليه ينظرون، يذكرون الله فيذكرهم، ويشكرونه فيشكرهم، وهو شاكر الشاكرين، قدس نفائس لأنفسهم بأنفاس أنفسهم نفسًا من نجاسة شرك الشيطان اللعين، بارك عليهم في أممٍ أمثالهم، وطهَّرهم وجعلهم في الطيبين الطَّاهرين، وبيَّن لهم بأن هذا هو الفضل المبين، فسبحان الله، والحمد لله رب العالمين، ويا أهل الكتاب لقد قرأتم سير الأولين، وسمعتم مواعظ الأنبياء في الأمم المتقدمين، وهذا كتاب الله يقص عليكم أحسن القصص فهل أنتم مؤمنون؟ أم أنتم فيه ممترون، تأتمون آرائكم، وتقدمون مرائكم، وتستظهرون إيمانكم ورائكم، فهل تفعلون وأنتم على أنفسكم بالجهل شاهدون، وتحسبون أنكم معجزون وما أنتم بمعجزين، بل أنتم العاجزون، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، بفضل: بسم الله الرحمن الرحيم، صفة التقديس تقديس الله رب العالمين، وبركاته المقدسة تقدس.

نفس: من أطاع وأقلع عن معاهد الزوال فأحسن الإقلاع، وطهَّر بيت الله الواحد الذي لا يقبل الشريك من نجاسة ود وسواع، وعلم أن مرسل النفخة قد التقم صور الأسماع، فأصاغ بسامعة علمه، وأحسن الاستماع، الله يغمسه في بحر بحبوحة الرحمة الواسعة، ويزيده في الاتساع، وتبارك من لا تعرض على عواصف عطاياه عوارض الامتناع، ولا يأخذه مأخذ الخوف من قواطع الانقطاع، لَه العز الأبهر، والملكوت الأنور، وبيده الأمر المُطاع، يفعل ما يشاء بلا قيدٍ مطلقًا، وعلى هذا ينعقد الإجماع، قامت الساعة فهلك ما سواه، وهو القيوم الذي لا يساع، وأراع الروع رعاع مصنوعاته، وتمجد في مكنة مجده أن يراع، هلكت الممكنات إلا من مكنة تمكنة وجوبه، فيجب لَه بها من قواطع القهر الامتناع، هو السبوح ذو المجد الظاهر، وذو الكبرياء والعز والجلال القاهر، لا يضيع سعي السعاة في الإحسان، تقدَّس إحسانه عن الضياع، فعساكم بارك الله عليكم وعلى عوالمكم، النيرة من نور النور، استشرفتم بشرف الهمم إلى استحضار هذا الحضور.

نفس: العلم عصمة، والمعرفة مكنة، والتحقيق وجود يستحيل عدمه، والذات من

وراء ما صدق عليه النفي والإثبات والوجود والعدم، مع أنها عين كلما يصدق.

نفس: وجود الله حيث صدق على كل شيءٍ وجود النفي والإثبات.

نفس: علم الله بالذات هو الذي لا يتعلق بغير موصوفه؛ لأنه لا يعلل بالزيادة، وعلمه بالصفات يستحيل أن يتعلق بالكثرة مع تقدير نفي الغير؛ لأنه معللٌ بالزيادة.

نفس: حضرة الله في غيب العارف، وجنة الله في غيب الملك، ونار الله في غيب الشيطان، والتقييد كله في الجسم، والإطلاق كله في الروح.

نفس: ذهب أوان الصحو[1] والسكر[2]، وانكشف حجاب التعريف والنكر، وتفرَّغ وعاء الإيمان والفكر، وزالت نعوت الإمكان والوجوب، وعدم الطالب، واستحال المطلوب، واندرست شواهد الشهادات والغيوب، وتبدلت أسماء المنقول والمعقول، وتحولت صفات المعلوم والمجهول، فصرت إلى ما لا يُتصور، فيحكم عليه ولا يعقل، فيخبر عنه ولا يعلم، فيحاط به ولا تشعر حيثيته، فيُشار إليه ولا هو حاصل، فيستحيل طلبه ولا هو معدوم، فيجوز حصوله، كل ذلك حجاب على ما لا يصح احتجابه، كما يستحيل ظهوره بوجهٍ من الوجوه.

نجز كتاب الأنفاس، ولله الحمد والمنَّة، لا ربّ غيره، ولا خير إلا خيره.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، سيد السادات، ومعدن السعادات، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا.

***

(1) قال سيدي محمد وفا: الصحو: رجوعٌ إلى الفرع بالأصل.

(2) وقال: السُكر: الغيبة عن تفصيل العقل.

المعاريج

تأليف

سيدي محمد بن محمد وفا الكبير

المتوفى سنة ٧٦٥ هـ

تحقيقه وتخريجه وتعليقه

أحمد فريد المزيدي

نماذج من صور المخطوط

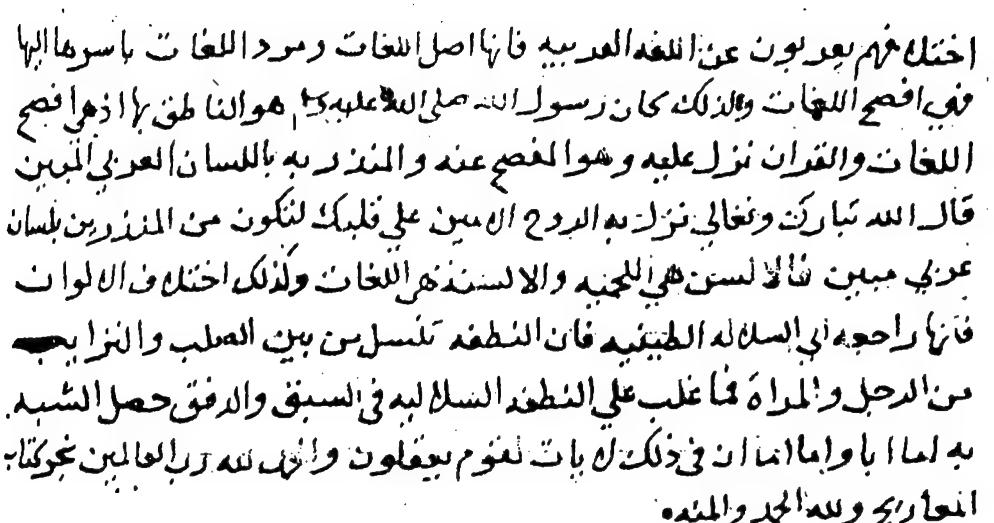


كتاب المعاريج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي اوضح لاوليائه سبل الهدايات، ورقاهم بمعرفته الى اعلى المقامات
وسني الدرجات، ووصلهم به اليه فنالوا الفوز بشريف المخاطبات، وكشف
لهم عن سبحات وجهه فشهدوا مكنونات الصفات، وقربهم بمجالسته
فحظوا بشريف المكالمة وسني الافاضات، واصطفاهم واصطنعهم لنفسه
دون ساير البريات، واختصهم بمحبته [illegible] فوقفوا على اسرار كرايم التحيات
المباركات والصلوات الطيبات، واشهد وجوههم حقيقة نظرة المكاشفات
ونزه افئدتهم واسرارهم من ملاحظة السوى ولفتة الغفلات، وروح
ارواحهم بارايج الروح والريحان في رياض القدس وسبحات فولجوا في رحابه
حضرة القدس ولبسوا حلل الكرامات، وفرغ قلوبهم من سواه فاضات
باشراقة انوار التنزلات [illegible] فهم اعرفوا بمانيه فتابدت بروح
الانس والمخاطبات، وفتح ما كان مقفلا عليها من ملاحظة نيل الكرامات
والشرك في الاعمال للثواب والجزا في بلوغ رفيع الدرجات، وشرح صدورهم
للقبول للاسلام الا استسلام [illegible] يشق سهم التوجه للذي فطر الارضين

صورة الصفحة الأولى من المعاريج

والسموات ومن زكى نفوسهم وطهرها فنفت من دنس شبه الشهوات النفسانية
ورقت في درج الطمانينة الى اقصى الغاية في الدرجات ، وصفى قلوبهم
الجسمانية فلطفت بنزع اثواب الطبيعات من درن لوث الكدورات
فقامت على اقدام العبادات ، باوصاف العبودية والمثابرة على الاعمال
الصالحات ، فوصفت بالتشريف والتكريم ، وحظيت بالدخول في اهل
الاختصاصات من عباد الله المصطفين ودخول الجنات [illegible] سيد
امام الملا الاعلى والانبيا والمرسلين من اهل الارضين والسموات محمد رسول
رب العالمين وسيد ولد ادم من مضى منهم ومن هو ات صلى الله عليه وعلى اله صلاة
لا يبلغ حصرها وعدها اهل الارضين والسموات ولا يدرك وصفها العقلا
وساير المخلوقات [illegible] فان الحمد مفتاح اقفال اعطية العطايا
الالهيات والتوحيد دافع حجب الابدان السوابيات [illegible] نور
انوار الانقلابات ، والاخلاص [illegible] لطايف خفايا الشرك ودقيق وهم
الشك [illegible] وكلام الله العزيز والحبل المتين والحق المبين
[illegible] فهمه ولج بحره وغوص غمره وكشف سره [illegible] الى اعلى عليا المقاما
وسني رفيع الدرجات ، وبانواره يستضاء في ظلم سلوك عجايب الاسرار
المكنونات ، ونستخرج اللالي والدرر واليواقيت ، ونقتبس عجايب
المخلوقات في الارضين والسموات ، والحجب [illegible] واضات الانفهاقات
وبفهم سر تنزله بسلوك طرقات الاسرارات ، وسر خفي الغرايبات ، وبالاصطفا
في الاقتدا المهدي ننال كرايم السعادات ، وجليل السعادات لبلوغ علا
العلاات ، وسمو الدرجات ، وبه غبا ازواج المصطفين ، وذوي الاختصاصات
وبه واليه يهتدي المهتدون الى صراط الاستقامات ، ومنه يغترف العلما
بالله المقربون ، بالاصطفا والاختصاصات ، الانبيا والرسالات ، وبالغوص
في لج بحره وجمع رتق فتقه واصطلام انوار اياته وكلمه وحرفه يتعدم
الخاص عن نفسه ميتا في رمسه مشهودا بقيام العبودية لربه تاليا
من نفسه لنفسه هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
وتلك من الايات المحكمات فهو [illegible] هذا المقام [illegible] رب العالمين من جملة
الاحيا وفي نفسه ميت من جملة الاموات فالمخصوص في هذا المقام

صورة الصفحة الثانية من المعاريج



اختلافهم يعربون عن اللغة العربية فانها اصل اللغات ومورد اللغات باسرها اليها
فهي افصح اللغات ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الناطق بها اذ هي افصح
اللغات والقران نزل عليه وهو المفصح عنه والمنذر به باللسان العربي المبين
قال الله تبارك وتعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان
عربي مبين فالالسن هي المجنبة والالسنة هي اللغات ولذلك اختلاف الالوان
فانها راجعة الى السلالة الطينية فان النطفة تنسل من بين الصلب والترائب
من الرجل والمراة فما غلب على النطفة السلالية في السبق والدفق حصل الشبه
به اما ابا واما اما ان في ذلك لايات لقوم يعقلون والحمد لله رب العالمين تم كتاب
المعاريج ولله الحمد والمنه

صورة الصفحة الأخيرة من المعاريج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة سيدنا المصنف

الحمد لله الذي أوضح لأوليائه سُبل الهدايات، ورقَّاهم بمعرفته إلى أعلى المقامات، وسني الدرجات، ووصلهم به إليه فنالوا الفوز بشريف المخاطبات، وكشف لهم عن سبحات وجهه فشهدوا مكنونات الصفات، وقرَّبهم بمجالسته فمُنحوا بشريف المكالمة، وتلقي الإفاضات، واصطفاهم واصطنعهم لنفسه دون سائر البريات، واختصهم بمحبته فوقفوا على أسرار كرائم التحيات المباركات، والصلوات الطيبات، وأشهد وجوههم حقيقة نظره المكاشفات، ونزَّه أفئدتهم وأسرارهم عن ملاحظة السوى ولفتة الغفلات، وروَّح أرواحهم بأريج الروح والريحان في رياض الفردوسيات، فولجوا في رحاب حضرة القدس، ولبسوا حلل الكرامات، وفرغ قلوبهم من سواه، فأضاءت بإشراق أنوار التنزلات، وكتب فيها أحرفًا إيمانية فتأيَّدت بروج الأنس والمخاطبات، وفُتح ما كان مقفلاً عليها من ملاحظة نيل الكرامات، والشرك في الأعمال للثواب والجزاء في بلوغ رفيع الدرجات، وشرح صدورهم لقبول إسلام الاستسلام، فوقر فيها رشق سهم التوجه للذي فطر الأرضين والسموات، وزكى نفوسهم وطهَّرها فنقت من دنس شبه الشهوات، ورقت في درج الطمأنينة إلى أقصى النهاية في الدرجات، وصفى هياكلهم الجسمانية فلطفت بنزع أثواب الطبيعات، وتخلصت من درن لوث الكدورات، فقامت على أقدام العبادات بأوصاف العبودية، والمثابرة على الأعمال الصالحات، فوصفت بالتشريف والتكريم، وحظيت بالدخول في أهل الاختصاصات من عباد الله المصطفين، ودخول الجنات تلو سيد إمام الملأ الأعلى، والأنبياء والمرسلين من أهل الأرضين والسموات: محمد رسول رب العالمين، وسيِّد ولد آدم من مضى منهم ومن هو آت، صلى الله عليه وعلى آله صلاةً لا يبلغ حصرها وعدها أهل الأرضين والسموات، ولا يدرك وصفها الثقلان وسائر المخلوقات.

وبعد..

فإن الحمد مِفتاح أقفال أعطية العطايا الإلهيات.

والتوحيد رفع حجب الأبديات السوائيات وبروز ظهور أنوار الأزليات.

والإخلاص قطع علق لطائف خفايا الشرك، ودقيق وهم الشك، وقاصم قوى الشبهات.

وكلام الله العزيز هو الحبل المتين، والحق المبين، وبنيل فهمه ولج بحره، وغوص قعره وكُشف سره، يرتقي إلى أعلى عليا المقامات، وسني رفيع الدرجات، وبأنواره يُستضاء في فهم سلوك عجائب الأسرار المكنونات، وتستخرج اللآلئ والدُّرر واليواقيت، ونفيس عجائب المخلوقات في الأرضين والسموات، والحجب النورانية وإضاءات الانفهاقات، ويفهم سر تنزله بسلوك طرقات الإسراءات، ويكشف معاني وقع تلميح الارتقاءات، وسر خفي القربات، وبالاقتضاء في الاقتداء المحمدي تنال كرائم السعايات، وجليل السعادات،لبلوغ عُلا العلاءات وسمو الدرجات، وبه تحيا أرواح المصطفين، وذوي الاختصاصات، وبه وإليه يهتدي المهتدون إلى صراط الاستقامات، ومنه يغترف العلماء بالله المقرَّبون بالاصطفاء والاختصاصات، والأنباء والرسالات، وبالغوص في لج بحره وجمع رتق فتقه، واصطلام أنوار آيه وكلمه وحرفه ينعدم الخاص عن نفسه، ميتًا في رمسه، مشهودًا بقيام العبودية لربه، تاليًا من نفسه لنفسه، ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ [الإنسان: 1]، وتلك من الآيات المحكمات، فهو بمقامه هذا المقام بين العالمين من جملة الأحياء، وفي نفسه ميت من جملة الأموات، فالمخصوص بالتمكين في هذا المقام يتصرف في السفليات والعلويات، فينطق بلسان الجمع عن الكليات، وبلسان التفصيل عن الجزئيات، وبلسان البشرية في المشروعات الظاهريات، وبلسان الإيمان في الملكوتيات، وبلسان الصديقية في الروحانيات، وبلسان العرفان في النورانيات، وباللسان المحمدي في الرحمانيات، وبلسان التوحيد في تنزلات الربوبيات، وتجليات الإلهيات، وتلك اختصاصات إلهيات، ومواهب ربَّانيات، وعلوم لدنيات، وفهوم كشفيات، وإفاضات رحمانيات، وإفضالات رحموتيات، ومنح فتحيات تفضلاً وتكرمًا من رب الأرضين والسموات، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

واعلم أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان في أعلى صفات الكمال، فليس في المخلوقات أحسن من إحكام صنعته، وإتقان حكمته، وإبداع فطرته، واختراع تسويته وتعديله بعد تسويته وتقويم ألفيته، وترتيب طبيعته، وعجيب حجابيته، وكثيف جسمانيته، ولطيف روحانيته، وشريف نورانيته، وسني إضائيته، فحجب تبارك وتعالى لطيفه النوراني بكثيفه الظلماني، ومزج نورانيته بظلمانيته، فجمع في أصل خلقته بين ستة أجناس وأنواع من الكثائف الأرضية، واللطائف السمائية، فجسمانيته من الأرضيات الترابيات، وروحانيته من السمائيات النورانيات، فجمع مفترقات نورانيته الروحانية في حقيقةٍ واحدةٍ، تُسمَّى روحًا لغلبة سلطانها، وعظيم شأنها، وجمع في جسمانيته مفترقات التربة الطينية الترابية، وألَّفها وركبها، فسُمِّيت بمجموعها جسمًا، فأصل جسمانيته الترابية المؤلفة المركبة من العناصر الأربع وهم: النار، والهواء، والماء، والتراب، وهي الأرض، وأصل روحانيته النورانية من جبروت وملكوت وروحاني ونوراني، فكل لطيفةٍ روح لكثيف لطيف سمائي لكثيف أرضي، فالظاهر عنوان الباطن، والحقيقة الجامعة لكلا العالمين الروحانية والجسمانية هي نفس المتصرفة في العالمين النوراني الروحاني والجسماني الظلماني، فكانت النفس لتصرفها وحكمها وظهور سلطانها في ظهورها وبطونها هي المخاطبة المكلفة المأمورة الموعودة المتوعدة، فالجسم ثوبٌ للنفس تلبسه في دار دنياه، وتتجرَّد عنه في دار برزخيته وأخراه، فثوبها الجسماني ظاهر لبستها في دار دنياها، وثوبها الروحاني تلبسه النفس في دار أخراها، فهي في الدنيا ظاهرة على الروح، وفي الآخرة باطنة للجسم، والنعيم والعذاب وارد على المجموع على ما شهد به لسان الشرع، وصدقه جنان الإيمان في الأصل والفرع.

فالنفس[1] حقيقة جامعة لأزمة أطوار الخلقية من الأرضية والسمائية، وهي تتصرف بالسير في برازخهن، وتكشف لطائفهن كالمرآة، فإن كانت مسواة معدلة نقية زكية محفوظة من كدورات الطبائع، ودرن الشهوات، وقتام الشرك في الأعمال، وظلمات

---

(1) قال الغوث سيدي علي وفا قدس سره: النفس هيولي الصور العلمية المُسمَّاة بالعقول، والصورة أشرف من هيولاها، وربك إنما يربك بصورته العلمية التي يظهر بها في نفسك، فإن عقلت كان ربك الحق أحب إليك من نفسك؛ لأنه محبوب لذاته، والنفس لا تحب إلا لأجله، فافهم.

الجهل، ودركات الكفر، كشفت ما أدركت، وشاهدت ما قصدت، وسمت حيث توجهت، ونعمت حيث استوطنت، فبتوجهها نحو أرضها الجسماني تكشف حقائق برازخ العناصر الجسمانية، وبعروجها في سمواتها النورانية تكشف لطائف حقائقها الروحانية[1]، فهي في ظاهر أمرها الجسماني وظهورها النفساني قائمة بحقائق العبودية، والتبعيات المحمدية، والمسالك الإسلامية، والمناهج الإيمانية، والمواقف الإحسانية، والمطالع الفرقانية، وفي باطن أمرها الروحاني وظهورها النوراني قائمة بحقائق العبودية الأحمدية، والانشراحات الفردوسية، والإسراءات الإشراقية، والمعاريج الملكوتية، والمكاشفات الرضوانية، والإفاضات النورية، والمقامات القدسية، والطلعات الأقدسية، والتوجهات الرحمانية، والمحاضرات الربّانية، فهي في معاريجها حاضرة مراقبة متوجهة للحقيقة، طالبة مشاهدة جمال الربوبية، قائمة بحقائق العبدانية والعبودية، وملاحظة لقبول المواهب الربّانية، مستمطرة للإفاضات الرحمانية، طالبة كرائم الإفضال، سائلة للعفو وجزيل النوال، خاضعة، خاشعة، ذليلة، حقيرة، مسكينة، فقيرة، متضائلة، متصاغرة، خائفة، آمنة، ثابتة، معدومة، غائبة عن نفسها بنفسها، موجودة بحقيقة العبودية لربها، ثابتة تحت تصاريف مجاري الأقدار، ممحوة الرسوم والآثار، ناظرة بوجهة توجهها لربها العزيز الغفار، فداري دُنياها وأُخراها كلاهما متحدا الدار.

قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: 83] فذلك جزاء المحسنين ولنعم أجر العاملين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى:14- 19].

وإن النفس نزلت عن مقاماتها النورانية وهبطت لدركاتها السفلية، وتشبثت بحبائلها

(1) قال سيدنا والد سيدنا: جاء في الحديث: «إنَّ الأرواح في كل ليلةٍ تعرج إلى ربها».
وفي رواية: «تحت العرش»، هو العرش الخيالي المستوي عليه وجوده المدرك رب الملائكة، والروح في الجسماني.
واسمع: العروج الذي فتح بكشفه أبواب الإسراء هو الذي أدخل منها أرواح قومه، كل ليلةٍ بنور بيانه، فحقه أُسري به وهو أسرى بهم؛ لأنه حقهم.

الطبيعية، وشهواتها الشيطانية، وأغراضها الحيوانية، ومطالعها البهيمية، فانطمست أنوار أشعتها الضيائية، وعفت آثار وجهتها الإيمانية، فهوت في درك الأخسرين، ونزلت إلى أسفل سافلين، وغشيت ظلمها بصرها فكانت من العمين، ودست في قعرات جحيم الخاسئين مع القوم الخاسرين، فاستولى عليها الصدأ والجرب والران والعطب، فتكسرت وتفتتت، فلا تكشف شيئًا من أنوار العوالم النورانية، ولا تشم رائحة من المناهل الإحسانية، ولا يلحظ منزلاً من المنازل الرضوانية، فهي عمياء بكماء صماء.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18].

فالنفس في معراجها الملكوتي عارجة إلى عليين، وفي تنزلها الملكي هابطة إلى أسفل سافلين، فهي بين لبسة روحانية نورانية وبين لبسة جسمانية ظلمانية، سارية في أطوارها، ولها في كل طورٍ من الأطوار برزخ تسكنه وترتحل عنه، فإن تعلّقت به سكنت فيه بحسب ما قسم لها من استيفاء الرزق فيه، فرزقها المقسوم لها من نسبة طورها، واختلافه باختلاف الأطوار، فروحاني نوراني، وجسماني ظلماني، ولها في كل منزلٍ تنزله، ومقام تحله، عمل تعمله، وقول تقوله، وقيام تقومه، وذكر تذكره، وصلاة تصليها، فهي أطوار سبعة لها برازخ سبعة، نطق القرآن العظيم بظواهرها لأرباب الظاهر، وبباطنها لأرباب الباطن، فلظاهرها ظواهر، ولباطنها بواطن، فسمى اللسان المحمدي ﷺ ظاهرها ظهرًا، وباطنها بطنًا، فقال: «مَا مِنْ آيَةٍ فِي القرآنِ إلاَّ وَلهَا ظَهْرٌ وبَطْنٌ إِلَى سبعةِ أَبْطن[1]».

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 12-14].

فهذه مراتب الأطوار الخلقية الجسمانية في الظهور، ومعانيها لطائف الأطوار الروحانية في البطون، وقد نبّه الحق سبحانه وتعالى وتبارك اسمه على ذِكر الأطوار على لسان نبيه نوح ﵇، فقال تعالى إخبارًا عن قيله لقومه: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ

---

(1) رواه عبد الرزاق في المصنف (358/3)، وابن المبارك في الزهد (23/1)، بنحوه.

الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ [نوح: 13-18].

فللنفس في منازلها الطورية صلاة تختص بكل منزلٍ منها سفلي وعلوي، ملكي وملكوتي، جسماني وروحاني، ظلماني ونوراني، فللجسم صلاة في طوره الجسماني، وللنفس صلاة في طورها النفساني، وللصدر صلاة في طوره الجبروتي، وللقلب صلاة في طوره الملكوتي، وللروح صلاة في طورها الروحاني، وللسر صلاة في طوره النوراني، وللفؤاد صلاة في طوره الرضواني، فصلاة الجسم تشتمل على أوصافٍ من القيام، منتصبًا متوجهًا نحو الكعبة حيثما كان، في بقعةٍ من بقاع الأرض رافعًا يديه في تكبيرة الإحرام، محركًا لسانه بدراسة القرآن، راكعًا رافعًا ساجدًا جالسًا آتيًا بصفات الصلاة الشرعية، ظاهرًا كما صلَّى رسول الله ﷺ في ظاهر الأمر الصلاة المشروعة التي أمر بالإتيان بها ظاهرًا، فقال ﷺ: «**صلُّوا كَمَا رأيتموني أُصلِّي**[1]»، فتلك صلاة الأجساد المكتفى بها في ظاهر الشرع، وأما صلاة النفوس فهي أن تضم لما وصفناه من أفعال الجسم، قراءة ما تيسر من القرآن بعد الإتيان بالفاتحة؛ إذ لا تصح الصلاة إلا بها على رأي أكثر الأئمة الراشدين، كالإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، وعامة علماء الدين رضي الله عنهم أجمعين، وينطق بالتكبير قبل القراءة وبعدها في كل أفعال الصلاة من الركوع والرفع منه، والسجود والرفع منه، والقيام، وإن تكرَّر منه ذلك، والتسبيح، والتحميد، والتمجيد، والدعاء، والتحيات بكمالها، والتشهُّد، والصلاة على رسول الله ﷺ فيه، وضم الصلاة على آله؛ للصلاة عليه في التشهُّد الأخير[2]،

(1) رواه البخاري (226/1).

(2) قال الشيخ العلواني: روح فرقاني في روح الصلاة والسلام على رسول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56]، فقد وصلنا بروح الأعلام بأرواح صلاته وبروح الثناء على ملائكته؛ بأنهم يصلون على هذا النبي الكريم مع روح الأعلام حتى يكون لنا روح من العلم وأرواح من الإيمان بعلو شأن هذا الروح المحمدي النبي الرسول ﷺ على التعميم الحبيب المحبوب الرءوف الرحيم روح محمد به في روح الصلاة عليه الصلاة على نور.

والمصلي على هذا الروح المحمدي له من الله روح وصل بروح نوراني يفصل عنه من كل روح ظلماني، فتقع حركاته في الخيرات وسكناته في البركات، هذا من حيث روح الحق. ومن حيث الروح المحمدي يكون لروح المصلي أرواح وصل بأرواح حب من الروح المحمدي، وله من =

والنطق بالسلام على أهل اليمين عند الخروج من الصلاة، والسلام على ملائكة اليسار مع المحافظة على إخراج الحروف في تلاوة القرآن؛ إذ ذاك شرطٌ في صحة الصلاة المشروعة، فإذا أتى بجميع ما ذكرناه فقد أدى صلاة النفس مع صلاة الجسم، وأما صلاة الصدر فهي التهيؤ للتسوية والتعديل للانشراح لقبول الواردات، والخروج عن وصفيّ الضيق والحرج، فيضم لما وصفناه من صلاتي الجسم والنفس الانشراح والانبساط، والاستسلام لحقيقة الإسلام، وتلقِّي أنواره، وقبول وارداته، فيقوم بنشاطٍ في التوجُّه والبسط لصلاته، فيرتل القرآن ترتيلاً، ويتفهَّم ما يتفوَّه به من التنزيل، وما ينطق به من التكبير[1] والذِّكر والتسبيح والتحميد، فهو بأفعاله في صلاته سالك منهاجه

الروح المحمدي أرواح فصل تفصل بينه وبين الأرواح الانتقامية والروح الفاصل هو روح الشفاعة روح بيان من الروح المحمدي في روح الصلاة عليه.

«من صلى علي في أول نهاره عشرًا وفي آخر نهاره عشرًا أدركته شفاعتي»

ولا بد في روح الصلاة والسلام على هذا الروح الأعظم في أرواح المرسلين من صورة حركة اللسان وسكن الجنان إلى هذا الروح الأمري والنور الفرقاني والنور الذي هو روح فائض من روح الصلاة على هذا النبي الكريم والرسول العظيم روح إحساني بروح من البيان من الروح المحمدي في روح الصلاة عليه **«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا من الصلاة علي فيه فإن صلاتكم معروضة علي»**.

روح بيان بروح من الإحسان قد أمر الروح المحمديْ بعرض الحال وهو روح حال المؤمن من أمته في روح الصلاة والسلام عليه فأرواح الصلاة عليه تقع في صور من المواهب على روحه الكريمة في صور أرواح مختلفة الروائح والذكاوة كريح الورد وماء الورد والمسك، والعنبر، والياسمين، وأنواع الرياحين وما في الوجود من روائح الأطياب.

لكن بزيادات كثيرة على ذكاء هذه الأطياب والرياحين وروح الدليل من الروح الفرقاني فروح وريحان وجنة نعيم بروح التسليم.

(1) فائدة عظيمة: قال الحكيم الترمذي: فأمّا علِّة التكبير: فإن الآدمي إنما عصاه للكبر الذي فيه، فلمّا وقف معتذرًا مما كان منه، سلَّم الكبر إليه قولاً.

فقال: الله أكبر، تبرأ إليه نفسًا بوقوفه بين يديه على التسليم إليه، تبرأ إليه بلسانه قولاً فكبره تكبيرًا.

وقد أمر الله تعالى في تنزيله فقال: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:111] :أي سلم الكبر إليه، فإن الكبر تاجه في العُلى والكبرياء رداؤه مبسوط في السماوات والأرض؛ ولذلك صار قول أبي يوسف عندنا أقوى من قول أبي حنيفه رحمة الله عليهما في قوله عند الافتتاح إذا قال: الله أعظم والله أجل والله أعز.

فقال أبو يوسف: لا يجزئ عنه حتى يأتي بالتكبير.

بنورٍ من ربِّه، فلا يضل في طريقه، ولا ينسى القيام بواجب حقه، فثمرة صلاته الانشراح بعد الحرج، والضيق والانبساط بعد الحصر في الفج العميق.

وأما صلاة القلب فهو أن يضم لما وصفناه من الصلوات الثلاث:

حضور النية عند الدخول في الصلاة، ولزوم الأدب، والخضوع، والخشوع، والخوف، والخشية، والتذلل، والتواضع، والتصاغر، والتضاؤل، ولزوم الحضور في جميع الصلاة، وألا يلتفت فيها يمينًا ولا شمالاً، وأن يعلم من يناجي في صلاته، فيضيف لما وصفناه في قراءته تدبُّر القرآن، فيتدبره بعد ترتيله، فإذا مرَّت به آية فيها تخويف تواضع وتذلل وتصاغر وأناب واستغفر ونوى التوبة عن ذنبه، واعتذر لربه، وأقلع عنه، وأذل نفسه واستحقرها، وقمع أوصاف الكبرياء، والعجب والدعوى، والتعزز والخيلاء، وفرغ محله من السوى، وامتثل ما ورد على لسان الأنبياء عليهم السلام، كقوله على لسان داود النبي عليه السلام:

«**يا داود فرِّغ لي بيتًا أسكنه**[1]» وأن الحق تبارك وتعالى أراد بذلك: فرَّغ قلبك من سواي وملاحظة غيري.

وقول النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**[2]».

وقال أبو حنيفة: يجزئ ذلك كله عنه مكان التبكير.

فلو وقع لأبي حنيفة هذا الذي ذكرنا من علته، لرأيت أنه كان يمتنع من هذه المقالة؛ لأن قوله أعظم من العظمة وأجل من الجلال وأكبر من الكبر وإنما نازع العبد في الكبر ، فيحتاج إلى تسليم ما نازع فيه.

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه مسلم (1987/4)، وأحمد (284/2)، وقال الشيخ العلواني: وصورة الإنسان هي رأس الإنسان وقلب الإنسان هو فلك الخواطر.

والبحر الذي تلقى فيه الفضلات الروحية والفضلات النفسانية والفضلات الشيطانية فهو صاحب دوران وتقلب بما يلقى فيه وهو سريع الانقلاب مالم تقع فيه القساوة فيتصلب على الأمر الباطل ويقف عن الدوران بالخواطر الرحمانية فنعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع ومن عمل لا يرفع ومن عين لا تدمع.

والنيات هي مقاصد القلوب فإن كان قصد القلب صالحًا كان له نظر من الله، وإن كان قصد القلب غير صالح لم يكن له نظر من الله بمعنى أنه لم يكن معتنى به.

وإذا نظر الله إلى القلب نظر إلى الصورة والجسم وقبل ما منهما تبعا لقبول القلب والنية الحسنة فرع من فروع الإيمان والإيمان في القلب وهو التصديق بمعنى لا إله إلا الله محمد رسول الله

والقلوب أوعية فأتقاها أوعاها للخير، فإذا صلَّى القلب هذه الصلاة تنزلت عليه لطائف الأنوار، وتنزلت عليه السكينة، ولبسه الوقار، وكتب فيه سطر الإيمان، واستوى وتعدل لقبول واردات الإحسان، واستغرقته الأنوار الإيمانية، وأشرقت عليه إضاءات الروحانية، وسرى في الملكيات، وعرج في درج الملكوتيات، وأفاق بعد صعقه لسماع كلام رب الأرضين والسموات، فتشرق أنواره على المصلين دونه، فيكسون حلل أنوار جلال وهيبة وكمال، فهم المنعوتون في كتاب الله العزيز بالشهداء.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: 19].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: 12].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69].

فالصالحون هم المسلمون، والشهداء هم المؤمنون، والصديقون هم المحسنون، فهذه صلاة القلوب.

وأما صلاة الروح فهو أن تضم لما وصفناه من صلوات الحقائق الثلاث(1).

وفرعه فيه المقاصد الحسنة وكل ما في الجوارح من الخير فروع له وقد جمع أستاذنا رضي الله عنه أرواح لا إله إلا الله محمد رسول الله في قوله نشهد بأن الله تعالى موجود واجب الوجود متصف بالقدم والبقاء والوحدانية والقيام بنفسه والمخالفة للحوادث له ذات وصفات ذاته لا تشابه الذوات وصفاته لا تشابه الصفات.

ومن صفات ذاته الحياة والعمل والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام فهو حي عليم قدير مريد سميع بصير عالم متكلم ويستحيل في حقه أضداد هذه الصفات وكل وصف لا يليق به كالحلول والشبيه والذي يجوز في حقه فعل كل ممكن وتركه أرسل الرسل وأنزل الكتب فنؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره والذي يجب في حق الأنبياء والرسل الصدق والأمانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه يستحيل في حقهم الكذب والخيانة وكتمان شيء بما أمروا بتبليغه ويجوز في حقهم الأعراض البشرية التي لا تنقص شيئا من مراتبهم العلية كالأكل والشرب والنكاح والمرض كالجنون ونحوه والله أعلم. انظر: الأصول العلوانية (ص263) بتحقيقنا.

(1) فائدة ولطيفة: قال الشيخ العلواني الشاذلي:

فصل في روح وصل بأرواح الصلاة أولها: روح النية مع روح التكبير فروح النية روح وصل بأرواح الصلاة فهي الروح الفاتح في روح التكبير روح الصلاة.
وفيها روح فصل للأرواح التي لم تقصد لروح الصلاة ومن أرواح السنة يتحرك بها اللسان وإن يسكن عن روح العمل بضدها الجنان روح فرقاني في روح النية ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البينة: 5]، أي بأرواح الصلاة بأرواح الصوم بأرواح الإحسان ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ﴾ فلا يكون في أرواح حياتهم غير أرواح الدين والدين الخالص بالأرواح المحمودة من أرواح العلل بروح الروح في روح الإطلاق بأرواح الربط بروح الإحاطة فالله أكبر روح من أرواح العموم بأرواح التصريف وأرواح الإفاضة لأرواح القوابل ولكل روح واصل إلى أرواح القوابل بأرواح الكمال وما فيها من أرواح الجمال وما أرواح الظلال في الروح الأعظم إلا كأرواح المحال فروح الفصل في روح التكبير أن ما سوى الروح الأعظم من الأرواح كلا مع سراب وهو إن لم يخل من الأرواح الحقبة والأسرار الروحية فلا يشابه الشراب فما عند السراب إلا الظمأ.
وما عند الشراب إلا أرواح الري وأرواح الطهارة والنظافة والنضارة فهل يستوي الروح الفارغ بالروح المملوء من أرواح الرحمة وأرواح المواهب فروح التكبير روح وصل بروح التعظيم العام يرويه روح الإطلاق بأرواح القهر فوق كل روح من أرواح الخيال أو الظلال.
وفيه روح فصل لكل روح لم يؤذن له أن يدخل في أرواح الصلاة فهو الروح الجامع لأرواح الصلاة المفرق لأرواح العادات، وفيها روح حركة اللسان وروح سكون إلى أرواح الصلاة بأرواح الجنان ومن بعد روح التكبير أرواح مسنونة من أرواح المناجاة بأرواح خاصة من الروح المحمدي.
وذلك روح التوجه في روح قولك:
﴿ وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بأرواح النشر ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ بأرواح الكثافة حينما برح الإقبال مسلما لأرواح الجمال.
وما أنا من المشركين بأرواح الشهود ولهذا الروح الأعظم ﴿ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ بأرواحها ﴿ وَنُسُكِي ﴾ بغيرها من أرواح الحج ﴿ وَمَحۡيَايَ ﴾ بأرواح إمداده بأرواح الحياة الفرقانية ﴿ وَمَمَاتِي ﴾ في عين حياتي عن كل روح ردية ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ في روح من الأرواح.
وبذلك الروح ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام: 163] على كل حال للروح المالك الذي ما سواه في أرواح عظمته هالك ومن يعد هذا الروح روح التعوذ فأعوذ بالله من روح من أرواح اللبس بأمر من الأرواح الشيطانية الفائضة من أرواح الشيطان الرجيم.
وبعد هذا الروح روح ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أرواح المفاتيح بأرواح البركات وروح ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ سيد أرواح الثناء ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مفتاح الغنى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ روح أعظم من أرواح التذكير ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ روح إقرار بكمال العبودية ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ من أرواح المسير على روح نوراني ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾. روح من أرواح الاسترشاد ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ روح تلذذ بأرواح ذكر الأحباب ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بروح الحجاب ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ من أرواح

العبودية بعدم شهود أرواح الربوبية ومن أرواح الندب روح أمين ومن أرواح السنة بعد روح الفاتحة أرواح من الفرقان على روح من التيسير على أرواح من التفصيل ثم بكون بعد روح القراءة في روح القيام على القادر روح الركوع.

وله روح جد من الأرواح الواجبة والأرواح المندوبة ففي الركوع روح فصل عن روح القيام وروح وصل بروح من أرواح التواضع والخضوع لله وفي روح الركوع روح حركة في روح من أرواح العبودية.

وروح سكون في روح التعظيم ومن بعد روح الركوع روح الاعتدال وهو من أرواح الشكر على روح الإطلاق من روح الفقر ومن أرواح الذلة ومن بعد روح الاعتدال روح السجود وفي الروح المحمدي: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فليسأل الله ما شاء من خير الدنيا».

ومن أرواح الآخرة وفي روح السجود من أرواح السنن:« سبحان ربي الأعلى» كما أن في روح الركوع: «سبحان ربي العظيم» فروح الركوع روح تعظيم، وروح السجود من أرواح التقديس لأن روح السجود من أرواح الغنى.

ومن أرواح السقوط عن رتبة الوجد فالساجد في روح سجود لا يحمد بأجل أرواح المحامد ليس الحمد كله بأرواح القول بل منه ما يكون بإشارة الأرواح ورفع روح الخيال لرفعة الروح الأعظم عن أرواح العجز المبسوطة في أرواح السجود الذي هو روح الساجد الحامد بأجل المحامد بالإشارة الروحية في روح الهوية فروح السجود من أرواح الإطلاق في روح من الحجاب الرقيق.

ولذلك الروح كان أقرب من روح الركوع ومن روح القيام ومن روح القراءة فأرواح الصلاة بعضها فوق بعض في درجات القرب لاختلاف أرواح الحجب فلا بد لكل عابد من روح حجاب يليق بحاله في أرواح أقواله وأرواح أفعاله، وفي أرواح النيات، وفي أرواح الإشارة الروحية بإسقاط أرواح السر. فيعم روح الإطلاق في أرواح من الرقة وفي روح السجود من أرواح السنن: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله ظاهره وباطنه سره وعلانيته سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين».

ويكون روح السجود على سبعة أرواح روح الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا بد فيه من روح السكون كالركوع والاعتدال فإن أرواح الصلاة أرواح وصل وفصل وحركة وسكون وبعد روح السجود الأول روح الجلوس بروح من السكون،وهو روح بعث من روح الغيبة في أرواح التقديس.

﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [طه: 55]، بروح السجود الأول جاءت إشارته وبروح الجلوس بين السجود كانت عباراته ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ ﴾ بروح السجود الثاني، ﴿ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾ بروح الجلوس الأخير لأرواح التحيات، وأرواح التشهد وأرواح التسليمات والصلوات.

فالجلوس الأخير جامع لأرواح كثيرة لأنه المبعث الأكبر وبأرواح اللقاء عند أرواح التسليم ترتفع أرواح التكاليف وهي من أرواح العفو روح من أرواح الآثار.

قال رجل لأبي هريرة: «إني أخاف من الموت فقال له: أتصلي الصلوات الخمس في جماعة؟

وهم: القلب، والصدر، والنفس، خارجًا عن صلاة الجسم؛ فإن صلاة الجسم مشهودة للأبصار بخلاف الحقائق الثلاث، فصلاة الروح انضمام الفرح والسرور بقدوم أوقات أداء الفرائض؛ إذ هي أوقات التجليات والتنزلات، وإعلان الداعي بالبشرى، والتهيؤ للحضور للمخاطبات والمكالمات والمناجاة، والتفكُّر بعد التدبُّر في أسرار الآيات المنزلات، والتسوية والتعديل لنفحة الرحمانيات، والخروج من حصر التعلقات بنيل الجزاء والثواب، وحلول الدرجات، وتلقِّي الإفاضات الرحموتيات بلطائف العلوم الكشفيات، والفهوم الغيبيات، والتنعُّم في رياض الجنات، فيلبس حللاً رضوانيات، ويرقى معاريجًا قدسيات، ويتوَّج تيجانًا ربانيات، ويحل بمقعد الصدق، ويشرف بمكالمة الحق، ويشهد جمال حضرة الربوبية، ويتمحَّض بصفة العبودية، فكلما تلا في صلاته آية وتفكَّر فيها وتفهَّم معانيها عرج روحه النوراني إلى أفقٍ أعلى، ومقامٍ أسنى، ومشهدٍ أضوأ، ومقعد صدق أزكى وأبهى، فيرى في معراجه ذلك أنه بلغ سدرة المنتهى، وألا مقام أعلى من ذلك الأفق الأعلى، فعند انتهائه في نظره وبلوغه في استيفاء رزقه في مرامي فكره تنفهق عليه أنوار الآية التي تلي الآية التي قرأها، وتفكر فيها وتبحَّرها، فيرى ما لم يكن رأى، ويشهد ما لم يكن لَه بمرأى، فيرجع ببصر بصيرته خاسئًا حاسرًا، فعند رجوع بصره كرة ثانية يكشف لَه عن سر معراج الآية الثالثة، فيشهد من انفهاق الأنوار الرحموتية، والأسرار الرهبوتية، ما لم يكن في وسع الصفة البشرية حمل جزئه فضلاً عن كله، فيفجأ نظره انفهاق الأنوار، ولطائف الأسرار، فيستغفر الله ﷻ مما كان وقف عند ظنه، وبلغ حده فهمه ووهمه، ووقر في باطنه أنه الغاية القصوى في ذلك المقام، والنهاية في دار السلام، ومحل الأمان والإكرام، فإذا استغرق المصلي

فقال الرجل: نعم، فقال: إذا كنت على هذا الأمر فمت في أي وقت شئت فلا بأس عليك» روح بيان في هذا الروح ألا ترى.

وذلك أن أرواح الجماعة فيها أرواح الدرجات وأرواح الصلاة فيها أرواح الكفارات، وفيها من كل الأرواح الإلهية وختام الصلوات بأرواح الدعوات والبركات بأرواح الأذكار، وأرواح الاستغفار.

وانظر: كتاب الأرواح (ص45) بتحقيقنا.

في حقيقة هذه الصلاة الروحانية[1]، والحقيقة الرضوانية، واستوفى ما قدر لَه، وقسم من الرزق الروحاني في المقام الرضواني والطور النوراني كملت صلاته الروحية، وفاضت عليه أنوار المقامات الصديقية، وهو مقام الإحسان، فعند ذلك ينتهي في معراجه الروحاني، ومنتهى مقامه الرضواني.

وأما صلاة السر فهي أن تضم لما وصفناه من صلوات العوالم الطورية، واللطائف الظهارية والبطانية دوام المراقبة والحضور للمشاهدة والمخاطبة، فلا تلحقه غفلة، ولا تمسه لفتة، ولا يتعلّق بعلاقة روحانية، ولا ملكوتية، ولا جبروتية، ولا نفسانية، ولا جسمانية، فيكون دائمًا على صلاته، ذاكرًا لله ﷻ في خلواته وجلواته، قائمًا بمأموراته ومنهياته، مستغرقًا في فكر الآية ونعمائه، حامدًا لله تعالى بجميع محامده ومبتغياته، طالبًا منه نوال عطائه وإفضاله، وتنزلات إفاضات رحموتياته، طالبًا للفتح المبين في فهم أسرار آياته، مشاهدًا تصاريف القدرة الربَّانية في براياه ومخلوقاته، مستغرقًا في فهم أسرار ملكوتياته وروحانياته، كاشفًا، ينزل الأعمال على لطائف جوارح العباد، وعجائب صنعته في مبتدعاته، ملاحظًا تصريف المشيئة الربَّانية في اللطائف السمائية، والحقائق النورانية، وتنزل الأملاك العلوية النورية بإرسال الغيث بالقطر النازل، وافتراق قطراته، وحكمة الحق تبارك وتعالى في إحياء الأرض الميتة بوروده في وقت الحاجة، وكفه عند الاستغناء عنه، وإرسال الرياح بين يديه مبشرات بتنزل الغيث، وسوق الماء في البحار والأنهار إلى الأرض الجرز، وما تخرجه من النبات والأقوات، والفواكه المختلفة الطعوم والألوان، وما تشتمل عليه من النفع والضر للحيوان والإنسان، وما يكون منها غذاء لأهل الجنان ولأهل النيران، وما لا يدخل تحت حصر حيطة علم إنسان، ولا ملك ولا جان، ولا يطيق حمل معرفته الثقلان، فسبحان الملك العظيم الشأن، فإذا صلى السر هذه الصلاة الطورية، وقام بها في السرية والجهرية نال مقام العرفان، وشهد محل الرضوان، وكان للأنبياء والرُّسل من خواص الأتباع المحبين

(1) قال سيدي علي وفا: ومن ثمَّ قال السيد الكامل ﷺ في بعض أسفاره: «أقم الصلاة وأرحنا بها يا بلال»؛ لأن المصلي يناجي ربه، ألم تسمع وترَ أن المحادثة في الطريق تذهب مشقة السلوك فيها، وأن ذلك يكون بحسب لذة تلك المناجاة، حتى إن الحادي يناجي الركائب فتقطع المهامه، كمن طويت لَه طي السجل للكتاب بقدر حسن حَذوه ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: 28].

الإخوان، تلو العلماء المصطفين من عباد الله المتقين.

فهذه لطيفة من أبعاض صلاة الأسرار، فمن صلَّى سره هذه الصلاة المرضية، وقام بحقيقة هذه الأوصاف السنية، وبلغ بفهمه الثاقب، ودركه الصائب، ونوره الساطع، وحسامه القاطع إلى أفق هذا المقام العلي، وسنا برقه البهي، فوقف على باب الرحمة طالبا إفاضات الفضل الإلهي، والرحمة الربَّانية، سائلاً ربه العفو والغفران، والإعانة على الخروج عن التعلُّق بحبال الجزاء والثواب، والالتفات لنعيم الجنان ودار الرضوان، فإذا تأدَّت هذه الصلاة بكمالها من أقوالها وأفعالها وأحوالها انثالت عليه إضاءات الأنوار الرحمانية البطانية للطور السابع، بعد ختم صلوات العوالم الست، فيبدأ العالم السابع بإتيان صلاته وتمحضه بالخروج عن مقاماته وغاياته، فيرقى في معاريجه الإخفائية، والأفئدة الاصطفائية الاختصاصية، برئًا من حوله وقوته، مجردًا من أثواب إنيته، ممحوًّا رسمه واسمه بين العالمين، حاضرًا بحقيقة الافتقار لأرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، متابعًا للقدم النبوي المحمدي، موافقًا مرافقًا للطيف الأحمدي، عار من كسوة الأغيار، لابسًا حلل الأنوار، غريقًا في بحر الوحدانية، مستهلكًا في زمان الفردانية، معدومًا للأكوان، مشهودًا للرحمن، مسوًّى معدلاً لقبول فيض التنزلات الربَّانية، والانفهاقات الرحمانية، ثابتًا تحت أحكام الأقدار، فقيرًا من جميع الأغيار، حاضرًا بالله مع الله، شاهدًا لله بالله، سامعًا كلام الله بالله، تاليًا للقرآن بالله، عالمًا بالله، كاشفًا بالله، ذاكرًا لله بالله، مصطلمًا في نور الله، آخذًا بكله كلا من الله، فلا يرى سوى الله، ولا يفوه إلا بالله، ولا يشهد في الكون إلا الله، ولا يرى ضرًّا ونفعًا إلا من الله، ولا قبضًا وبسطًا إلا من الله، ولا ظهورًا وبطونًا إلا لله، ففي صحوه يشهد الله وهو بمقام العبودية، واضعًا قدمه على أثر القدم المحمدي، والنعت الأحمدي، سامعًا كلام الربوبية بحقيقة العبدانية، فَأَرَتْهُ كلامها الرباني، وتنزلها الرحماني بالأفق الأعلى.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:11]، فهو محل لتنزل العلم اللدني، وإلقاء النور الروحي في غاية من الكمال والتمام بالاتصاف بحقيقة الفقر لذي الجلال والإكرام، فأخذه من الله تبارك وتعالى عطاؤه ونواله سرمدي بغير انقضاءٍ ولا انقطاع، ولا حقيقة وصف وامتناع، فصلاته دائمة سرمدية أبدية أمدية، نظر إلى حقيقة أوصافه النورانية، ووجهه وجهة ظهارية لباطنية، وكشفية لغيبية، وتنزلية لعلمية، وسرمدية لأزلية، سامعه لما قيل للنبي الكريم داود عليه البركات والتسليم من الرب الكريم: «**يا داود أنا بُدُّكَ**

اللازِم، فليس لك مني بُد، فإن حصلت لك حصل لك كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء[1]».

فهذه صلاة الموحدين المخلصين لرب العالمين، رضوان الله عليهم أجمعين، فهذه صلوات الأطوار البطانية والظهارية، والحقائق الجسمانية والروحانية، والجبروتية، والملكوتية، والنفسانية، والنورانية، وهي أوصاف القيام بحقائق الصلوات التي وُصف أهلها بالدوام؛ لدوام المداومة عليها، والمحافظة عليها.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: 23]، فدوام صلوات المداومين بدوام ديمومية الدائم، فدوامهم بالله، وصلواتهم لله بالله، وتقربهم إلى الله بالله، ثمرة القيام بامتثال أوامر الله، والخلوص عما سِوى الله، والسماع من الله، والمشاهدة لله، والحضور مع الله، وملاحظة الأنفاس والخطرات حذرًا من لفتةٍ لغير الله، فهو في معراجه آخذًا من الله فيض الله، وتنزل رحمة الله، وأفعال كرائم الله، ومواهب الله، وعطايا الله، فتوجهه إقبال معراجي، ورجوعه إفضال نوالي، فهو خالعٌ ما أفاض الله تبارك وتعالى عليه من حلل الإنعام والإفضال والإكرام على عباد الله، كاسيهم أثواب رحمة الله، متوّجهم بتيجان الكرائم، مزينهم بأثواب المرحمة، وجزيل الغنائم، فهو في عوالمه السمائية نور إفاضي بسطي، وفي عوالمه الأرضية لطيف روحاني، وهيكل جسماني، فيتصرف النفس في سائر عوالمه الأرضية والسمائية، أعني النفس النقي الزكي التقي الصفي الوفي النوري البهي، ويرتقي في المقامات القدسية، والدرجات النورية، فمن غلبت عليه الصفات الإبراهيمية أتى بصلاة الجسم والنفس والصدر، فكان مسلمًا، ومن غلبت عليه الصفات الموسوية أتى بصلاة القلب، فكان مؤمنًا، ومن غلبت عليه الصفات العيسوية أتى بصفات الروح فكان عيسويًّا، ومن غلبت عليه الصفات المحمدية أتى بصلاة السر مع الصلوات المذكورة فكان محمديًّا، ومن شملته العناية الاصطفائية والملائكة الاختصاصية جمعت لَه صلوات لطائفه الطورية، التي وصفناها في ضمن صلاة حقيقة الإخفائية الروحية السرية التوحيدية، فكانت صلاته صلاة واحدة، فكان محمديًّا أحمديًّا عبدانيًّا ربانيًّا، فإذا صلَّى صلاةً واحدةً، أو سبَّح تسبيحةً واحدةً، أو قال: لا إله إلا الله، مرةً واحدةً، أو ذكر الله ﷻ بذكرٍ من أذكاره دفعةً واحدةً،

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (230/5) بنحوه.

صلّى بصلاته، وسبَّح بتسبيحه، وذكر بذكره جميع عوالمه وأطواره من الأرضيات والسمائيات، والنوريات، والحجابيات، والملكيات، والملكوتيات، والجبروتيات، والروحانيات، تفضُّلاً وتكرُّمًا من ربِّ الأرضين والسموات، فهذه صلاة من تحقق في أوصافه المحمدية، واتَّصف بنعوت الأحمدية، فكان من الموحدين المقرَّبين، المخصوصين بالمحبَّة من أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، مع أن الصلوات التي وصفناها قد يأتي العبد بمجموعها، وقد يأتي بصلاة بعض أطواره دون بعضٍ، فيتعذر جمع المجموع فيهن على من لم يتصف بحقيقة التوحيد، فإن الموحد المحمدي الكامل ممكن في مقاماته بما خصَّه من الميراث النبوي المحمدي، فيتصرَّف في عوالمه كيف شاء وحيث شاء، فيشهد الأكوان المفترقة كونًا واحدًا، وتجمع لَه المفترقات في حقيقةٍ واحدةٍ، فهو بين صحوٍ ومحوٍ، ففي صحوه ينظر ويسمع، ويتصرف في الأكوان بنور، وفي محوه وفنائه عن نفسه وعدمه لرمسه ينظر بالله، وينطق بالله، ويتصرف بالله، فصلاته لله بالله، وذكره لله بالله، وسماعه لله بالله، فهو لا يتصرَّف إلا بالله، ولا ينطق إلا بالله، ولا يسمع إلا بالله من الله، فهو غريقٌ في بحرٍ كان معدوم بين الأكوان.

فهو ممن نبَّه رسول الله ﷺ على أنه مقرَّب بقوله:

«ولا يزال العبد يتقرَّب إلَيَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، وقدمه الذي يسعى به.. إلى آخر الحديث[1]»[2].

فالمصلِّي بكليته يصلي بصلاته جميع العوالم، والمتمكن يصلِّي بجمعيته إذا شاء، وبتفرقته إذا شاء، وببعض أطواره إذا شاء، وبظاهره دون باطنه إذا شاء، وبباطنه دون

---

(1) رواه البخاري (2384/5).

(2) قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: لن يصل الولي إلى الله تعالى ومعه شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته، فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل إليه أبداً، ولكن إذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده إليه تولى ذلك له، بأن يُظهِر من صفاته العليَّة ونعوته القدسية ما يُغيّب بذلك صفات عبده ونعوته عنه، ويكون ذلك علامة على محبَّته، كما أشار إليه ﷺ بقوله في الحديث الصحيح: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها»، وعند ذلك لا تكون عنده إرادة ولا اختيار إلا ما اختاره مولاه وأراده، فيكون واصلاً الله بما منَّ الله عليه من الفضل والكرم، لا بما من العبد عليه من الاجتهاد والعمل، فسبحان المتفضّل على من يشاء بما شاء انتهى.

ظاهره إذا شاء، والمتلون لا يقدر على جميع الصلوات في الصلاة الشرعية، وإنما يأتي بما يستطيع منها، ولم يكلفه الشارع القيام بحقيقة الجمع فيهن؛ إذ لا قدرة لَه على ذلك، أعني غير الممكن، فقال ﷺ: «إذا أمرتكم بأمرٍ فائتوا منه ما استطعتم[1]».

فالمتلون ضعف عن القيام بما يقوم به المتمكن؛ لقوة المتمكن، فالخطاب للقوي المتمكن من الله ﷻ أمره لَه بالإخلاص، وحقيقة الإخلاص الخلوص من الشرك الخفي والجلي، قليله وكثيره[2].

---

(1) رواه البخاري (2658/6)، وأحمد (508/2).

(2) فائدة عظيمة: قال الحكيم الترمذي: وأمّا علة الصلاة: فإن القيام تسليم النفس إلى الله تعالى؛ لأنه لمّا أغفل جواره انتشرت في شهواتها ومُناها بما لم يؤذَن لها فيه، فجاء بها ليجدِّد تسليمًا؛ لأن الإسلام هو قبول العبد من ربه تعالى العبودية، وتسليم النفس إليه طواعية له فيما أمر به حفظ العبودية.

وهي ميثاقه الذي واثقه به، وواثق به جوارحه السبع وهي: السمع، والبصر، واللسان، والبطن، والفرج، واليد والرِّجل؛ ولذلك سمي نبذة بالأعجمي؛ لأنه أوثقه عمّا حرَّم عليه، وأمره مع ذلك بأداء الفرائض.

فلما قبل العقد هذا من ربه، كان قد سلم نفسه إليه: فهو الإسلام، ثم اقتصاه الوفاء بذلك إلى انقضاء أجله، فلمّا مرَّ في شهواته فيما لا يُحل له؛ احتاج إلى أن يجدِّد التسليم، كما أنه لو نقض الأصل فارتد إلى شهوة عبادة الأوثان؛ احتاج إلى أن يجدِّد الإسلام، فكذلك لمّا ارتدَّ إلى شهوة المعاصي؛ احتاج إلى أن يجدِّد تسليم النفس طواعية له، فجاء مصليًا، والتصلية تذل النفس.

وانتصاب العبد بين يديه، فجاء فوقف بين يديه ممسكًا عن جميع الشهوات جامعًا لهذه الجوارح بين يديه؛ كهيئة العبد الذي يريد أن يفي بما ضمن من التسليم، وأن يتدارك ما فُرط منه فلمّا فُرط منه ما فُرط مضى على تسلميه قلبًا وفعلاً؛ ولكنه لمّا فرَّط في الوفاء؛ احتاج إلى أن يقف بين يديه معتذرًا ممّا فرَّط مُسلِّمًا نفسه إليه.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «جدِّدوا إيمانكم قالوا: بماذا يا رسول الله؟ قال: بلا إله إلا الله».

وعنه قال ﷺ: «ربكم الأعلى: لو أن عبادي أطاعوني لأمطرت عليهم بالليل ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد».

فإنما احتاجوا إلى تجديد الإيمان؛ لأنه قد خلق بوله القلوب إلى الأسباب؛ لأن من صدق الإيمان أن يكون ولَهُ القلوب إلى الله تعالى الذي أوله الخلق إليه، فإذا ولهت إلى شيء دونه ذهبت قوة الإيمان وطراوته فاحتيج إلى تجديده.

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان حُلو نزه فنزهوه».

وكذلك قال رسول الله ﷺ لسلمان رضي الله عنه: «قل اللهمَّ إني أسألك صحة في إيمان، وإيمان في حسن خلق، ونجاحًا يتبعه فلاح ومغفرة منك ورضوانًا».

فلا يُسأل الصحة في الإيمان إلا من سُقم، فإذا تعلق القلب بأسباب دون افتتن وتعلق بغير =

معلقه، وكان ولهه إلى غير مَن هو إلهي صائر.

فإن قوله: لا إله إلا الله، هذه مقالة من قلب خلق وإيمان سقيم؛ فلذلك قال: جدِّودا إيمانكم، وكذلك الإسلام.

كما أمر هاهنا بتجديد الإيمان قلبًا، كذلك أمر بتجديد الإسلام نفسًا في أن يقوم إليه معتذرًا، وقد جَمعت له جوارحك المنتشرة في شهواتك التي لم يؤذَن لك فيها فتجدِّد تسليمًا، ولم يكن انتشارك هذا نقضًا للعقدة: عقدة التسليم؛ ولكن كان نقضًا للوفاء: وفاء التسليم.

فإن هذه الجوارح السبع كانت عندك بأمانة وأُمرت بحفظهنَّ، فتوكَّلت برعايتهنَّ، والراعي إذا أهمل غنمه؛ حوسب وعوقب وغرِم، فإذا أصبحت انتشرت كلُّ جارحة منك ترعى في واديها، فالسمع في وادي الاستماع للأصوات، والبصر في وادي النظر إلى الألوان، واللسان في وادي المنطق، وكذلك كلُّ جارحة.

وفي هذه الأودية سموم قاتلة من المراعي، وذئاب ضارية، وأجراف هاوية فعلى الراعي أن يحفظ غنمه حتى يخلصها من هذه الآفات، فاحتال لها بما يحتال بمثلها حتى يخلصها، وكذلك هذا الموكَّل بجوارحها يجنبها الآفات، فإن أصابته آفة عمل في تخليصها بالتوبة والاستغفار؛ كما عمل الراعي بأغنامه السبعة، فإن أصابها كسر جبَّر الكسر، وإن رعت في مراعي السموم سقاها البازهر والترياق، وإن وقع الذئب بها أرسل الكلاب في استلابها منه، وميَّز شربها من مرعاها؛ كيلا تعطش فتهلك.

فالمواعظ للنفوس كالشراب للأغنام؛ لأن العلم حياة القلب والنفس، كما أن الماء حياة البدن والروح، فإذا عطشت النفس عن التذكرة هلكت الجوارح، والصلوات الخمس تكفِّر السيئات.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ*وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ﴾ [هود:114، 115].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:31].

قيل: بالصلوات الخمس: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: 31].

قال: الجنة، فهذه علتها.

ذكر علَّة استقبال القِبلة وقت الصلاة

وأمَّا علة الاستقبال: فإن البيت مَعلَم الرَّب سبحانه في الأرض، والعرش منظره ومظهره في العُلو، فاستقبال المنظر والمظهر والاستلقاء على القفا.

كذلك قيل في الروايات: «إن نوم الشياطين على اليسار، ونوم المؤمنين على اليمين، ونوم الكفار والمنافقين على الوجوه، ونوم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم على القفا».

فاستقبال المنظر: الاستلقاء، وهذا غير ممكن، فإذا قمت إليه معتذرًا مُسلِّمًا جوارحك إليه، أمرت باستقبال معلمه الذي منه ارتفع العرش إلى العُلو، وبقيت الزُّبدة على ظهر الماء: كالفضة البيضاء، فمُدَّت الأرض من تحتها.

وإنما سُميت الأرض أرضًا، لأنها رضيض سلطانه، وسميت السماء سماء؛ لأنها سَمَت إلى العُلو.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِين﴾ [البينة: 5].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: 110].

فجلي الشرك يتفاقم ويتعاظم إلى غايةٍ ينتهي إلى أن يتخذ الأصنام من كثائف الأجسام، وثقال الأجرام آلهة تعبد من دون الله ﷻ مع العلم بأنها لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، وخفي الشرك ينتهي إلى حدٍّ يدق على الأبصار الحسية والأوصاف البشرية دركه.

قال ﷺ: «الشركُ فِي أُمَّتي أخفى من دبيب النمل[1]».

وذلك أن العرش كان على الماء فقال الجبَّار جل جلاله للريح: «اسرِ بعرشي فلما وقف العرش على حد الهواء، جاء سلطانه مع الريح، فضرب وجه الماء، فصار من الماء كهيئة الدخان، فارتفع ووقع دون العرش في الهواء بأمر الله حيث فقيل: سماء، ثم قال: لما بقي من الماء أخمد صاغرًا، فخمد فصار تُرابًا كالرضيض من هول السلطان».

فلذلك قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ*فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:12,11].

:أي أمضى تقديره فيهن، وفتقَهنَّ في يومين.

فإذا توجهت إلى معلمه فإنما توجهت إليه بوجهك، وتوجهت بقلبك إلى منظره، وتوجهت إلى وجهة الكريم الدائم الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه الكريم.

ألا ترى إلى قول داود، وقول نبينا محمد صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين:

«سجد وجهي لوجهك الكريم».

وقال في حديث آخر: «سجد وجهي البالي الفاني لوجهك الكريم الباقي الدائم».

وقول رسول الله ﷺ: «إذا توجه العبد في الصلاة أقبل الله عليه بوجهه».

وقال: «إن المصلي تجاه ربه».

وقول الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:115]؛ لأنك توجهت بقلبك إلى وجهه، ولوجهه نصبت شخصك.

فأمَّا قولنا: البيت معلمه ففيه كلام كثيرًا قد شرحناه في كتاب الحج، وهو أمر جليل وله شأن عظيم.

ومما يدلك على تحقيق ذلك ما قلناه: إنه رُوي عن الله تبارك اسمه أنه قال:

«أنا الله ذو بكة».

وقال: «ذو العرش»، ولم يقل: «ذو الكرسي، وذو السماوات»؛ فذو كلمة مَن فهمها علم ما قلنا في شأن المعلم. وانظر: إثبات العلل (ص33) بتحقيقنا.

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (114/3)، وابن عدي في الكامل (240/7).

ودبيب النمل لا تدركه الأبصار الحسية، والطور البشري يعجز عن إدراكه فكيف ما هو أخفى منه، فأقرب دانيه في الحقائق الذهنية أن يلحظ بشيءٍ من أعماله أو أقواله أو أحواله أو أفعاله أنه تائب أو عامل أو ذاكر أو مصل، وأنه ينال بذلك ثوابًا، أو فعل ذلك الفعل خوف عقاب، فذلك من أنواع الشرك الخفي؛ إذ لو أخلص في صلاته أو قوله أو فعله أو ذكره لله ﷻ، أو في فعله لشيءٍ من أعمال البر لم يخطر بباله شيءٌ سِوى الله ﷻ، وأنه مقام في جميع الأفعال والأعمال والأقوال والأحوال، وأنه عبدٌ لسيده، مملوك فقير لا يقدر على شيءٍ من أعراض الدنيا وأعراض الآخرة، وأنه متحقق الأوصاف والصفات في ظاهره وباطنه، وكليه وجزئيه، بحقيقة الفقر لله ﷻ على دوام الأوقات، وترادف الأزمان، وأن الله ﷻ لو أفاض عليه من بحار جوده وكرمه أزمة الأكوان وملكه التصرف في الملآن لقبل ذلك بغاية الفرح والسرور، وكمال القبول والإفاضة على عباد الله، ولم يتعلّق بشيءٍ من قليله وكثيره لنفسه، بل لعباد الله، وشفقة على خلق الله، ولقام بالحمد لله على ما أولاه من إعانته إياه على القيام بواجب حقوق الله من غير التفاتٍ إلى جزاءٍ على عملٍ من الأعمال، أو قولٍ من الأقوال، أو حالٍ من الأحوال، فمن التبس بهذه اللبسة السنية واتزر بإزار العبدانية، وتردّى برداء العبودية، وخلص من الشوائب الروحانية والنفسانية، دخل في ميم المحمدية العبدانية، وحاء الأحمدية، وكان من خير البرية، فالنفس التقية الزكية النقية البهية السنية القدسية الشريفة النورية لها التصرُّف والحكم في درجاتها السمائية، ومقاماتها الروحانية، ومعاريجها النورانية، ومهابطها الحجابية عطاءً وإفضالاً من إله البرية، وعالم الجهر والسرية، فتبارك الله رب العالمين، فهذا محض الخصوصية.

فالمخصوص بهذه الأوصاف عبد كله، وهو قطب دائرته، وقائم وقته، ولو تعدَّد أشخاص بهذه الأوصاف في زمنٍ واحدٍ، وافترقوا في بقاع من الأرض لكانوا متحدي الحقيقة، فهم في ظاهر الأمر إخوان مفترقون، وفي باطنه أرواح مجتمعون، فهم لا يخلو الأرض منهم في زمنٍ من الأزمان، ولا وقتٍ من الأوقات، وهم خلفاء الله ورسوله على الخلائق، وفي الأمة المحمدية الحارسون لها من الوقوع في المهالك، الراشدون لها إلى الهداية لسبل المسالك، الحامون لبيضة الإسلام، القائمون بشرعة النبي ﷺ، فهم رحمة الله على عباده، وأمناؤه في أرضه وبلاده، وخفر الأمة، والكاشفون عنهم شديد الغمة، الدّاعون إلى الله، الدّالون على الله، القائمون بكتاب الله،

الحاثون على المحافظة على سنة رسول الله ﷺ، المرغبون عباد الله فيما عند الله، المحرضون على القيام بحقوق الله، القائمون بالعلم الربَّاني، المخصوصون بالعلم اللدني، الممنوحون بقبول الفيض الرحماني، المصطفون بكشف سر التنزُّل الفرقاني، الذين بهم تتنزل البركات، وبمحبة الحق تعالى لهم تفرج الكربات، وتقطر الأقطار بالقطرات، وتزهو الثمرات، وتخضر الأوراق اليابسات، وتظهر البركة في سائر الأقوات، وتتنزل الرحمة من أعلى سماء العلاءات إلى أقصى درك الأرضيات، فقد نبَّه رسول الله ﷺ فقال فيما قال: «**فبهم تمطرون وبهم ترزقون وبهم وبهم.. إلى آخر الحديث**[1]».

وسمَّاهم إخوانًا لَه فقال ﷺ: «وددت أن لو رأيت إخواني، فقال من حضر عنده من الصحابة: ألسنا إخوانك؟ فقال: لا، بل أنتم أصحابي، إخواني الذين لم يأتوا بَعدُ، يؤمنون بي ولا يروني، للعامل منهم أجر سبعين، قالوا: يا رسول الله منهم؟ فقال: بل منكم، إنكم تجدون على الخير أعوانًا، القابض على دينه كالقابض على الجمر»[2].

فهؤلاء هم أرباب الخصوص، أقطاب الأرض، قطبهم الغوث، وهو صاحب نقطة دائرتهم، وهم لَه كالدائرة، فالحقيقة المحمدية قطب دائرة الكون، والأنبياء أوتاد الأرض، والصديقون المحسنون الأبدال والشهداء المؤمنون الأولياء، والمسلمون الصالحون العرفاء، ومجموع الأمم تحت المشيئة، وفي زمام القدرة، وحيطة العلم الأزلي الربَّاني، والتصريف الفرداني، والحكم الصمداني.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:107]، وهو ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج:10].

وإذا كانت النفس الإنسانية بهذه الصفات السنية، والرُّتب البهية، والمنزلة الرَّضية، والدرجة القدسية، فليجب على مَن لَه قلبٌ تقيٌّ، ولبٌّ نقيٌّ، وعقلٌ سميٌّ، وروحٌ قدسيٌّ، أن يعرف نفسه، ويعطي عوالمه من الطاعات لكل ذي حقٍّ حقه، وينزل كل ذي طورٍ منزلته ووصفه، فيكون ممن نُعت بالرجولية، ولا يكون مؤنث العزيمة، ويقوم بحقيقة الأمر الربَّاني، وينهض بجدٍّ في أموره، ويقتل نفسه عن طلب أغراضها، ويكسر

(1) ذكره ابن كثير في التفسير (304/1).

(2) رواه ابن عدي في الكامل (466/6).

أصنامها، ويجردها عن ملابس الغي والهوى، ويحيد بها عن طرق الردى، وينهج بها سبيل الصراط المستقيم، ويهديها إلى صراط الله القويم، ويقيمها على قيام القيومية بحقيقة العبودية، ويجرد عنها أثواب التكبُّر والتعزز والإيائية، ويمزق أطمار دواعيها، ويقطع علقها وأمانيها، ويخرق سفينة مراميها، ويفصم شرع مطالبها وآمالها وحرصها ومساعيها، ويهدم أركان أطماعها ومبانيها، فيخلع الأقدام، ويلبس حقيقة الإقدام؛ للنهوض والدخول لحضرة الملك القدوس السلام، ويلبسها أثواب الذُّل والانكسار، ويقيمها مقام العبيد بوصفي المسكنة والافتقار، ويكسوها حلل التوحيد، ويسلك بها مسلك أقل العبيد، ويقف بين يدي مولاه بحقيقة الأدب، ويخرج عن الأكوان، فلا يجعل له تعلُّقًا بها ولا إرب، فحينئذٍ يحل دار الإمام ومسكن الرضوان، ومجالسة الرحيم الرحمن، الكريم المنان، ذي الإفضال والإحسان، لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

* * *

فصل

واعلم أن الحجب النفسانية والروحانية النورانية والظلمانية ما كثف منها وما لطف راجع إلى أوصاف تلبسها النفوس والأرواح من الأقوال والأعمال، والأحوال، والأفعال، والنيات، والضمائر، والاعتقادات، وهواجس النفوس، وخطرات الأرواح والضمائر، والفكر، والتعقُّل، والتصوُّر، والتذكُّر، والتدبُّر، والعقد، والإصرار، والندم، والأسف، والإنابة، والزُّهد، والصبر، والرِّضا، والحمد، والنظر، والاعتبار، والخشوع، والخضوع، والإسلام، والاستسلام، وحقيقة الإيمان، والإحسان، وتحقيق العرفان، وما يجري مجرى هذه الأوصاف المعنوية، وأن جميع ذلك وصف من اللبس والتجلِّي والمساكن والمطالب والمراغب والقصور والحور والولدان، والمقامات الحسان، وعجائب غرائب العطايا الحسان من أنواع النعيم، وأفضال الكريم، الملك الديان، فالروح لَه العروج والارتقاء وقبول إفاضات الأنوار الرحموتية الكشفية، وتلقيات العلوم اللدنية، وتنزلات الروحانية، والفتوحات الربَّانية، وخرق الحُجُب النورانية، واتِّباع الأقدام المحمدية للوصول للدخول والحضور بين يدي الحضرة الإلهية، وتحقيق القرب والمشاهد لجمال الوجهة الربَّانية الصمدانية، والتجريد، والتفريد،

والتخلُّق، والتشبُّث، والتعلُّق بأذيال المحمدية؛ لبلوغ المقصود من الإفاضات الرحموتية، والإضاءات النورية لشهود رب البرية لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

وأما حجابيات النفوس فبالعكس مما ذكرناه من المهابط الدركية، والمسالك الظلمية، والمهالك النارية، والمساكن الدنية، والمنازل الحصرية، والمطاعم الزقومية، والمثاوب الحميمية، والملابس النيرانية، والسرابيل القطرانية، جزاء الأعمال الكفرانية، والأعمال الخسرانية، فجزاء الحسنات أنوار روحانية، ولطائف ضيائية، وجزاء السيئات ظلم حجابية، ولبس جسمانية نفسانية نارية كثائف أرضية.

قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:15-17].

فأشد عذاب أهل الحجاب الطرد والإقصاء والإبعاد عن باب كرم الله، والإياس من رحمة الله، والوقوع في عين غضب الله، وأدناه الوقوع في عين الجهل بالله، والشرك في العمل لغير الله، والغفلة عن القيام بحقوق الله، والالتفات لمطامع النفوس بالتوجُّه لغير الله، وطلب الرزق من غير الله، وجلب قلوب الآدميين إليه بما لا يرضى الله، والغفلة عن الإنابة بالرجوع إلى الله، والانهماك في طلب الدنيا حرصًا عليها، وجمعها لغير الله، وإكثار ما تدخره النفس لضعفها عن الثقة بالله، فالمتصفون بهذه الصفات محجوبون حجبًا نفسانية دون الحجاب الأول، ولكل وصفٍ منهم عذاب يناسبه كثيف لكثيف، ولطيف للطيف، فحجب النفوس يُعذَّب به الأخسرين الظالمين، والفاسقين الكافرين، وحجب الأرواح ينعهم فيها الصالحون، والشهداء، والصديقون، والأولياء.

فأما الأنبياء والمرسلون فلما كانوا معصومين من الكبائر برءوا من حجابيات النفوس، وأما الصغائر فمن ناله بارقٌ منه، أو لحظة خاطر، أو يسمع لَه لامع، أو سنح لَه خاطر، أو خطر له وهمٌ، أو عدل به فهمٌ، أو وقف عند دعوى، أو شكى نزول بلوى، أو لفت لغير ربه، أو ذهل عن استغفار ذنبه، فإن كل ذلك لطائف حجابيات، تنعم فيها الأرواح في رياض الجنات، مع أنها مشتغلة عن الغرق في لجج بحر التوحيد، ومقام التفريد، وحسناتهم لا تُحصر عددًا، ولا تبلغ مددًا، وسيئاتهم حسنات الأبرار أهل اليمين؛ فإنهم المقرَّبون بحضرة رب العالمين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ

الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 88-96].

فالأنبياء المرسلون هم خواص المقرَّبين، والأنبياء غير المرسلين مفضولون بالمرسلين، وكل متفاوتون في درج القرب والتكريم، فقريب وأقرب.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: 253].

فالمقرَّبون من المرسلين والأنبياء والمصطفين والأولياء المجتبين أصحاب قدم صدق وتمكين، ونفوس تشرف على نفوس الخلق أجمعين، فهي تقية نقية، زكية، بهية، شريفة، علية، سنية، قدسية، خالصة عن الشرك، بريئة من الشك، فهي تتصرَّف من الحجابيات، ولا تُحجب بالحجابات، فإن الحُجب النورانية مقامات عليّات، ومنازل درجات، ومساكن طيبات، ومقاعد صدقيات، فالمقرَّبون حاكمون عليها، وهي حاكمة على من دونهم في المراتب من الأبرار وأهل اليمين، فالأولياء الأبرار تحكم عليهم المقامات، وتتصرَّف فيهم الواردات؛ لضعفهم عن حمل أثقال النبوات، وأعباء الرسالات، وتظلهم أنوار المقامات، وتسلبهم الأحوال بأسرار أثقال الأقوال المنزلات.

قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: 5].

فمن كان ضعيفًا عن حمل ما يتنزل، لابسًا صفته البشرية، فهو في حصر المقامات وأحكام الحجابيات، فالجسم لا يطيق حمل تنزل اللطائف الجبروتية إلا بواسطة حمل النفس، والنفس لا تستطيع حمل واردات القلب إلا بواسطة شرح الصدر، والصدر لا يطيق حمل واردات الروح إلا بواسطة القلب، والقلب لا يستطيع حمل واردات السر إلا بواسطة الروح، والفؤاد لا يطيق حمل واردات الفيض الإلهي إلا بواسطة قبول السر، والسر لا يقبل مشاهدة الحضرة الإلهية وسماع الكلام الربَّاني إلا بواسطة الرحمة، فالرحمة تنزلت بسر الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، فالأسماء حُجب الذات، والصفات حُجب الأسماء، والأفعال حُجب الصفات، فالحجب تحجب بعضها بعضًا، فحجب الأجسام من نسبتها، وحجب الأرواح من نسبتها، فالنفوس الطبيعية مخلوقة عن لطائف طبيعية عنصرية، فالهياكل الجسمانية واللطائف الإنسانية حجابيات لها، ومظاهر تظهر فيها بتصريفها من حركاتها وقيامها وقعودها وصلاتها وسعيها ودوائها ودائها، والأجسام اللطيفة حجابيات لا لطف منها،

فالنفوس حجابيات الصدور الجبروتية، والصدور حجابيات القلوب الملكوتية، والقلوب حجابيات الأرواح الروحانية، والأرواح حجابيات الأسرار العقلية، والأسرار حجابيات الأفئدة النورية، والأنوار حجابيات الصفات الرحموتية، والصفات الرحموتية حجب أسماء الربوبية، وأسماء الربوبية مظاهر صفة الألوهية، وأسماء الألوهية سماء ذات الصمدانية الأحدية الفردانية، جلَّ ربنا وتقدَّس عن تشبيه المشبهين، وزيغ الزائغين، ووهم قلوب القوم العمين، وتبارك الله رب العالمين، فتنزلات أسماء الألوهية لظهور الربوبية، وتنزلات الربوبية لظهور الرحموتية، وتنزل الرحموتية لظهور النورية الروحية، وتنزل الروحية النورية لظهور الروحانية، وتنزل الروحانية لظهور الملكوتية، وتنزل الملكوتية لظهور الجبروتية، وتنزل الجبروتية لظهور النفسانية، وتنزل النفسانية لظهور الجسمانية، وظهور كل حقيقةٍ من سمائها إلى أرضها لظهور تصريفها في عوالمها، فلا يظهر تصريف النفس إلا بواسطة الجسم، ولا يظهر تصريف الصدر إلا بواسطة النفس، ولا يظهر تصريف القلب إلا بواسطة الصدر، ولا يظهر تصريف الروح إلا بواسطة القلب، ولا يظهر تصريف السر إلا بواسطة الروح، ولا يظهر تصريف الفؤاد إلا بواسطة السر، وكل حجب نورانية ونارية، فالحجب السمائية نورانية، والحجب النارية ظلمانية، فالنورانية حجب الأرواح، والنارية حجب النفوس، فالحجب بأسرها ترجع إلى حجابين:

نوريًّا، وناريًّا، والعالم بأسره علويه وسفليه، أرضيه وسمائيه في ضمن هذين الحجابين؛ إذ العالم السفلي بأسره جسمانيًّا ظلمانيًّا.

والعلوي بأسره روحانيًّا نورانيًّا، والإنسان جمع فيه خلاصة العالمين، وحقيقة الكونين، فهو كثيفٌ جسمانيٌّ، ولطيفٌ روحانيٌّ، فلطيفه روحًا لكثيفه، وكثيفه جسمًا للطيفه، فبفضل كثيفه للطيفه تظهر روحانيته، وبظهور روحانيته تبطن جسمانيته، وذلك في يوم قيامته، وتبديل أرضه غير أرضه، وسمائه غير سمائه، وظهور روحانيته وبطون جسمانيته، وفي دار دنياه تظهر جسمانيته وتبطن روحانيته، ولذلك لما كان الإنسان في دار دنياه محجوبًا بحجبٍ شتى نارية ونورانية حُجب عن سماع كلام الله، وعن مشاهدة جمال الله، فإن صفة البشرية حجاب مانع، وحسام للطريق قاطع.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51].

فالأجسام والنفوس والصدور والقلوب والأرواح والأسرار والأفئدة النورانية كل حجب لله على عباد الله، فالعباد محجوبون بأنفسهم عن مشاهدة ذات الله ﷻ، ويفترقا الحجابان إلى سبع حجب، ثم إلى سبعين، ثم إلى سبعين ألف حجاب من نورٍ وظلمةٍ، وأصلهن حجاب واحد ناري أو نوري، فمن دخل في ميم المحمدية، وحاء الحقيقة الحنيفية، وميم الملكية، ودال الديمومية، وألف الإحاطية، وحاء الأحمدية، وميم الملكية العبدانية، ودال العبودية، زُج زجة تبعية محمدية أحمدية، فخرق الحجب النارية الجسمانية والنورية الروحانية، ولحق بالإمامة المحمدية، والسيادة العبدانية، وتحقق بالخصوصية لسيد البرية إمام الملكية في الروحانية والآدمية في الإنسانية، فكثرة الأعداد في الحجب بكثرة التباس الأوصاف، والوقوف عند أحكام الصفات، فكل وصفٍ تُوصف به النفس حجاب كل صفةٍ تتصف بها الروح حجاب، فالحجب النورانية تجذب الروح للتنعُّم بها، والحجب النارية تجذب النفس لتتنعم بها، في نعيم الروح دون النفس عذاب النفس، وفي نعيم النفس دون الروح حجاب الروح، فنعيم الأرواح رفع الحجب الملكوتية، وكشف الأغطية الروحانية، وإيضاح الدرجات النورانية، وكشف أسرار الآيات الفرقانية، وتبيان العلوم الغيبية، وإيضاح اللطائف الفردوسية، وارتقاء المقامات العلية، وتلقيات العلوم اللدنية، وقبول الإفاضات الرحموتية، والإضاءات العرشية، وكشف الأغطية الحجابية عن البواطن النورية، ومعرفة الأرواح القدسية في العوالم البهائية قبل التنزل لمشابكة الجثمانية والبطون عن العوالم الروحانية، والظهور تحت أحكام الصفات البشرية والآدمية الإنسانية، ونعيم النفس دون الروح ببلوغ أغراضها الدنيوية الدنية، ومطالباتها الشهوانية، ولمحاتها الدركية، وآمالها البعدية، وأخلاقها الرذيلية، وأعرافها الأخسرية، ومطامعها الأقسامية، وتشوفاتها البهيمية، وكل ذلك بعد عن مقامات الروحانية النورانية، واستغراق في الحجابيات الظلمية، والمؤمنون تحرق أنوار إيمانهم كثائف حجابياتهم، وتخرق سهام أنوارهم حجابيات نفوسهم، فيمرقون من حجابياتهم كما يمرق السهم الثاقب، فتنعم نفوسهم وأجسامهم بتنعم أرواحهم، فتنعم جملتهم نفوسهم وأجسامهم وصدورهم وقلوبهم وأرواحهم وأسرارهم وأفئدتهم ظواهرهم وبواطنهم، كثائفهم ولطائفهم، دقائقهم ورقائقهم وحقائقهم، فينال كل جزءٍ وفردٍ من ذرات أجزائهم الظهارية والبطانية الجسمانية والروحانية أوفى نصيب، وأزكى حظ من أنواع النعيم، فكل رقيقةٍ لحقيقة

ودقيقةٍ لرقيقة تشهد في ذاتها من نعم الناعمين ما لم يبلغه أحدٌ من رقائق ذاتها لأحدٍ من العالمين، فتشهد الرقائق في ذواتها ترادف ازدياد النعم في كل زمن فرد متجدد، فترى أن الجنة بأسرها لها، وأن المزيد وارد عليها دون من عداها، وأنه لم يبلغ أحد في نعيم الجنة ما بلغت، ولم يعط أحد ما أعطيت، فتفوَّه بالحمد لله رب العالمين، والثناء[1] والشكر لأكرم الأكرمين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس: 10].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ [الزمر: 74].

وقال: ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 34، 35].

فالأبرار أهل اليمين، أدنى نعيمهم اشتغالهم بالتنعُّم في دار النعيم، وأعلاها كشف حجب التنعيم لمشاهدة البر الرحيم، وأما المقرَّبون فدائمون بمحاضرة الوجهة الجمالية، والحقيقة الرحمانية، والذات الصمدانية، والصفة الألوهية، فهم بين حجاب رحماني وكشف لاهوتي رباني، فبكشف الحجاب اللاهوتي يغرقون في بحر الوحدانية، ويفنون عن الأنانية، ويمحون من بين الملكية والإنسانية، فتُمحى آثارهم، وتُطمس أخبارهم، فتحرقهم أنوار اللاهوتية، وتصطلمهم سبحات الربوبية، فيفنون من بين الأكوان، وتستغرقهم حقيقة كان، قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن

---

(1) فائدة: قال الحكيم: وعلة الثناء فهو ترضٍّ وتملق وذلك من شأن الكبير أن تتوسل إليه بالمدائح والثناء ثم تعقُّب بسؤال الحاجة، أمّا شرح الثناء فقد فسّرناه في كتاب علم الأولياء.

وذلك علم لا يحتمله عقول العامة من قوله: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك إلى آخره؛ لأن علماء العامة إنما يفقهون من ذلك على قدر علمهم بربهم ليس لهم من علم الصفات إلا حروف المعجم المؤلفة؛ وإنما سميت كلامًا لأنها تُكلم القلوب: أي تؤثر بتلك المعاني على القلوب في الصدر فتصور الأمور في الصدر ثم يتصدر من الصدر إلى الجوارح أعمالاً بحركات الجوارح والسعي فالمعاني مفقودة إلا عند العلماء الحكماء الذين هم خاصة الله تعالى في أرضه وكل كلمة من هذا الثناء أعظم من السماوات السبع والأرضين السبع، وإنما خفت على القلوب لقلة علمهم بها.

وانظر: إثبات العلل (ص34) بتحقيقنا.

على ما عليه كان[1]».

وكتب في الذِّكر كل شيءٍ حتى الكيس والعجز فمن أحرقته سبحات الوجهة الإلهية، ومحقته أنوار الحقيقة الصمدانية، تحقق بالدخول تحت ظل ميم المحمدية، وشهدت لَه الحقيقة الربَّانية بخصوصية العبدانية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75].

وهو تعالى يختص برحمته من يشاء، ويؤتي ملكه من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، وما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا ممسك لها، وهو تعالى الفتَّاح العليم، ذو الفضل العظيم، لا إله إلا هو رب العرش الكريم.

فصل

اعلم أن الله تبارك وتعالى خلق أرواح العالم قبل أجسامه جليله وحقيره، قليله وكثيره، كليه وجزئيه، وعلم ما يكون من كل أحدٍ من صغيرٍ وكبيرٍ، روحانيٍ وجسمانيٍ، إنسيٍ وجنيٍ، حيوانيٍ ونباتيٍ، ومعدنيٍ وناريٍ، وهوائيٍ ومائيٍ، وترابيٍ من خلقه ورزقه وأجله وقوله وفعله ونيته وعقيدته ودينه وشرعته وصحته وسقمه، ولما خلق الله تبارك وتعالى أرواحهم في عالمه السمائي أظهرهم كالدر، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:172].

فمن أراد منه سرعة الجواب ألهمه البدار للنهوض بالجواب، ومن أراد منه التقاعد والتقاصر في الجواب حكم عليه بتأخر الجواب عن الأولين، ثم خلط الأرواح بعضها من بعضٍ في ذلك العالم، فشاهدت الأرواح بعضها لبعضٍ، فمنهم من شهد وجهه وجه آخر، ومنهم من شهد وجهه جنب وجه الآخر، ومنهم من شهد وجهه ظهر الآخر، ومنهم من شهد بجنب عينه جنب عين الآخر، ثم بثهم تعالى في خزائن مكنونات غيبه، وملكوتيات سماواته، فأرواح السعداء والمؤمنين في روضات جنات خلد ناعمين،

---

(1) ذكره ابن حجر في فتح الباري (289/6)، والذهبي في السير (474/18).

قائمة بحمد رب العالمين، ذاكرة لله سبحانه وتعالى مع الذَّاكرين، مسبحة مع المسبحين، فما تعلقت به القدرة الربَّانية، والحقيقة الصمدانية، وصرفته المشيئة الإلهية، تنزل للظهور، والتبس ثوبًا جسمانيًا، وأطمارًا طبيعيةً، فعميت عليه حينئذٍ الأنباء، وأظلمت على محله الروحاني النوراني حجابيات الظلماء، وخلق مجموع حقيقته من أطوارٍ شتى، ويغذى في بطن أمه من ألطاف الكريم بألطف غذاء، وتزايد خلقه ونما وكَمُل، وللخروج تهيأ ونزل إلى دار الفناء، ومحل الضنك والشقاء للأشقياء، والسعادة والكمال للسعداء، فترادفت عليه ظلمات الطبائع، وأجسام الغذاء، فحجبته الأجسام الطبيعية عن مشاهدة دار الرضوان والرِّضا، فاستولت على نفسه أهوية الشهوات لدار الدنيا، فمن بقي على صفاته وطهارة محله، وشريف لطيفه، وسني كشفه، شاهد ورأى وذكر محله الأزكى، ومقامه الأضوأ، ومنزله الأبهى، ومرتعه الأزهر الأذكى، ومشربه الأعذب الأحيا، ونهجه الأعطر الأرضا، في حلول دار الرِّضا، فذكر ولم ينس، وانفجر صبح ليله فأنور لَه وأضوأ، فشهد لَه من آيات ربه الكبرى.

فقد ورد في الأحاديث الصحيحة ما رفعه المحدثون الصادقون إلى البزار إلى الحاضر بين يدي رسول الله ﷺ قالوا: كنا جلوسًا بين يدي رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**يا أبا بكر تذكر يوم يوم**».

وفي رواية أخرى: «يوم لا يوم، فنظر الصحابة بعضهم إلى بعضٍ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أي وعيشك يا رسول الله؟ فقال لَه رسول الله ﷺ: أنبئهم، فقال: يا رسول الله، هو يوم الميثاق، فقال: نعم، قال: والذي بعثك بالحق نبيًّا لقد سمعتك وأنت تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني محمدًا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق نبيًّا لقد سمعتك وأنت تقول: صدقت يا رسول الله[1]».

فهذا التعارف الدنيوي ثمرة المعرفة والمحبة السابقة بينهما، فلم تغير الدنيا وتعلقاتها ما كان بينهما في ذلك العالم الروحاني، فأما سبق خلق الأرواح للأجساد فإن النبي ﷺ قال: «**إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام**[2]».

وأما تحقيق المعرفة في دار الدنيا فللمحاذاة والمساواة في المواجهة، والتناكر

(1) هو من الأحاديث المذكورة في كتب السادة الصوفية.

(2) رواه الديلمي في الفردوس (187/2).

بالعكس من ذلك، والتردُّد بحسب حال الانحراف والمجانبة.

قال رسول الله ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**[1]».

فبالتباس الصفات النفسانية للشخصين أو لأحدهما دون الآخر يحصل التناكر بين الأرواح؛ إذ لا مناسبة بين الأرواح والنفوس؛ فأرواح السعداء مؤتلفة بعض لبعضٍ، ونفوس الأشقياء متجانسة بعض لبعضٍ، فالسعداء أخلاء بعض لبعضٍ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: 67].

فالأخلاء قرناء بعض لبعضٍ، والأشقياء قرناء بعض لبعضٍ، فبرفع حجاب الغفلات للسعداء في الدار الروحانية والجنة الرضوانية، يشهد كل وليّ قرينه، فيشهد هذا الولي وجهه ووصفه وصفته في وجه قرينه، كما يرى الناظر في المرآة وصفه وصفته ووجهه من غير تبديلٍ ولا تغييرٍ، وبورود انفهاق أنوار النعيم على الولي وتزايده وورده، وازدياده على قرينه فهو أخ لَه على سرير ملكه، جالسٌ معه على بساط أُنسه، مشغولٌ بتلقِّي قبول إفاضات النعيم، والترقِّي في درج التفهُّم عن الغفور الرحيم، والعروج إلى حضرة القدس للمشاهدة والتكليم بحلول دار الرضوان، ونعيم مقامات الإحسان في درجات الجنات، جزاء لما قدمه من أعمال الإحسان والأقوال والأفعال.

قال الله تبارك وتعالى ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: 26].

فالحسنى: حلول دار الرضوان، والزيادة: مشاهدة جمال حضرة الربوبية، وذلك لكل ذي دارٍ وقرارٍ من أهل اليمين والأبرار، فكل أحدٍ منهم يشهد ربه في مقامه عند كشف حجاب النعيم عن محله، وانفهاق أنوار القرب من ربه لديه، والمقرَّبون ملاحظون مشاهدة الوجهة الربَّانية، مجالسون، مخاطبون، مكلمون ومحدثون، وتلك من حقيقة المواريث النبوية والاتباعات المحمدية، فهي حقيقة الوسيلة المبتغاة لسيد البرية، سيد ولد آدم في البدئية، وخاتم أنبيائه دون سائر البرية، صاحب الدعوة الكلية، المخصوص بلواء الحمد من البدئية إلى العودية، صلَّى الله عليه وعلى آله خير البرية.

---

(1) رواه البخاري (1213/3)، ومسلم (2031/4).

فصل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

فالمقرَّبون وهم خواص الأنبياء والمرسلين، وصفوة الأولياء والصديقين، وذوي الأقدام العلية من العارفين، هم العلماء بالله وخاصة عباده، كشفوا بالله فشهدوا نور الله، وسمعوا كلام الله، وتوجَّهوا إلى الله فنظروا إلى الله، وفهموا بالله، وفنوا في الله، فحيوا بالله ﷻ، فمن رأى الله ﷻ بالله رأى الله ﷻ نور السموات والأرض من غير تمثيلٍ، ولم يقف عند اسمٍ ولا صفةٍ ولا فعلٍ، ومن شهد رؤية الله ﷻ بالله رأى اسم الله ﷻ نور السموات والأرض، ومن رأى صفات الله بصفات الله رأى صفة الله نور السموات والأرض، ومن رأى أسرار أفعال الله بصنع الله رأى الله ﷻ منور السموات والأرض، واحتاج إلى ضرب المثل لضعف أمره.

فالكاشف بالله صاحب توحيد، فهو ممحو العين والأثر، فانٍ عما سوى الله، باقٍ بالله.

والكاشف نور الله بنور الله صاحب حق يقين، وهو العالم بحق العبودية.

والكاشف نور الله بتوفيق الله صاحب علم يقين، أو هو من الصديقين.

والكاشف نور الله بفضل الله ورحمته فصاحب عين يقين، وهو من الشهداء.

والكاشف نور الله بتنوير الله فصاحب علم يقين، وهو من المؤمنين الصالحين المسلمين، فالأولون أصحاب قُرب وتمكين، واللاحقون عن السابقين بالأولين أصحاب صدقٍ وتقربٍ وتأنيسٍ وتفهُّمٍ وتلقينٍ، والتالون لهم في الرُّتبة أصحاب فاروقيةٍ وأهل يمين، ومن يليهم في الدرجة فأصحاب إيمان وصلاح وتلوين، فالعلماء بالله هم المخلصون المقرَّبون، والعلماء بالله هم الصديقون العارفون، والعلماء بتوفيق الله وهدايته هم الشهداء المتَّقون، والعلماء بهداية الله هم الصالحون المسلمون.

فنور الله ﷻ زمَّ الكون زمامًا، وملأ الفوق والتحت والشرق والغرب وسائر الجهات، فلا تخلو ذرة من ذرات الأكوان عن الإحاطة النورية الربَّانية، علوية أو سفلية،

عرشية أو كرسية، سماوية أو أرضية، فهي حقيقة الوجهة اللاهوتية، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:115].

فالناظر لله بالله مشاهد لنور الله، والناظر لنور الله بنور الله كاشف للنور الإلهي بتوفيق الله، وكلا النظرين للمقرَّبين، فالأول موحد الله، والثاني عبد الله، فهؤلاء الذين لم يتوقفوا في نظرهم على ضربٍ من الأمثال، ومن دونهم معتضد بضرب مثل، ومتوقف على ضرب مثل، فصاحب حق اليقين لا يتوقف على ضرب مثل، وصاحب عين اليقين معتضد في نظره بضرب المثل، وصاحب علم اليقين متوقف نظره على ضرب المثل، كما في حق صحابة النبي ﷺ.

لما كان أبو بكر الصديق ﷺ صاحب حق يقين بادر بالتصديق للنبي ﷺ في كل خفيٍّ وجليٍّ من قولٍ وفعلٍ.

ولما كان عمر بن الخطاب ﷺ صاحب عين يقين ثبت في إيمانه حتى ظهر له فرقان الحق من الباطل، فحينئذٍ قوي إيمانه، واشتهر فرقانه، وسُمِّي الفاروق ﷺ، ولما كان عثمان بن عفان ﷺ صاحب علم يقين ظهرت عليه سمات الصلاح والتحقيق بلبسه حلل الإسلام، والتخلُّق بأخلاق أهل الكرم والإكرام، والاتِّصاف بحقيقة الاستسلام إلى أن حل دار السلام جوار ذي الجلال والإكرام، فكان من خواص المسلمين، وصفوة عباد الله الصالحين، ومترق إلى مقامات المؤمنين، ومتشبه بسمات المحسنين، مسلم مسلِّم مستسلم، ساكن تحت تصاريف المشيئة وجريان المقادير إلى أن لحق بصحبة سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فالمقرَّبون يشهدون نور الله من غير مانعٍ يمنعهم، ولا حاجبٍ يحجبهم عن النظر لوجهه الكريم، فهم موتى عن أغراضهم وشهواتهم وتعلُّقاتهم ومبتغياتهم، العاجلة والآجلة، الدنيوية والأخروية، قد قامت قيامتهم فهم أحياءٌ بالله؛ لموتهم عما سوى الله، فهم أبدًا بحضرة القدس حاضرون، وبشهادتهم قائمون، وعلى العكوف على صلواتهم دائمون، ولجمال الوجهة الإلهية ناظرون، أولئك هم الفائزون، ومن عداهم من الأبرار وأهل اليمين من المؤمنين والمسلمين عباد الله الصالحين، مضروب لهم المثل المبين على لسان سيد الأولين والآخرين، صلَّى الله عليه وعلى آله أجمعين.

فقال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: 35]، فالمشكاة عبارة عن حقيقة جسمانية لطيفة فيها مصباح، والمصباح عبارة عن حقيقة نورية يضيء نورها

ويتوقد مصباحها، وهي في زجاجةٍ، والزجاجة جسمٌ لطيفٌ شفافٌ، والمصباح يستمد منها، وهو الزيت المستخرج من شجرةٍ مباركةٍ زيتونة، لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها من صفاء جوهريته ولطافة جسمانيته ورقة حقيقته وإشراق ضيائيته يضيء من غير مماسة نارية، فيبدو نور الزيت الممد للمصباح ونور المصباح وصفا جوهرية جسم الزجاجة، فيكون نورًا على نورٍ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: 35].

كذلك التوحيد الموهبي من الله ﷻ لأوليائه وأصفيائه وأنبيائه ورسله وخواصه، فإنه ثابت في أصل حقيقتهم.

فهو نور الله المفاض عليهم، فأرواحهم مشكاة النور الإلهي الموهبي.

وهو المصباح والزجاجة قلوبهم، وقلوبهم من توقد الأنوار تضيء.

وهو الإيمان؛ إذ الإيمان نور الله المكنون في قلوب المؤمنين الذي كتبه الله ﷻ فيها، وأيَّدها بالروح.

وهو النور الربَّاني المركون في حقيقة روح الولي الثابت بالتوحيد، ومادته النور الإلهي المتنزل بواسطة النور المحمدي المخلوق أول كل شيء.

كما قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«**يا عمر أنا الذي خلق الله نوري قبل كل شيءٍ، فسجد لله في سجوده سبعمائة ولا فخر**[1]».

فهو النور الساعي بين يدي المؤمن يوم قيامته وبإيمانه، فنور الإيمان المكتوب في القلب وقر بتنزيه في الصدور، فظهرت عنه لبسة السكينة والوقار والخشية والخوف والخشوع والخضوع في القلوب، والنور المضيء في مشكاة الروح ظهر عنه البشر والسرور والفرح والرجاء والسكون والنشاط والانبساط، والنور المضيء في السر وهي الحقيقة ظهر عنه العلم والفهم والتذكُّر والتفكُّر والذِّكر والأُنس والرِّضا والتقى والعبودة، والنور الربَّاني المتجلي على لطائف الحقائق السرية، والأفئدة النورية المحمدية، ظهر عنه الفناء في بحر الوحدانية، والتحقق بالتوجه للصمدانية، ومشاهدة الذات الإلهية، ومكالمة الربوبية، وتلقِّي الإفاضات الرحموتية، وكشف الأسرار الربَّانية،

---

(1) أورده القسطلاني في المواهب اللدنية (71/1)، وعزاه لعبد الملك الطيبي في فوائده، وانظر: مواكب ربيع للحلواني (ص27).

وسماع كلام الفردانية، وغرق اللطيفة الإنسانية في الأنوار اللاهوتية، وبطون المحمدية في نور سلطان الوحدانية، والغرق في بحر الأحدية، والفناء في لجج الأزلية، واصطلام نار كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، فالزيت المضيء هو النور المقذوف من الله ﷻ، والشجرة الزيتونة حقيقة التوحيد بالله الثابت بالإلقاء الإلهي في حقيقة المؤمن الولي لله، والمصباح معرفة الله بتوحيد الله في سر المؤمن، والزجاجة حقيقة العلم الموهبي من الله المنور لروح المؤمن، المنفهق فيه، والمشكاة حقيقة القيام بالعمل بعلم الله، المكتوم المرقوم نورًا إيمانيًا في قلب المؤمن موهبة من الله؛ إذ القلب بيت الله، فالنور المفاض على الحقيقة الإنسانية الإسلامية الإيمانية الإحسانية العرفانية الاصطفائية العبدانية أضاءت منه وبه وله، وفيه الجملة الآدمية الجسمانية والنفسانية والجبروتية والملكوتية، الصدرية والقلبية، والروح الروحانية، والأسرار النورانية، والحقيقة العبدانية، الظهارية والبطانية، القائمة بحقيقة العبودية في المقامات الإسلامية والإيمانية والإحسانية والعرفانية والنبوية والرسالية، المتمحضة بحقائق الاصطفائية المحمدية الأحمدية، مرآة تنزلات الحقيقة الرحمانية الربَّانية، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فالله ﷻ نور السموات إلى أعلى عليين، والأرض إلى أسفل سافلين.

فاقتبس العرش من نور الله نورًا إفاضيًا، وضياءً رحمانيًا.

واقتبس الكرسي العزيز من نور العرش الإفاضي والضياء الرحماني نورًا قدسيًّا.

وروحًا فردوسيًّا روحانيًّا، واقتبس الشمس من نور الكرسي ضياءً إشراقيًّا، ونورًا ملكوتيًّا.

واقتبس القمر بقدرة الله ﷻ من نور الشمس نورًا تنعيميًّا، ووصفًا جبروتيًّا، واقتبس الكوكب من نور القمر نورًا رحموتيًّا، ونعتًا نفسانيًّا زكيًّا، فذوات الخواص والمرسلين مضيئة بنور الله ﷻ، فشرفوا بالعلم اللدني عن الله، والفهم عن الله، والرِّضا بالله، ومشاهدة الله، ومكالمة الله، وسماع كلام الله، وتلقي مواهب الله، والحضور مع الله، والتحقق بالفقر إلى الله، والإفاضة بمنح الله على عباد الله، والإخلاص لله، والقيام بحقوق الله، والتبعية لمحمد رسول الله ﷺ.

وأما نور الله ﷻ فلما ظهر عنه النور المحمدي ظهر الكون بأسره نورًا إفاضيًّا محمديًّا، فظهر بقدرة الله ﷻ عنه الحقيقة العرشية، فاستنارت بنورانيته الأسرار النورية

والأرواح القدسية، فكسيت أثواب جمال ورفعة وكمال وسرور وحبور وإشراقات إستبرقية، وإلهامات كشفية، وتنفسات روحية، وفطر نورانية، وأذكار رحمانية، نالوا بها المعراج الأعلى إلى المستوى الأقصى؛ إذ هو أعلى مقامات الإخصاء في درج الارتقاء.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 35].

فهذه مقامات أعلاها مقامًا مقام الذِّكر، وهو المستوى العرشي الذي ليس فوقه مقام، وإنما يقطع بعد المقامات الحجب الذي نطق بها رسول الله ﷺ، ووصف قطعها ليلة معراجه المشهور ﷺ.

وأما النور المقتبس من العرش وهو نور الكرسي العزيز، فإنه مشرق على قلوب الأولياء وأرواح العلماء، فنالوا بذلك نورًا أورثهم الخشوع والخشية والخوف والندم والقلق والخضوع والانكسار، ومداومة التدبُّر في آيات القرآن، وسؤال الرحمة والرضوان من الكريم المنَّان، وأورث بواطن قلوبهم، ولطائف أرواحهم انشراحًا وانبساطًا وسرورًا ورجاءً وقبولاً ورضا، وتفكُّرًا في آي القرآن الكريم، والكتاب الحكيم، تفضُّلاً من الملك الكري.

وأما النور المفاض على الشمس من عالم الكرسي، فإنه أورث صدور المؤمنين وقلوب المسلمين تيقُّظًا ونشاطًا في العمل، واجتهادًا في الطاعة، وتذكرًا في تلاوة آيات القرآن، ومبالغة في محبة رسول الله ﷺ.

وأما النور المقتبس من لدن الشمس إلى حقيقة القمر، فإنه أثار في نفوس المؤمنين زهدًا في الدنيا، ورغبةً في الآخرة، واجتهادًا في الطاعة، ومجانبة المعصية، ورجاءً للثواب، وخوفًا من العقاب، وركونًا إلى تلاوة القرآن، وتشوقًا لزيارة النبي ﷺ، والتجافي عن دار الغرور، وملامة النفس على التقصير في معالي الأمور.

وأما النور الكوكبي المقتبس من القمر للطائف النجوم والكواكب فهو النور الإسلامي، والفتح النوراني؛ للدخول في المقام الإسلامي، والتعلُّق النوراني، وهو المنهض للمتقاعدين، والمحرك للذاكرين، والمنبه للنائمين، والهادي للعمين عن القيام

لرب العالمين، وقيامهم بواجبات الدين، وهاديهم إلى صراط الله المستقيم، وراشدهم إلى السبيل القويم، ودليلهم على مداومة أمر الدين، وميسِّرهم إلى سلوك دراسة كتاب الله، فهو الحق المبين، والتوبة والاستغفار من الذنب العظيم، والاعتصام بحبل الله البر الرحيم، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101].

فالمعتصم بالله يعتصم بحبل الله، والمعتصم بحبل الله سالك صراط الله، والسالك صراط الله قائم بحقوق الله، ماش في نور الله، مقتدٍ برسول الله، والمقتدي برسول الله طائعٌ لله، والطائع لله محبٌّ لله، والمحب لله في كنف الله، مستغرقٌ في نور الله، والمستغرق في نور الله من خواص الله، وخاص الله حاضر مع الله، ذاكر لله، مشاهد لله، سامع كلام الله، ناطق بالله، متحرك بالله، ساكن بالله، فهو عود على بدء: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27].

فصل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: 36: 38].

فالأفئدة النورية بيوت التنزلات الرحموتية، والأسرار بيوت الإفاضات النورية، والعلوم اللدنية والأرواح بيوت المواهب الربَّانية بالإفاضات الإحسانية، والقلوب بيوت النفثات القدسية، والواردات الروحانية والأنوار الإيمانية، والتأييدات الروحية، والصدور بيوت الإلهامات الإسلامية، والانشراحات الضيائية، والبوارق النورانية، والنفوس بيوت الإضاءات الإسرائية، والتلمحات الأنحائية، والسبحات الإفضالية، والاستماعات الإرشادية الهدائية، والتنقُّلات الإزكائية، والأجسام بيوت الصفات الطبيعية، واللبس البشرية، والالتباسات النفسانية، والمشابكات الروحانية بوسائط الملكوتية، فالحقيقة الجامعة لما وصفناه تُسمي النفس باللطيفة الإنسانية، وبظهور صفة وصف منها في طورٍ من أطوارها تُسمَّى باسم الطور الظاهر على بقية أطوارها، وهنَّ

بأسرهنَّ بيوتٌ مرفوعةٌ مشرفةٌ مكرمةٌ بالنسبة الآدمية على سائر أجسام الحيوانية البهيمية، والتشرُّف بالإسلامية والإيمانية والإحسانية والعرفانية، والنبوية الاصطفائية، والرسالية الاختصاصية.

فلكل طورٍ منها معراج نوراني، ومقام سماوي، فأول البيوت للمفطورين على الفطرة الإسلامية.

فالذاكرون فيها ذاكرون لله بسم الله على فطرهم الإسلامي، يسبحوه بالغدو والآصال على ما أولاهم من الإفضال، فبنور ذكرهم اسم الله تشرق عليهم أنوار الذِّكر والتسبيح، فترفعهم إلى حقيقة المقام الإسلامي، وهو البيت الصدري الجبروتي، فيذكرون الله ﷻ في هذا البيت باسمه، ويسبحونه بالغدو والآصال، فتشرق عليهم أنوار الذِّكر والتسبيح، فيرفعهم إلى مقامٍ ثالثٍ، وهو البيت القلبي الملكوتي، فيذكرون الله ﷻ في هذا البيت باسمه، ويسبحونه في حالتي غدوهم وآصالهم، فتستنير قلوبهم، وتتنزل عليهم السكينة، ويسوي ويعدل لكتبه الإيمان فيه، فتشرق فيه الأنوار، وتظهر فيه أزهار الأثمار، فيتصف بالأوصاف الإيمانية، فتتضاعف أنواره، وتتزايد أضواؤه وأقماره، فيرتفع إلى مقامٍ رابعٍ وهو البيت الروحاني، فيذكر الله ﷻ فيه باسمه، ويسبحه بنعوت قدسه، فتنشرح روحه، ويشرق لطيفه، ويرتع في رياض الجنة، ودار الرضوان، ومواطن الإحسان، وطرقات الغفران، سارحة في حدائق الروح والريحان، وجنة العرفان، ويعرجون رقيًا، ويُرفعون مكانًا عليًا إلى مقام الأسرار النورانية، والمواطن العرفانية، واللطائف الروحية، والمناهل الأقدسية، وهو البيت السري، والعالم الأمري، فيذكرون الله ﷻ باسمه الأعظم في هذا المحل الأكرم، ويسبحونه تسبيحًا يليق بجلاله الأنفس الأعظم بلائق الجلال والجمال والفضل والرحمة والجود والكرم، فينفهق عليهم في هذا البيت السني، والمحل البهي الرضي، أنوار السبحات وإفاضات الكرامات، وكرائم التنزلات بالإفاضات الرحمانيات، والمواهب الربَّانيات، فترفعهم إلى السلوك العبداني، والإتباع المحمدي الرضواني، فيدخل في ميم المحمدية، ويتَّصف بالصفة العبدانية، ويتأهب بالتسوية والتعديل للنفح الربَّاني، ويتلقَّى قبول وارد تنزل الكلام الفرقاني، ويشاهد في توليته الوجهة اللاهوتية، ويخاطب الحقيقة الصمدانية.

فهذه لطائف البيوت النورانية من الإسلامية والإيمانية والشهيدة والإحسانية، والعرفانية الإنبائية، والإصطفائية الرسالية، والاختصاصية المحمدية، فمن هو من أهلها

لحظ بحقيقة الاختصاصية، وهو وحينئذٍ من خاصة الأمة المحمدية، فحينئذٍ يُوصف بالرجولية بتحققه بقيام همته العلية، ومبالغة في نعوت الفحولية، ومضاهاته بالقيام بحقيقة العبودية، وتخلُّقه بالأخلاق الملكية، وغوصه في بحر الوحدانية، وركوبه في فلك الرحموتية، وتجرده عن أثواب السوائية، وفنائه في الصفات الإلهية.

فهذه صفات الرجال المذكورين في محكم القرآن، ومن عداهم فظاهرهم رجال وليسوا في الحقيقة من رجالٍ، فكم من مؤنث الخلقة وهو فحلٌ في العزيمة، وكم من فحلٍ في الخلقة الجسمانية وهو مؤنث المعنى، وقد وصف الله تبارك وتعالى الرجال في مواضع كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: 46].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: 23].

والرجال على الحقيقة من لا تلهيهم لاهيات الدنيا والآخرة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

واللهو ما ألهى الإنسان وشغله عن أمرٍ سواه، فمن ألهته الدنيا شُغل بها عن الآخرة، ومن ألهته الآخرة بنعيم حياتها ألهته عن مشاهدة جمال الحضرة الإلهية، فالرجال المتحققون لا يلتهون بالدنيا ولا بالأخرى، فهمَّتهم مولاهم، ومحبته هواهم، وقُربه رضاهم، فالدنيا عرضٌ لا تلهيهم التجارة بها، ولا الاستغراق فيها، ولا بيع عرض من عروضها عن ذكر الله، فذكرهم لله ظاهرٌ وباطنٌ، فظاهر قولاً وفعلاً، وباطن علمًا وعملاً وتمعُّنًا ومشاهدةً، فلكل طورٍ من الأطوار بيتٌ من البيوت التي وصفناها، وله ذِكرٌ يليق بذلك الطور في ذلك البيت لذلك الصلاة، لكل طورٍ من الأطوار صلاة معنوية في بيتٍ مختصٍ بذلك الطور، وقد تقدَّم ذكر الصلوات واختلافها في الأطوار، مع أن الحقيقة الإنسانية اللطيفة النورانية لها أن تصلي جميع الصلوات المحمدية بحقيقتها، جمع الصلوات في الصلاة المشروعة، فإذا أتى المحمدي بصلاةٍ مشروعةٍ بأدبٍ وحضورٍ، ووقوف بالعبدانية بين يدي الصمدانية، صلَّى بصلاته جميع عوالمه وأطواره ولطائفه

ورقائقه، وجميع حقيقته، فتعدل صلاته صلاة الأمم دونه؛ إذ الأمة المحمدية جامعة حاوية محيطة بحقيقتها لجميع الأمم السالفة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**آدم فمن دونه تحت لوائي**[1]»، وأراد بذلك من حيث عموم دعوته العامة لسائر الأمم من دخل في دعوته ومن لم يدخل، فمن دخل في دعوته وأجاب وأطاع أمره كان شاهدًا لَه، ومن نكص ونكل عن دخوله في دعوته وخرج عن محبته كان شاهدًا عليه، وهو مبشرٌ للأول، ونذيرٌ للثاني، ومن أجاب دعوته فوقف عند قسمة من أخذ نصيبه وقيامه في مقامه صلَّى وذكر الله تعالى، وسبحه في ذلك البيت ولم يتعداه، فالمحمدية حقيقة شاملة جامعة لجميع النعوت من النبويات والرساليات، فجميع المقامات ضمن نبوته ورسالته، فالمقام موطنًا إبراهيميًا، وباطنه الصلاح، وهو نتيجة حقيقة الاتصاف بالصفة الإسلامية، وهو الذي سأله ملوك الدنيا من الأنبياء سلام الله عليهم، كيوسف الصدِّيق عليه السلام.

قال الله تعالى إخبارًا عنه: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف: 101].

وكالنبي الكريم سليمان بن داود عليه السلام حين قال عند سماعه قيل النملة، وتبسمه ضاحكًا من قولها: ﴿**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النمل: 19].

فيوسف عليه السلام سأل التوفي مسلمًا واللحوق بالصالحين، وسليمان عليه السلام سأل الدخول في عباد الله الصالحين، والنبي ﷺ لما خلع عليه ربه ﷻ خلعة السلام، وتوَّجه تاج الإنعام والإكرام، نشر على أمته والداخلين في شرعته ودعوته رداء الرحموت، ولم يختص به دون من سواه من أهل عالمي الملك والملكوت، فقيل لَه: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**».

فالصلاح نتيجة المقام الإسلامي، ويليه في الدرجة المعراجية المقام الشهيدي باطن مقام الإيمان، وهو الموطن الموسوي، وهو ضمن المحمدية، وهي محيطة بهن، وتليهن الدرجة المعراجية في البطون، وهي الرُّتبة الصديقية، وظاهرها رُتبة الإحسان.

---

(1) رواه أحمد في مسنده (281/1).

فباطن رُتبة الإحسان رُتبة صديقية، وظاهرها رُتبة إحسانية تليها في الرُّتبة المعراجية درجة سمائية ظاهرها عرفاني وباطنها نبوي، فالرُّتبة الإحسانية هو المقام العيسوي.

وأما الرُّتبة العرفانية ظاهر النبوية فهي رُتبة أحمدية الظهور، محمدية البطون.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69].

فأول المنازل التنزيلية مرتبة النبوية، ثم دونها في الرُّتبة رُتبة الصديقية، ثم دونها في الرُّتبة رُتبة الشهيدية، ثم دونها في المنزلة رُتبة الصلاحية.

فكل رسولٍ نبي، وكل نبيٍّ صديق.

وكل صديقٍ شهيد.

وكل شهيدٍ صالح.

وكل صالحٍ مسلم.

وكل شهيدٍ مؤمن.

وكل صديقٍ محسن.

وكل نبيٍّ عارف، فمن عرف الله قام بعبادته حق عبادته.

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، فالمعرفة تلازم العبادة.

وقد قال أحد المفسرين ﷺ: إلا ليعرفون، ولا ينكر أن العبادة إذا تأيَّدت بالمعرفة كانت أزكى من عبادة بغير معرفةٍ.

وقد حرص رسول الله ﷺ على التأكيد في طلب المعارف فقال ﷺ:

«**من عرف نفسه عرف ربه**[1]».

وقال: «**من عرف الله كَلَّ لسانه**[2]».

وقال: «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**[3]».

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (343/2)، والقاري في المصنوع (189/1).

(2) ذكره القاري في المصنوع (189/1).

(3) هو من الأحاديث التي ذكرها السادة الصوفية، وهو صحيح عند أرباب المكاشفات، كالأحاديث السابقة.

وقال: «**أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خشية**[1]».

وقال الله تبارك وتعالى تنبيهًا وتبيينًا لمن لم يتبصَّر ويتفكَّر ويتفهَّم ويتعلَّم فقال تعالى: ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: 21].

وقال تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم**﴾ [الروم:8].

فمن جهل نفسه فهو لغيره أجهل، ومن عرف نفسه فهو بغيره أعرف، فالصلاة لها أحوال ثلاثة[2]: فهي في ظاهر الشريعة المحمدية مقيَّدةٌ بالأوقات الخمس، وهي صلوات خمس، وهي في المعني أصلها في العالم الملكوتي السمائي خمسون صلاة، كما ورد في ليلة إسرائه ومعراجه ﷺ أنها خمس وهي خمسون، وذلك ظاهر في التضعيف بقوله تعالى:

﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام: 160]، وهي في أصلها الحقيقي صلاة جامعة للخمس صلوات، فإن الدائم على صلاته ووجهته لربه وحضوره بين يديه مصل على الدوام من غير توقيتٍ؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ [المعارج: 23].

وقال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [المزمل: 20] [3].

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (231/1).

(2) قال سيدي علي وفا: الصلاة صلة بين العبد وربِّه في كل مقامٍ بحسبه، فيا أيُّها المريد تجريد همَّتك عن التعلُّق بالشهوات، والحظوظ النفسانية طهارتك، وحسن خدمتك قيامك، وصدق حبِّك نيَّتك، والحق المبين المتعين لك بناطق أستاذك متوجِّه قلبك، وصورة كون أستاذك قبلة حركتك، وشهود جلالة أستاذك في كل حالٍ لسان مناجاتك لربِّك بلسان ربك، ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم﴾ [النور: 63].

فإن مناجاته بلسان العوائد عمدًا وغفلةً عن لسان المحامد مُبطل للصلاة، وعلى هذه الطريقة تأتي صلاة أهل الحقيقة، وربَّ صلاةٍ لا ركوع فيها ولا سجود؛ إنما هي مناجاة وشهود.

قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: 24].

(3) قال الحكيم الترمذي: أول منازل القربة الإيمان بالله، فهذه قربة العامة فإذا تخطاها فلن يتقرَّب إلي الله بشيء مثل الفرائض.

وذلك قول رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربِّه تبارك وتعالي أنه قال:

«ما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل ما افترضت عليه، وإنه ليتقرَّب إليَّ بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه، وما يتقرَّب إليَّ بشيء من النوافل أحب إليَّ من النصيحة، فإذا أحببته كنت عينه التي بها يبصر، وسمعه الذي به يسمع، وفؤاده الذي به يعقل، ولسانه الذي به ينطق، ويده التي بها يبطش، =

ووصف المقيمين للصلاة بقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: 277].

فمنتظر الصلاة بعد الصلاة مصل له، وما بين الوقتين هو مصل فيه، فالأوقات وإن تعددت فهي متحدة نظرًا لمراقبته وانتظاره للصلاة، ودوام توجهه بقلبه، وحضوره بين يدي ربه، ومشاهدته ومناجاته بقراءته وذكره، وتسبيحه وتقديسه، ودعائه وسؤاله، وصلاته على النبي ﷺ، فمن قام بحقيقة الصلوات المشروعة، وأتى بالصلوات الخمس

ورجله التي بها يمشي، فإن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته».

فقد اشترط إذًا الفرائض في مبدأ الأمر وهي إقامة الأمر والنهي، ففي إقامة الأمر والنهي أداء ما افترض الله عليه ولا كون مؤدِّيًا حتى يتم الفرائض.

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليصلي الصلاة وما يُكتب له ثلثها وربعها وخمسها حتى ذَكر عُشرها».

وقال في حديث آخر: «لا يكتب له ما سها عنه».

فالمحدِّث عنه في صلاته ليس بمؤدِّي لفريضته في باب القُربة، وفي باب الحكم هو مؤدٍّ غير مأمورٍ بإعادته، والحكم للعامة والقربة للخاصة، فمن طلب القربة؛ فإنما ينالها حتى ينقطع منه حديث النفس في الصلاة، ومحالٌ أن يكون المقرَّب يناجي ربَّه بلسانه وغائبٌ بقلبه، ولا يقول بهذا إلا جاهلٌ لا يعرف ما القربة، وإنما سمع اسمًا فنطق به، والمؤدِّي لجميع الفرائض إنما يكون مؤديًا إذا وفَّى الأداء علي ما وصفنا من ذكر الصلاة.

وكذلك الزكاة وكذلك الصوم والحج والعمرة.

ألا تري أنه قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة:83] في جميع المواطن التي ذكرها في التنزيل، ولم يقل: «صلوا».

وقال: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:83] ولم يقل: «زكوا».

وقال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:196] ولم يقل: «حجُّوا واعتمروا».

وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ [الحج:78] ثم لم يتركهم رذالاً حتى قال: ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾.

وقال في الصوم: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ [البقرة:186] فابتغى منهم الكمال.

وقال في قُربة الأمر؛ وهو الإيمان: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء:136].

ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:2] إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:4].

فالمؤدُّون لفرائض الله هم الواصلون إلي حقائق الأمور، فإذا كان مؤدِّيًا للفرائض علي هذه الصفة؛ نال القُربة، والقربة لها منازل، ثم يتخطَّاها إلي وسائل، فأهل الوسائل في ملكه ومن دونهم في معسكره، فإنما تكون النوافل بعد إتمام الفرائض، فإذا أدَّى الفرائض قُبلت منه، فهناك بعد القبول تكون النوافل، ولا تكون نافلة حتى تؤدَّى الفريضة، فإذا نال القربة في المعسكر؛ قوي علي أداء الفرائض وهو إقامة الأمر والنهي؛ فهناك سعد بعد ذلك بالأعمال الصالحة، وأحب النوافل إليه النصيحة له.

في أوقاتها، وبالمداومة عليها في باطن أمره، فقد أحرز الخمسين صلاة المعنوية السمائية، والخمس صلوات الشرعية المحمدية، والصلاة الحقيقية العبدانية، وكان من المنعوتين بالذين هم على صلاتهم دائمون، فالصلاة المشروعة في الظهور خمس هي الصلوات الخمسين المشروعين في البطون، قال الله تبارك وتعالى:

«**هي خمسٌ وهي خمسون لا يُبدَّل القول لديَّ**[1]».

ولما تأدى الواجب بالخمس عن الخمسين وجب على من ملك مالاً دنيويًّا إخراج خمسه بعد كمال النصاب في حقه، وكما بين فمن نال غنيمة في جهادٍ من الكفار وجب عليه إخراج خمسها.

قال الله ﷻ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41].

وكذلك في استخراج الأموال المعدنية فإنه يجب إخراج نصف عشرها منها، فالرجال المذكورة آنفًا مقيمون الصلاة، مؤتون الزكاة، فمن ملك منهم عرضًا دنيويًّا قام بإخراج الزكاة الواجبة الشرعية عنه، ومن منح بكرامة وموهبة ربَّانية أفاضها على عباد الله المؤمنين فأقل إتيانهم لعباد الله خمس ما يؤتون من فضل الله، من نيل الثواب والعطايا والمواهب والكرائم والإنعام والإكرام، فمن تمسَّك بعرضٍ دنيويّ أو ثوابٍ أخرويّ أخرج خمسه، ومن تمسَّك بالله دون كل شيءٍ خرج عن كل شيءٍ سوى ربه، يقول الله ﷻ لداود عليه السلام: «**يا داود أنا بُدُّك اللازم، فالزمْ بدك فإن حصلت لك حصل لك كل شيءٍ، وإن فتك فاتك كل شيءٍ**[2]»، فمن حصل له الله ﷻ حصل له كل شيءٍ، ومن فاته الله فاته كل شيءٍ، ولم يدخل هذه الرُّتبة سوى رسول الله ﷺ، فإنه لما تحقق بالفقر إلى الله دون كل شيءٍ استغنى بالله عن كل شيءٍ، فحينئذٍ افتخر بالفقر فقال: «**الفقر فخري**[3]»، ومع تحققه بالتوجُّه إلى الله، وغرقه في محبَّة الله، وقُربه من الله، ومداومة حضوره مع الله، ومعرفة كرامته على الله، واختصاصه واصطفائه ودنوه وتدليه عند الله،

---

(1) رواه البخاري (136/1)، ومسلم (148/1).

(2) تقدم تخريجه.

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفا (113/2)، وابن حجر في تلخيص الحبير (109/3).

هو دائم المراقبة لله، والأدب مع الله، والتعظيم لله، والخشية لله، والخوف من الله، فخاصته من أمته القائمون بشرعته، الحافظون لشرعته، متابعون لحده ونقل قدمه وخطوته، مثابرون على القيام بمحبته، ولزوم خرقته، وسلوك محجته، صلَّى الله عليه وعلى آله وعترته وعشيرته.

فقال ﷺ: «**أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خشية**[1]».

فالرجال الموصوفون جزعون هلعون النفوس من قهر سيف سلطان الله قلقة، فرقة صدورهم، خائفة وجلة قلوبهم من الله ﷻ، فالخوف يلازم قلوبهم، والرجاء يطمئنها، فهي بين خوفٍ ورجاءٍ، فمن غلب عليه تمسك المقام الإسلامي غرق في بحر الخوف من الله، ومن أشرف على محله النور الإيماني حصل لَه رجاء الرحمة، ونيل الفضل والكرم من ربه، فيستوي في قلبه حالتي الخوف والرجاء، فهو إذًا من المتَّقين المؤمنين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: 201].

وقال رسول الله ﷺ: «**لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا**[2]».

فخوف العقوبة على الذنب بالمخالفة أو التقصير، والتقاعد عن البدار في امتثال الأمر الواجب عليهم يمنعهم من الوقوع في الحالة الراهنة فيه، فيومهم الحاضر يوم عمل، ويومهم الآجل يوم جزاء بنيل نعيم ثوابًا، وعكسه والعياذ بالله لمن تقاعد عن طاعة الله عقابًا، وهو اليوم الأخروي في القيامة الكبرى، أجارنا الله من هول ذلك اليوم وجميع المسلمين، فإنه يومٌ مهولٌ، فمن هوله تتقلب فيه القلوب والأبصار، فقلوب الأبرار والمتقين تنقلب من محلٍ أعلى إلى محلٍ أعلى وأعلى، ومن مقامٍ أسنى إلى مقامٍ أزكى وأسنى وأبهى، فهي متقلبة في درجات النعيم، ومطالع درج التفهيم، ومراتع الإفضال والتكريم، قد نالوا من ربهم الفوز العظيم، وتقلبت أبصارهم من نظرها الفاني للباقي، ومن نظرها في دار النقص والخسران للكرائم في دار الأمان ومحل الرضوان، وتمتعها بالكواعب الحسان، وإشراق أنوار بصائرها المشرقة بمداد نور الإيمان، ومعاريج درج الإحسان، وفي حق الأشقياء أعاذنا الله من رذيل أحوالهم، تتقلب قلوبهم

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه البيهقي في الشعب (12/2).

من النور إلى النزول في دركات الظلم، وسترهم الحق بلبسهم الباطل، وكتمهم ما كانوا يشهدونه بنور الفطرة، فتردى قلوبهم في دركات الهاوية، وتبطن أنوارها، وتظلهم ظلم نفوسها، وتستغرقها أهويتها وشهواتها، فتعمى أبصارهم، وتظلم بصائرهم، وتنقلب من التبصرة إلى العماء، ومن الرُّشد إلى الغي والهوى، فيجازون أعمالهم المردية في قعر سجين، ومقارنة حزب إبليس اللعين، فتهلك الأشقياء الفجار بعذاب النار، ويفوز السعداء الأبرار بحلول دار الرضوان، وهي لهم دار قرار، وذلك جزاء لما أسلفوه وقدموه في يوم دنياهم، فجوزوا عن ذلك في يوم أخراهم، ويسرفون بزيادة التكريم والتفخيم والإنعام، والفضل العظيم بالنظر لوجه الرب الكريم، والحضور مع الغفور الرحيم المنعم الكريم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، فينالون المواهب الربَّانية، والإفاضات النورانية، والمقامات الإحسانية، والفتوحات الرحمانية، والعلوم اللدنية، والفهوم الكشفية، والاطلاعات الغيبية، رزقًا من البر الرحيم، المنعم الكريم، ذي الفضل العظيم، وهو تعالى يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، فهذا العطاء الجزيل، والإفضال الجميل، ليس في مقابله عمل ولا ثواب على تقدم قيل، ولا فعل ولا محسوب لَه في جزاء أعماله من أقواله وأفعاله وأحواله، وإنما ذلك تكرُّمًا وتفضُّلاً من الله تعالى، والله يرزق من يشاء بغير حسابٍ.

قال رسول الله ﷺ: «**لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**[1]».

فصل

ولما كان النبي الكريم، والرسول المختوم المخصوص بالخطاب والتسليم، محمدًا ﷺ صاحب الإحاطية، والأنوار الإفاضية، والشرف في الظهارية والبطانية، ويومه حاوٍ لجميع الأيام الكلية والجزئية، فالأيام مفصولة من يومه، والأزمنة والأوقات مفتوقة من رتقه، فلكل يومٍ مفصولٍ كلي أو جزئي نسبة من يومه الفصلي، بطاني وظهاري، فبطنانه منعوتة التفصيل المنسوب إلى العدد الظهراني، والفصل الحسباني، ففي الظهور نسبته العددية ماشية على سير أزمنه مضين لأولي العزم من الأنبياء وغيرهم، كآدم ونوح

---

(1) رواه مسلم (2169/4)، وأحمد (256/2).

وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، فللآدمية من اليومية المحمدية ما أخبر به رسول الله ﷺ في أعمار أمته في غالب الأمر في الدار الدنيوية، فقال: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين**[1]»، فهو سبع سبع اليوم المحمدي الظهور الربَّاني البطون.

وللإبراهيمية عليه السلام من نسبة اليوم سبع اليوم الآدمي، ونسبته من طهارة اليوم المحمدي سن التمييز، والأمر بالقيام بمشروعية الصلاة والحث عليه، والتأثيم على الترك والإهمال، والأدب الشرعي من المولى على المأمور بالفعل.

وللموسوية سبعة أسباع هذه النسبة الإبراهيمية في اليومية العددية، وللتوحيد من هذا اليوم حصة نسبته من ظاهر اليوم المحمدي، وكان يومه سبع اليوم المحمدي في الظهور الآدمي في البطون من حين خلقه إلى حين بعثه، وكان لعيسى عليه السلام من ذلك اليوم نسبة يومية هي سبع هذا اليوم النوحي البطون المحمدي الظهور.

واليوم السليماني نسبته من برازخ الأيام بحكمه وتصرفه في نفوس الجان، ويتفصَّل التفصيل في الظهور إلى يومٍ هو سبع سن الحس البشري، وهو المعنى به العام المشتمل على اثنا عشر شهرًا عددية لا مزيد عليها.

قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [التوبة: 36].

فالعام من الأيام الداخلة تحت الحصر العددي ثلاثمائة وخمسون يومًا، جزئه في مقابلة اليوم الكلي الذي مقداره ثلاثمائة ألف سنة وخمسون ألف سنة من أيام الدنيا، وهو يومٌ من أيام السر الذي ينقسم إلى سبعة أسباع، كما سبق ذكره ووصفه ونعته، فهذه الأيام الجزئية ظلالاً حجابية على الأيام الكلية، مجموعة أزمتها بسر فيض القدرة الإلهية ضمنها، فهي كالدائرة الصغرى الجامعة لحقائق الدائرة الكبرى، فهي كالنقطة الكبرى وسط الدائرة، وكل جزءٍ منها يقابل جزءًا من الدائرة الكبرى، فمن ألهمه الله ﷻ رشده، وهداه صراطه، ووفَّقه لمعرفته، وأشغله بعبادته، وأقامه لخدمته وامتثال طاعته، ومجانبة مخالفته، واختصَّه بفضله ورحمته، وصرفه عن أغراضه وأهويته، وعرَّفه بنفسه وبصره بعيوب نفسه، وجنَّبه الوقوع في مهالك نفسه، فأشغل بدنه بالقيام بالعمل الصالح، وشرح صدره للإسلام باستسلام حقيقته لأمر ربه، والخروج عن حوله وقوته،

(1) رواه الترمذي (553/5)، وابن ماجه (1415/2).

ودعوى طوله، وألزم قلبه الخوف والخشية من ربه، فلزم ذكره وأنس به، واستوحش من سواه، وروح روحه بنور التوحيد، والتفكُّر ودوام التذكُّر في آي القرآن، وتلقيات أنوار الإحسان المتنزل نوره عليه من دار الرضوان، وإفضال فيض رحمة الرحمن، ومواهب الكريم المنَّان، وأحضر سره لشهود الربوبية، والإقبال لقبول العلوم اللدنية، والإفاضات الرحموتية، وألقى نفسه طريحًا بين يدي عزة الألوهية، وجمال الربوبية، فمن فعل ذلك فقد فاز بالدخول في ميم المحمدية، والزمرة الاصطفائية، فاندرج دهره في عامه، وعامه في شهره، وشهره في جمعته، وجمعته في يومه، ويومه في ساعته، وساعته في وقته، فوقته أبديًّا بتفصيله، وفتق رتقه أزليًّا لرتق فتقه، فظاهره أبديًّا، وباطنه أزليًّا، فهو صاحب وقت لا انفصال فيه، فهو لا يلاحظ وقتًا من الأوقات التفصيلية، وإنما ملاحظته لموقت الأوقات، وهو في الحقيقة صاحب الوقت الذي وقع لكثيرٍ من العلماء، إن صاحب الوقت يظهر في أخريات الزمان في وقتٍ مخصوصٍ، وأنه المعني به القائم بالأمر، وقيَّدوا خروجه بشروطٍ تظهر لَه وعلى يديه، وذلك قصور في النظر من كثيرٍ منهم، وإنما صاحب الوقت هو القائم بأمر الله، وما جاء به رسول الله ﷺ، وهو الوارث للأنبياء العلم الربَّاني، والكشف الفرقاني، والفيض الرحماني، والنور المحمدي، والمواهب الرحمانية، والعلوم اللدنية، والأحكام الشرعية، والإفاضات الرحموتية، والفتوح الغيبية، والفهوم القدسية، والمنح الإلهية، والانفهاقات الصمدانية، والاستغراقات التوحيدية، والاستغراقات الفردانية، والتصريف في الأكوان بالله، فهو الناظر بالله، الناطق بالله، السامع من الله، الحاضر مع الله، الذاكر لله بالله، الغوث لعباد الله، الرحمة لعيال الله، الهادي إلى صراط الله، الدَّال على الله، الموصل إلى الله، البشير لأولياء الله، النذير من مخالفة الله، المرشد إلى طاعة الله، المحذر من مخالفة أوامر الله، فذلك هو المحقق بأنه القائم ظاهرًا وباطنًا، فبظاهره عمارة العالم البرزخي ظاهر العالم الأخروي، وبفضل الله ورحمته المتنزلة على يديه عمارة العالم الأخروي.

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

صلَّى الله عليه وعلى آله أجمعين[1].

---

(1) جمع هذه المعاني الشيخ الأكبر في صلاته على النبي ﷺ بقوله: «الدرة البيضاء، والياقوتة الحمراء»: فأراد بالدرة البيضاء الحقيقة المحمدية وبالياقوتة الحمراء العالم كله.

فكان هو القبضة الأحمدية والحقيقة النورانية المحمدية واللطيفة الربانية والياقوتة الفريدة الشعشعانية والدرة المشرقة البيضاء والجوهرة العظيمة الفيحاء التي هي أول مخلوق وأكرمه وأجله وأشرفه وأعظمه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ولا يدري ما حوته من الكمالات إلا جنابه وعلاه والنور الشعاعي الوجودي المفاض المنبسط بعد على كل الكائنات الذي هو نور مطلع جميع المخلوقات بالنسبة إلى هذا التجلي الأول الوجودي الذي هو نوره ﷺ المعين الشهودي كلمعة خفيفة وبارقة حفيفة كما أن النوراني بالنسبة إلى الكوني كلمعة من جنابه شارقة وقد خلقه سبحانه على صورته وأودعه كل عوالمه وخليقته وخلق كل حقيقة فيه من حقيقة من حقائق أسمائه وصفاته وخلقه هو من نفسه وذاته وجعله واسطة بينه وبين جميع الموجودات في الإيجاد والإمداد وجميع المطلوبات يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من الرقائق التي أمده بها المعبود وجعل له سبحانه وتعالى نسبتين لأنه مخلوق منه وذاته تعالى جامعة للضدين:

إحداهما: نسبة الجمال والنور ومنها خلقت الأرواح المهيمة وجميع الملائكة المعظمة ومن ضاهاهم بل والأرواح كلها والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها.

والثانية: نسبة الجلال والظلام والضلال ومنها خلقت الأجسام الظلمانية كإبليس وأتباعه من الشياطين وسائر الأجسام الكثيفة والجحيم ودركاتها، كما أن الجنة والنار وجميع درجاتها خلقت من النسبة الأولى وهي النورانية وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان أول موجود وأفضل كل مشهود انصب فيه بحكم محبة الحق إياه المحبة الكاملة الأكملية جميع ما أراد تعالى إبرازه للوجود من الجواهر والأعراض والمنح والمواهب وجميع آثار الكرم والمجد وجميع آثار السطوة والقهر فجمع سبحانه وتعالى فيه جميع ما ذكر إجمالاً وتفصيلاً ثم جعله منبعا وعنصرًا لجميع ما يصل إلى الأكوان من جميع ما ذكر جملة وتفصيلا أزلا وأبدا ومن المحال بحكم المشيئة الإلهية أن يبرز شيء في الوجود جوهرا كان أو عرضًا أو غيرهما مما دق أو جل خارجا عنه ﷺ.

قال الجيلي في كتاب «الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم» ما نصه: الحقيقة المحمدية خلق العالم بأسره منها لما ورد في حديث جابر أن الله تعالى خلق روح النبي ﷺ من ذاته وخلق العالم بأسره من روح محمد ﷺ فمحمد ﷺ هو الظاهر بالمظاهر الإلهية، ألا ترى إليه ﷺ كيف سري بجسمه إلى فوق العرش وهو مستوي الرحمن ، انتهى.

وقال في «جواهر المعاني» نقلاً عن شيخه أبي العباس التيجاني بعد ما ذكر عنه أن للحق تعالى تنزيلين تنزلاً أوليًا وهو تنزل وجود الذوات وهو المقتضي لوجود الخلق عمومًا، وخصوا جملة وتفصيلاً من أول وجود العالم إلى الأبد، وتنزلاً ثانويًا، وهو تنزله بفيض الرحمة الإلهية المسماة بالنفس الرحماني ما نصه: وهذا التنزل الثاني والتنزل الأول كلاهما مجموعان في الحقيقة المحمدية فإنها أول موجود أنشأه الله من حضرة العماء الرباني وأوجدها سبحانه وتعالى مشتملة على جميع ذوات الوجود من الأزل إلى الأبد والوجود كله متنسل منها، فكما أن آدم عليه السلام وجوده مشتمل على وجود ذريته إلى قيام الساعة فما في الوجود آدمي خارج عنه كذلك ما في الوجود ذرة موجودة من الأزل إلى الأبد خارجة عن الحقيقة المحمدية إذ هو الأب الأول

للوجود كله فهذا هو التنزل الأول وهو تنزل وجود الذوات، وكان التنزل الثاني الذي هو فيض الرحمة الإلهية الذي اقتضاه النفس الرحماني مجموعًا أيضًا في الحقيقة المحمدية فما في الوجود رحمة تصعد أو تنزل مما عم أو خص إلا وهي نقط من فيض بحر الحقيقة المحمدية فكما أنه ﷺ هو السبب في إيجاد الخلق هو السبب في إمدادهم بالرحمة الإلهية، فيشار للتنزل الأول الذي هو وجود الذوات بقوله سبحانه ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف:81]

فهو أول موجود عبد الله لكونه لم يتقدمه أحد في الوجود.

ويشار للتنزل الثاني الذي هو النفس الرحماني بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]، انتهى بلفظه.

وقد سمي هذا العقل الأعظم بأسماء كثيرة معظمة شهيرة باعتبار أوصافه القديمة وتنوع ملابسه الفخيمة واختلاف وجوهه وحالاته وتعدد مظاهره واعتباراته.

فمن أسمائه باعتبار النورانية وهو أعظم مظاهره كما يأتي العقل الأول لأنه أول من عقل عن الله أمره بقوله كن وأول من عقل عنه من علمه من العلوم وأول عالم بالتدوين والتسطير.

وفي «لطائف العلوم» في العقل الأول هو أول جوهر قبل الوجود من ربه، ولهذا يسمى بالعقل الأول لأنه أول من عقل عن ربه وقبل فيض وجوده، انتهى.

وفي «الفتوحات» في الباب الثامن والتسعين ومائة في معرفة النفس بفتح الباء ما نصه: أول خلق خلقه الله من النفس الذي هو العماء القابل للفتح صور العالم فيه العقل وهو القلم، انتهى.

وفيها أيضًا فيه ما نصه: أول ما خلق الله العقل وهو القلم فهو أول مفعول إبداعي ظهر عن الله تعالى وكل خلق على غير مثال فهو مبدَع بفتح الدال وخالقه مبدِعه بكسر الدال، انتهى.

وفيها أيضًا فيه ما نصه: أول ما خلق الله العقل أظهره في نفس الرحمن في العماء في أول درجته التي هي في نفس الإنسان المخلوق على صورة الهمزة فهو أول مبدع من حروف تنفس الإنسان ولها وجوه وأحكام مثل للعقل في النفس، انتهى.

وفيها أيضًا فيه ما نصه: لما خلق الله الملائكة وهي العقول المخلوقة من العماء وكان القلم الإلهي أول مخلوق منها اصطفاه الله وقدمه وولاه على ديوان إيجاد العالم كله وقلده النظر في مصالحه وجعل ذلك عبادة تكليفه التي تقربه من الله فما له نظر إلا في ذلك وجعله بسيطا حتى لا يغفل ولا ينام ولا ينسي فهو أحفظ الموجودات المحدثة واضبطه لما علمه الله من ضروب العلوم وقد كتبها كلها مسطرة في اللوح المحفوظ عن التبديل والتحريف، انتهى.

وفيها أيضًا فيه في الخطبة التي ذكرها في نضد العالم بعد ما ذكر فيها أن أول موجود أداره سبحانه فلك الإشارات الذي هو الجوهر الثابت العمائي ما نصه:

وأول صورة ظهرت في هذا الفلك العمائي صور الروحانيات المهيمات التي منها القلم الإلهي الكاتب العلام في الرسالات وهو العقل الأول الفياض في الحكميات والإنباءات وهو الحقيقة المحمدية والحق المخلوق به والعدل عند أهل اللطائف والإشارات وهو الروح القدسي الكل عند أهل الكشوفات والتلويحات فجعله عالمًا حافظًا باقيًا تامًا كاملاً فياضًا كاتبًا من دواة العلم

ولما كان نور الله ﷻ قامت به السموات والأرض، وهو تبارك وتعالى الحي القيوم، فبسر حياته وقيوميته حييت الأكوان، وقامت الملآن، فانفهقت أنوار ضوئه، وفيض رحموتيته على ذات الحقيقة الذاتية الاصطفائية الأحمدية المحمدية الأولية الآخرية الظهارية البطانية، فغشيتها الأنوار والإفاضات الرحموتية، وكستها حللاً فردوسية علائية، وخلعًا رحمانية، وصبغتها صبغًا ربَّانية ظهارية بطانية، ظهرت عنها ظهائر لبطائن من الإنباءات الغيبية، والعلوم اللدنية، والإشهادات التنزلية عن الإيحاءات الاطلاعية بالتلقيات الرضوانية، والتخلقات الإحسانية، فظهرت أسرار الأطوار الاصطفائية بالمعارف الاختصاصية، والأخلاق الإحسانية، والإعلانات الأنبائية، والمناقب الولائية الصديقية، والمناسك الفرقانية الشهيدية الإيمانية، والمسالك المشروعية الإسلامية الصلاحية.

فقال الله تبارك وتعالى مخبرًا عن صفته وتخلقاته: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

تحركه يمين القدرة عن سلطان الإرادة والعلوم الجاريات إلى نهايات وهو مستوي الأسماء الإلهيات، انتهى.

وقال في «عقلة المستوفز» في الباب الذي عقده في خلق العقل الأول ما نصه: وسماه الله تعالى في القرآن حقًا وقلمًا وروحًا وفي السنة عقلاً وله غير ذلك من الأسماء وقد ذكرنا أكثرها في كثير من كتبنا قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر:85].

وهو أول عالم التدوين والتسطير وهو الخازن الحافظ الأمين على اللطائف الإنسانية التي من أجلها وجد وإياها قصد ميزها في ذاته عن سائر الأرواح تمييزًا إلهيًا علم نفسه فعلم موجده، فعلم العالم، فعلم الإنسان. قال رسول الله ﷺ «من عرف نفسه عرف ربه» لسان إجمال.

والحديث الآخر: «أعرفكم بنفسه، أعرفكم بربه» لسان تفصيل.

فهو العقل الأول من هذا الوجه.

وهو القلم من حيث التدوين والتسطير.

وهو الروح من حيث التصرف.

وهو العرش من حيث الاستواء.

وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء رقائقه التي تمتد إلى النفس أي الكلية إلى الهباء إلى الجسم إلى الأفلاك الثابتة إلى المركز إلى الأركان بالصعود إلى الأفلاك المستحيلة إلى الحركات إلى المولدات إلى الإنسان إلى انعقادها في العنصر الأعظم، وهو أصلها ستة وأربعون ألف ألف رقيقة وستمائة ألف رقيقة وست وخمسون ألف رقيقة، انتهى.

[القلم: 4].

وقال في مكانٍ آخر: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

وقال تعالى مخبرًا عن أخذ الميثاق على سائر الأنبياء بالدخول تحت اللواء المحمدي والإيمان به والنصرة[1].

---

(1) قال الشيخ جعفر الكتاني: وقد أخرج أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والحاكم وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4].

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن أبي الدرداء قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: أتيت عائشة فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان أحسن الناس خلقًا كان خلقه القرآن.

تشير كما قاله غير واحد إلى المعنى الذي ذكرناه وتومئ بطرف خفي إلى ما أسلفناه، ومنه يعلم أن كمالات خلقه ﷺ وأوصافه الجميلة ونعوته الجلية لا تتقاضى ولا تتناهى كما أن معاني القرآن كذلك وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر وقيل أنها أشارت إلى أن جميع ما فصل في كتاب الله تعالى من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب مما قصه عن نبي أو ولي أو حث عليه أو ندب الخلق إليه فإن نبي الله ﷺ كان متخلقًا به وفاعلاً له وأن جميع ما نهى عنه فيه أو ذم أو أشير إلى ذمه فإن نبي الله ﷺ كان تاركا له ولا يحوم حوله وهو معنى قول من قال: وصفه الحق بالخلق العظيم لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، وقول الآخر وصفه بآداب القرآن والآخر وصفه الله وقيل: وصفه بذلك لأنه عرض عليه مفاتيح الأرض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج وأراه جميع الملكوت فلم يلتفت إليه كما قال الله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17] فلم تكن له كما قال الجنيد: همة سوى الله.

وقال الواسطي: إنما كان خلقه عظيمًا لأنه جاد بالكونين، واكتفى بالله عز وجل.

وقال الحسين بن منصور: لأنه لم يؤثر فيه جفاء الخلق بعد مطالعة الحق وقيل: لأنه صغرت الأكوان في عينه بمشاهدة تكونها وقيل: لأنه عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه، ولذا قيل التصوف: حسن الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل: لأنه احتمل في الله البلاء وما شكى بل رحم وعفا، وقيل: لأنه كان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله عز وجل وقيل غير هذا مما كله صحيح في جنابه ﷺ وينطبق عليه الانطباق التام وقد ورد: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وفي رواية: صالح الأخلاق، وفي أخرى: حسن الأخلاق، أخرجه ابن سعد في «طبقاته» وأحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، والحاكم في «المستدرك»، =

والبيهقي في «الشعب».
وفي السنن عن أبي هريرة، وابن سعد عن مالك بلاغًا ومعناه أن مكارم الأخلاق ومحاسنها من علم وحلم وحياء وتواضع وحسن عشرة وعفو وصفح واحتمال وسخاء وصبر وشكر وعدل وزهد وشجاعة ومروءة وصمت ووقار وتؤدة ومحبة وأمانة وعبادة ورجاء وخوف وشفقة وعفة وغير ذلك كانت قبل وجوده ﷺ متفرقة في العالم كل واحد منهم حاز منها القدر اللائق به والنصيب المناسب لحاله ومقامه وبعد كونها كانت متفرقة فيهم كانت ناقصة الكم وناقصة الكيف فلما وجد ﷺ وبعث جمع الله فيه متفرقها وأكمل ناقصها فصار مجمعًا للخصال الحميدة الخارجة للوجود كلها مكملاً لنقصها ومتممًا لما بقى من ذواتها وأعدادها بحيث لم يخرج منها ومن كمالها شيء للوجود الخارجي إلا وهو فيه ﷺ، ومجتمع في ذاته الكريمة خصوصية له ﷺ، وكرامة له من ربه تعالى، فكما حاز ظاهره الشريف الجمال كله على أتم ما ينبغي وأكمل ما يكون وأعلى ما خرج للوجود كذلك حاز باطنه الكريم الكمال كله والأخلاق الشريفة بأجمعها جملة وتفصيلاً على أتم ما ينبغي وأكمل ما يكون وأعلى ما خرج للوجود فهو أجمل من كل جميل وأكمل من كل كامل فلما كانت المحاسن الظاهرة أعلامًا على الأخلاق الباطنة.

واختص ﷺ من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه بشر ولا مخلوق كان ذلك آية باهرة وحجة ظاهرة على اتصاف نفسه من الأخلاق الحميدة بما لم يشاركه فيه مخلوق ولا بشر أيًا كان.

وقد وسعت أخلاقه كلها ومحاسنه بأجمعها أفراد أصناف بنى آدم بل أنواع أجناس مخلوقات العالم بأسره ولذا بعث إلى الكل وكان القدرة العظمى لجميع الخلق في كل علم وكل حكم وكل حكمة وكل خلق حسن وأمر مستحسن وكل كمال على الإطلاق.

وقال الشيخ أبو الحسن الحرالي: لما كان عرفان قلبه ﷺ بربه ﷻ كما قال: «بربى عرفت كل شيء» كانت أخلاقه أعظم خلق، فلذلك بعثه الله إلى الناس كلهم، فكل من كان الله ربه فمحمد ﷺ رسوله، فكما أن الربوبية تعم جميع العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين انتهى.

ومن هذا يستفاد عجز جميع الخلق عن شرح خلقه ﷺ ويتضح معنى قوله: «لا يعرفنى حقيقة غير ربى» ثم هذه الأخلاق العظيمة بالنظر لأصولها جبلية جبل ﷺ عليها في أصل خلقته وأول نشأته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهى وخصوصية ربانية كما أن إخوانه من النبيين والمرسلين كذلك ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم تحقق ذلك، وأما كمالها وتمامها فيه ﷺ فهو مكتسب من القرآن لتأدبه بآدابه وتخلقه بمحاسنه وأخلاقه والتزامه لأوامره وزواجره في أحواله وأموره كلها ظاهرًا وباطنًا قولاً وفعلاً لكن اكتسابًا كأنه جبلى لا جذاب نفسه الشريفة إلى ذلك الكمال وطلبها لتحصيله فاعلم ذلك.

هذا وقد أورد السهروردى في عوارفه قول عائشة السابق، ثم قال بعد كلام ما نصه:

ولا يبعد والله أعلم أن قول عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن» فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت من الحضرة الإلهية أن تقول: كان متخلقًا بأخلاق الله

تعالى، فعبرت عن ذلك المعنى بقولها: كان خلقه القرآن؛ استحياءً من سبحات الجلال، وسترًا للحال بلطيف المقال وهذا من وفور علمها، وكمال أدبها وبين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:87] وبين قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4] مناسبة مشعرة بقول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن، انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضا:ً وقال أبو سعيد القرشي: العظيم هو الله ومن أخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والإحسان، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «إن لله مائة وبضعة عشر خلقًا من أتى بواحد منها دخل الجنة» فلما تخلق بأخلاق الله تعالى وجد الثناء عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]، انتهى.

وفي «الفتوحات» في الباب السادس والأربعين وأربعمائة ما نصه: وإنما قالت عائشة ذلك لأنه أفرد الخلق ولابد أن يكون ذلك الخلق المفرد جامعا لمكارم الأخلاق كلها ووصف الله ذلك الخلق بالعظمة كما وصف القرآن بالعظمة في قوله والقرآن العظيم فكان القرآن خلقه فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإذا نظر إليه فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ فكأن القرآن أنشيء صورة جسمية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرآن كلام الله وهو صفته فكان محمد ﷺ صفة الحق تعالى بجملته فمن يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه لا ينطق عن الهوى فهو لسان حق، انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في شعبه في الشعبة الموفية خمسين وهى حب الرسول ﷺ بعد ما ذكر فيها شيئًا من جمال شخصه الكريم الطاهر ما نصه: وأما جمال ذاته الباطنة وروحه المقدس فمن ذا الذي يصفه من المخلوقين وقد أثنى عليه رب العالمين فقال عز من قائل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4] فلا أعظم مما عظم الله عز وجل فالخلق صفة ذاته الباطنة وقد روت عائشة رضي الله عنها في الصحيح في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4] قالت: كان خلقه القرآن والقرآن هو النور المبين الذي يستمد منه كل نور في الموجودات والقرآن هو الجامع للأسماء والصفات الربانية القائمة بجميع الأشياء أوجد الله تبارك وتعالى عن كل معنى من معاني أسمائه وصفاته القديمة معاني محدثة بها في العالمين فأوجد العلم عن علمه وهكذا جميع أسمائه وصفاته فخلق نور محمد ﷺ وذاته الباطنة عن معاني القرآن وخلقه بكل صفة محمودة فيه والقرآن الجامع لمعاني الكتب كلها وهو المهيمن عليها ولذلك سمى قرآنا والقرء هو الجمع فهو جامع لكل نور وخير وبركة وحسن وجمال ومنه تستمد جميع العوالم، وقد ورد في الأخبار أن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ يعني ذاته النورانية الباطنة، انتهى المراد منه بلفظه.

وقال أيضًا: في الشعبة الرابعة والخمسين وهى شعبة حسن الخلق بعد ذكر قول عائشة في تفسير الآية كان خلقه القرآن ما نصه: أي متخلقًا بأوصاف الربوبية لأن القرآن هو الجامع لصفات الباري جل وتعالى، ثم قال بعد كلام: فإن القرآن هو الجامع للأسماء والصفات، وهو معنى الخبر الذي روت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4] قالت: كان خلقه القرآن فأخلاق النبي ﷺ من القرآن مأخوذة فكان ينظر إلى أوصاف بارئه

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

فنبوته ﷺ أوليّة النبوات، وخلقية جسمانيته وبعثته ختم خلق جسمانيات الأنبياء وبعثتهم، وقد أخبر بذلك بقوله ﷺ: «**آدم ومَن دونه تحت لوائي**[1]».

فنوره عن نور الله ﷻ، ونور الرسل عن نوره، ونور الأنبياء عن نور المرسلين، ونور الصديقين عن نور الأنبياء، ونور الشهداء عن نور الصديقين، ونور الصالحين عن نور الشهداء، فحقيقة المسلمين تنتج أوصاف الإيمان، وحقيقة المؤمنين تنتج أوصاف الشهادة، وحقيقة المحسنين تنتج أوصاف الصديقية، وحقيقة العارفين الأولياء العلماء تنتج خصائص الولاء، القابل لفيض النور النبوي، والتلقي الإفاضي الاصطفائي، وبالنور المحمدي يبتدئ إلى تلقي العلم اللدني والنور الربَّاني، فالحكمة الربَّانية تبدي ترتيب السلوك إلى مقامات الهدى، وتبلغ إلى منازل الرِّضا، وتبين مفاوز الاقتداء في الاقتفاء لمعاريج الارتقاء إلى درج العُلا، وتحقق التبعية المحمدية الاصطفائية بتوصلها إلى المقام الأعلى، ومقعد الصدق الأقصى، وتبلغ الحضور بين يدي المولى رب الآخرة والأولى؛ إذ إليه المنتهى، وبالعناية الربَّانية نيل الغرق في بحر الربَّانية، وولوج لج لجج الفردانية، والخروج عن السوائية، والانعدام في وجود الأحدية، وهو الوقوف على شرف سر: «**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**[2]».

***

=

وأخلاقه جل وتعالى فيقتدى بها ويتعبد له بها على حسب ما أقر وقد روى عنه ﷺ في ذلك خبر روى عنه أنه قال: تخلقوا بأخلاق الله، انتهى بلفظه أيضًا.

تنبيه: كمال الخلق إنما ينشأ عن كمال العقل وعقل نبينا ﷺ وصل في الكمال إلى غاية لم يصل ولا يصل إليها مخلوق أبدا ومن ثم روى داود بن المحبر في كتاب العقل له عن ابن عباس قال: أفضل الناس أعقل الناس وذلك نبيكم ﷺ. وانظر: جلاء القلوب (بتحقيقنا).

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

فصل

وأما قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم:19]، فهو إعلام متضمن لأخبار، فالإعلام للمؤمنين، والإخبار للموقنين.

وأما كيفية الإخراج فقد شرحه المفسرون لكتاب الله ﷻ رضي الله عنهم، واتفق الجم الغفير منهم على أن المراد به الإخراج من قبورهم في يوم بعثهم ونشورهم، وهو يوم القيامة الكبرى للموقف بين يدى الله ﷻ للحساب والعرض عليه، فمن كان من أهل اليمين ورجحت حسناته على سيئاته أنعم الله ﷻ عليه بدخول الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته عدل فيه، وأمر الحق تعالى فيه بدخول النار جزاءً بما عمل؛ لقوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90].

ولقوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: 89].

ومن شهدت به الآيات إخبارًا عن يوم الجزاء: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق:42].

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:44] إلى غير ذلك.

وأما العلماء بالله الغائصون في لج بحر القرآن، المستخرجون منه الدرر واللآلئ واليواقيت ونفيس الجواهر بفيض نور الله، المقتفون آثار أنفاس رسول الله، المتحققون بالتوجه إلى الله، الطالبون مواهب الله، الحاضرون مع الله، الآخذون العلم من الله، الغرقى في فيض فضل الله، المتلقون نفخ روح الله، الذاهبون في عين حقيقة رحمة الله، الأحياء بالله، الموتى عما سوى الله، الفقراء إلى الله، الأغنياء بالله، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وهم ورثة الأنبياء وصفوة المرسلين الأصفياء، فإنهم نظروا بنور الله في أسرار كتاب الله، فأفهمهم الله أسرار كلام الله، وعلّمهم من لدنه علمًا لدنيًا، وتولاّهم بعنايته، وسترهم عن أعين الأغيار في أشعة نوره، فلا يعرفون سواه، ولا يروا غيره، فهم أولياؤه، وهو تعالى وليهم وحافظهم، وكالئهم، وناصرهم، ومعلمهم، ومفهمهم، ورسول الله ﷺ قائدهم ودليلهم، وقدوتهم وإمامهم ومرشدهم، فهم لَه إخوان.

وقد نبّه رسول الله ﷺ عنهم، ووصفهم بالأخوة لَه، فقال ﷺ:

«وددت أن لو رأيت إخواني».

وفي روايةٍ أخرى: «واشوقي إلى إخواني، فقال بعض الصحابة: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: لا بل أنتم أصحابي، إخواني الذين لم يأتوا بعد، يؤمنون بي ولا يروني،

للعامل منهم أجر سبعين، قالوا: يا رسول الله منهم؟ فقال: لا بل منكم، إنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون، القابض على دينه كالقابض على الجمر»[1].

فهؤلاء هم المُشار إليهم رضي الله عنهم وعنا بهم وجميع المسلمين، فقالوا: المراد بالإخراج ما نقله العلماء المفسرون لكتاب الله ﷻ رضي الله عنهم، وللإخراج معاني زائدة على ما وقفوا عنده، وفهموه ونقلوه، وهو أن الإخراج إبراز موجود من غيبٍ إلى شهادة، وفطر حقيقة من عدمٍ إلى وجودٍ، فالكون بأسره كليه وجزئيه، مرتوقه ومفتوقه، كثيفه ولطيفه، روحانيه وجسمانيه، مخلوق مفطور لله ﷻ، موجود في علم الله ﷻ، مزموم تحت القدرة الإلهية، والمشيئة الربَّانية، وأن الله تعالى يخرج ما يشاء من غيب ملكوتياته، وخزائن مكنوناته، إلى ما يشاء من عوالم أرضه وسمواته، فإخراج الذوات الحقيقية بسر الكتب بإفاضة النور المحمدي، وتكوينه حقيقة نورانية حجابية متوجهة قابلة لمواهب الحقيقة اللاهوتية، بالتنزلات الرحموتية، والإفاضات الرحمانية، فالحقيقة النورانية المحمدية جمعت حقائق اللطائف النورانية، والأرواح الروحانية، فبفتق رتقها الرحموتي يخرج منها لها اللطائف السرية المستورة بالحجابية النورية الاختصاصية، وهي الحقائق السرية، والأرواح المقربة الاصطفائية، ثم خروجًا روحانيًّا تنزليًّا رضوانيًّا للطيف روحاني، وشريف رضواني، فكون خلقي عن سر أمري، ثم خروجًا ظهاريًّا، وتنزلاً ملكوتيًّا، ووصفًا ملكيًّا، وخلقًا نوريًّا، ثم خروجًا لتنزل ظهور جسمًا لطيفًا، ونعتًا شريفًا، وخلقًا جبروتيًّا، ووصفًا زكيًّا رضيًّا مرضيًّا، ثم خروجًا نفسانيًّا حجابيًّا طبيعيًّا، وذواتًا مستجنة بطينة ظلمية، ثم خروجًا جسمانيًّا عنصريًّا، وتنزلاً ظهاريًّا، وكشفًا جسمانيًّا طبيعيًّا، وحقيقة جامعة لمعاني الجواهر المستودعة فيها الأسرار الربَّانية بالحقائق الحجابية من النورانية والظلمانية، والمخترقات الغيبية العندية من المعادن والنبات والحيوان، وجسم الإنسان وما تضمَّنه من أسرار الملآن، ومعاني الثقلان.

فهذه إخراجات سبعة نورانية وروحانية وملكوتية وجبروتية ونفسانية وجسمانية، ضمن الحقيقة الذاتية السرية، المنفهق عليها أنوار المحمدية، فهو سبعة أطوار حجابية نورانية وظلمانية، للذات الإنسانية على الذات الإنسانية بادية عن القدرة الإلهية،

---

(1) تقدم.

والمشيئة الربَّانية، والصنعة الفردانية، والفطرة الصمدانية، فهي بطائن الأطوار السبعة الظهارية الخلقية المنعوتة بالإخراج في الطورية الجسمانية، وتنقل النطف في الطورية الخلقية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 12: 16].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: 17].

فالإخراج البطاني تقدم التنبيه عليه، والإخراج الظهاري ما نشير إليه.

فأوليته السلالة وهو سل حقيقة جسمانية من لطيف كثيف جسماني، أوليته الترابية الأرضية، تليها المائية، فالخارج من بينهما سلالة جوهرية، كإخراج الجواهر المعدنية من الترابية والمائية، ثم جعل الخارج بالسل للتنظيف، والظهور بالفصل، والتأهب للاستيداع لمستقر مكين، ثم يخرج النطفة المستودعة من مستقرها المكيني بواسطة بين الماء والهواء شبهًا بالنفس النباتية في تعلقها وارتقائها، وظهور فروع أصولها، وبروز أمثالها، فترقى النطفة بخلق طور ربَّاني وظهور جسماني، فتكون علقة متعلقة بالرحم؛ لما بين الرحم والرحمة من المناسبة الربَّانية، فتعلقها في الظهور تعلقًا رحميًا، وتعلقها البطون تعلقًا رحيميًا، ويخرج بعد كمالها الطوري ونشأتها الظهرانية المتعلقة إلى خلقٍ ثالثٍ بين الهواء والنار، فخلقًا مضغيًا شبيهًا بالمرتبة الحيوانية؛ لما فيها من الميز على الرُّتبة النباتية؛ لأن في الحيوان حركة طبيعية وميزًا وفهمًا وتصريفًا وقيامًا وقعودًا وذهابًا وإيابًا وسيرًا وسكونًا وطيرانًا ونفعًا وضرًّا وتوحشًا واستئناسًا، وقربًا من الرُّتبة الإنسانية، ومشاركة في الرُّتبة الحيوانية، فهو خروج رابع وميز على ما تقدم من المراتب، ولها جامع، وعليها حاكم، فهو لها نورٌ ساطعٌ، ثم خروج وظهور وانتقال في الخلق الجسماني، والظهور الظهراني من بين جسمين لطيفين، وهما أعلى المراتب الطبيعية، والأمهات العنصرية، والهياكل الجسمانية، والمركبات المؤلفات الظلمانية، وهو أول المعاريج النورانية، والتعلُّقات النفسانية، شبهًا بالرتبة الإنسانية الكمالية النورانية الحجابية الجسمانية الظهارة النفسانية البطانية، القابلة للمحامل الحجابية من الظلمانية

والنورانية، العظمية الخلق، الشريفة الخلق، الأحسنية في التقويم، المشرفة بالتكريم والتعظيم، المفضلة على كثيرٍ من المخلوقين والمخلوقات في الأرضين والسموات، وهو الخروج من طور المضغة إلى عظيم العظم، ثم خروج من بين هاتين الرتبتين إلى رتبة الالتحام، وهو المُسمي باللحم، وهو في الحقيقة التحام اللطائف بالكثائف، والظواهر بالبواطن، والعناصر بالطبائع، والحجابيات الظلميات بالنورانية، والتستر بالأنوار الروحانية والظلم والتجريد والالتباس والاتصاف بسني الأخلاق ودنيها، ومشاركة الأرواح النورية للنفوس، ثم الميز على المراتب الأولى بالنطق و الفهم عن الله ﷻ، والائتمار بأوامر الله، والإنذار عن منهيات الله، فهذه رتبةٌ عليةٌ كماليةٌ، هي المعني عنها بقوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [المؤمنون: 14].

فأهل الكمال منشأون بنشأ أخروي نوراني، مشتمل على ما وصفناه من أوصاف الكمال، وهو حقيقة الخروج من مهالك ظلم الحجب الطبيعية إلى فضاء أنوار النورانية، وارتقاء المعاريج الملكوتية، والتخلُّق بالأخلاق الملكية لأصحاب المعاريج النورانية، والمقامات الروحانية، ثم التخلُّق بالأخلاق الربَّانية، والاتِّصاف بالأوصاف الرحمانية؛ اقتداءً واتباعًا لسيد البرية من الإنسية والجنية، وأهل الحجابية من الجسمانية والروحانية، وذوي الأطوار النورانية، فكل خروج من طورٍ إلى طورٍ، ومن رتبةٍ إلى رتبةٍ، ومن مقامٍ إلى مقامٍ، ومن نشأةٍ إلى نشأةٍ، خروج لكشفٍ بعد ستر، وظهور من بطون، ووضوح بعد إبهام، وتبيان بعد إشكال، كما يُقال: خرج من مسلة إلى مسلة، ومن سورةٍ إلى سورةٍ، ومن صفةٍ إلى صفةٍ، فكل خروجٍ من رتبةٍ إلى رتبةٍ أخرى بينهما حقيقة برزخية لحقيقة معنوية جامعة لمعنى ينشأ عنهما من بينهما خلق الخارج، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: 7].

وكما في لبن الأنعام: ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِّلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66].

كذلك اللطيفة الإنسانية تخرج جسمانيتها من برازخ العناصر بالأصالة إلى تكوينها المائي في مستودع الأصلاب من الذكور، وبواطن الأرحام من الإناث، ثم يخرج إلى مستقر البطون المستودع فيها للنمو، والانتقال في الازدياد الطوري إلى حالة كماله، ووقت إخراجه إلى دار الدنيا، ثم يتوارد عليه النمو والازدياد، وظهور ما بطن لَه وعنه ومنه وفيه، ثم الخروج من دار الدنيا إلى دار البرزخ التي هي الفاصلة لداري الدنيا

والآخرة، التي قال الله ﷻ فيها: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100].

ثم الخروج من دار البرزخ إلى دار الآخرة، وهو يوم البعث من القبور للوقوف بين يدي الله، والعرض عليه، ثم الخروج إلى دار الخُلد، إما جنة للمؤمنين السعداء، أو نار للكافرين الأشقياء، ثم للأولياء السعداء، والأصفياء الشهداء، والصديقين العرفاء، والمرسلين الأنبياء، خروج من مقامات عُلا و من تنعمات إلى ما هو أعلى وأبهى، ومن درجات عُلا إلى آفاق أعلى وأزكى، إلى مقامات الرِّضا، ودرج الارتقاء إلى الخروج عن السوى، والاختصاص بالحضور والجلوس مع الولي المولى، ومشاهدة النبي المرتضى بالحضرة الأبهى، والمستوى الأعلى، والفناء في بحر الوحدانية بالخروج عن السوى، والغرق في بحر الأحدية، وظهور سلطان قهر الألوهية العظمى، ومحو الأكوان تحت كنه:

«**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**» فهذه حقيقة الإخراج المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: 19]، ففيما ذكرناه إشارة لكيفية الإخراج للظهور من البطون إلى حالة خروج أهل الكمال من الأصفياء والأنبياء، وخواص الرسل، ونجباء الأولياء المقرَّبين المحمديين العلماء والأبرار، وأهل اليمين السعداء، والإخراج للأشقياء، أعاذنا الله منهم بالعكس مما ذكرناه، وبضد ما نبَّهنا عليه ووصفناه، فالرجال أصحاب الأعراف، كاشفي أحوالهم وأوصافهم، ومهابطهم في دركاتهم، وترديهم في هاوية مهالكهم، أعاذنا الله منهم برحمته، وجميع المسلمين، إنه منعمٌ كريمٌ.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، وآله وسلم.

فصل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: 20]، ففي هذا اللفظ تنبيهٌ على ذِكر الآباء والأبناء، فأما الآباء كآدم وما فُصل عنه وهي حواء، والأبناء من ظهر عنهم من الذرية الآدمية، فخُلق آدم عليه السلام من التراب، وهي الأرض الترابية الممتزجة بالماء، فتكوَّن طينه، ثم ورد عليه الهواء، ثم ييَّسه وجففه فتعدَّل وتسوَّى لقبول ما يرد عليه كالفخَّار.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14]، فبعد تسويته نفخ فيه الروح، وهو إفاضة النور الربَّاني على محله الظهاري والبطاني، فالنور الروحاني ظهر على ظاهره، والنور الربَّاني ظهر على باطنه، فبظهور السر الروحاني ظهر بشره، وبدت بشريته، وبورود النور النفخي الربَّاني، ظهر فيه ومنه النطق والفهم والعلم، والأدوات الصناعية، والتصرُّفات النورية عن الإفاضات الرحموتية، وبقبول الفيض الربَّاني، وتنزل الرحمة على لطيف حقيقته الذاتية الإنسانية، بعد التعديل والتسوية حصل التكريم والتعزيز، وقبول الوهب الربَّاني، وتلقِّي ما يتنزل عنه، وقبول كلامه ﷻ، وسماع خطابه ومناجاته، وذكره بنعوت جلاله، وسني أوصاف صفاته، وخطير جليل جماله وكماله، وبالاستغراق في النور الربَّاني ظهر للملائكة شرفه وتكريمه وتعظيمه وتوقيره، فسجدوا طائعين لأمر رب العالمين، ولم يكن عندهم إباء ولا امتناع ولا ارتياب عن البدار للأمر المُطاع، فإن الملائكة نورانيون طائعون، لربهم خاضعون، فشهدوا بنورانيتهم الموهبية وحقائقهم الروحانية فيض النور الربَّاني، والنفخ الروحاني الرحماني، لما عندهم من النسبة النورانية، والموهبة الصمدانية، وتلك رُتبة علية على المراتب الطبيعية، والخلقة البشرية الطينية، فللترابية بداية الخلق، وللطينية كمالية التهيؤ للانطباع، وللهوائية والنارية تمام الكمالية في الخلقية الجسمانية، ولما كان إبليس مخلوقًا من المارجية النارية أعلى مراتب الأمهات العنصرية، المكملة للخلقة الجسمانية، نظر بعين زعمه إلى [الطبع] الناري، فوجده أعلى العناصر الأربعة، وأن لَه العلو والشرف على من دونه منهن، وأن لَه من الكشف والاطلاع والتسلُّط والإحراق والإعدام والقوة والشدة والظهور والاستيلاء، وعظيم السلطان ما لم يبلغه أحد من العوالم دونه، فادعى الخيرية، وافتخر وتعزز وتعاظم، وقال جوابًا للخطاب الوارد من الحق سبحانه بالأمر بالسجود لآدم: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]، وعمي عن النظر للروح النوري الربَّاني المنفوخ، المقذوف فيه لضعف نظره عن انفهاق النور الربَّاني؛ إذ لا مناسبة بين النور والظلمة، فهو نظر إلى ظلمة الأمهات العنصرية البادي عنها عوالم الطبيعية، ولم يشهد الأرواح القدسية، والأنوار الربَّانية، والحقائق القدسية، والذوات الفردوسية الملكية العلائية، والملكوتيات البهائية، ذوات الآفاق الإعلائية، فكان في ماضي زمنه نوراني الظهور، ظلماني البطون، ملكي الظاهر، شيطان الباطن، فلما سمع خطاب الحق

تعالى للملائكة: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: 71، 72].

برزت نفسانيته للظهور، فظهرت ظلمانيته، وبطنت نورانيته، واستولى سلطان شيطانيته على ملكيته، فعميت بصيرته الضيائية، ونظر بعينه النفسانية الظلمانية، فأبى واستكبر وغيي وأصر وأدبر، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:12].

وقال الله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ [ص: 77]، يعني من دار الروحانية الملكوتية إلى الهبوط للعوالم النفسانية الحجابية الظلمانية، والعناصر النارية والهوائية والمائية، والترابية الأرضية، والنتائج الطبيعية، والمهابط الدركية، والأمهات الأهوائية للدركات الحميمية، والسعيرية والزمهريرية، والمهالك الدركية من المعدنية والنباتية والحيوانية، ونفوس المردة الشيطانية قرناء النفوس الجسمانية، وكل حزب إبليس اللعين المبعدين عن رحمة رب العالمين، فالبشرية صفة تلبسها النفس الطبيعية المخلوقة من الطينية الترابية، والصفة الروحانية صفة تلبسها الروح النورانية، وللنفس الظهور في عوالمها بالالتباسات الطبيعية، والتنزلات في دركاتها الظهرانية، وللروح الظهور في معاريجها النورانية، وملابسها الروحانية في عوالمها النورانية، وللأرواح التنزل لخلاص النفوس من الدركات، وعروجها إلى أعلى الدرجات، وللنفوس المعاريج ضمن الأرواح النورانية إلى عُلا المقامات، فمعاريج النفس خروجها عن صفتها الأمارة إلى الصفة اللوّامة إلى الصفة المطمئنة، وتنزل الأرواح ظهور من نورٍ روحانيٍ إلى وصفٍ ملكوتيٍ، إلى جبروتيٍ، إلى نفسانيٍ، إلى طبيعيٍ، إلى جسمانيٍ، إلى صفة حيوانية بهيمية، ونباتية طبيعية، ومعدنية جمادية ترابية، فمن التراب بدء خلق النفوس الطبيعية، والأجسام التركيبية الأرضية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: 55].

وأما الأرواح فإنها مخلوقة من النور الإفاضي العرشي، ولها التقدُّم في الخلق على الأجساد بألفي عام بما شهد به الخبر النبوي، وأما الأرواح النورانية السعيدة فإنها تعرج إلى مقامها العلي، ومحلها البهي، ضمنها لطيف الجسم النوراني، والهيكل الإنساني، فأرواح السعداء ظاهرة أنوارها، باطنة نفوسها، مستهلكة الأجسام ضمن الأرواح،

فالأجسام باطن الأرواح في دار البرزخ، ودار المحشر، وفي دار الدنيا جسم ظاهر، والروح باطن، فالأرواح النورانية في داري الدنيا والبرزخ، يكشف بعضها بعضًا، ويشهد بعضها لبعضٍ لما بينهن من المناسبة والتعارف، وقد نبّه رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «**خلق الله الأرواح أجنادًا مجندةً، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**[1]».

وكذلك النفوس في مجانستها ومناسبتها، فالأرواح أنوارٌ للسعداء، وظلمٌ للأشقياء، وأجسام السعداء منعمة بتنعيم نفوسها، وأجسام الأشقياء والعذاب مشترك بين النفوس والأجسام، وهذا ظهر لهذا، وهذا بطن لهذا، فانتشار البشرية ظهور صفات النفس الطبيعية، التي لا انفكاك للصفة الآدمية الإنسانية منها، ولا خروج لها عنها، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يقول: قل: إنما أنا بشر مثلكم فامتثل أمر ربه ﷻ وقال: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ**﴾ [فصلت: 6] كما أُمر، قال ﷺ ولم يقل: (إنما أنا بشرٌ مثلكم)، فهو مأمور ببلاغ ما ينزل إليه من ربّه كما أُنزل، من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: 67].

فأجسام الأصفياء والمرسلين والأنبياء والصديقين والصالحين نورانية، ونفوس الأشقياء وأرواحهم وأجسامهم مظلمة، فإنها هابطة في الدركات إلى أسفل سافلين، عكس نفوس السعداء؛ فإنها عارجة إلى عليين، فالطبيعة أثر الترابية، والبشرية أثر الطبيعة، فهي سماء الطبيعة، ولها النشور من الحشر بالخروج إلى فضاء البسط، فالحشر صفة قبض، والنشر صفة بسط، والله يقبض ويبسط، فالنفوس بالتزكية تخرج من حشرها إلى نشرها البسطي النوري، والنفس الشقية ترد على عقبها، فتدس من نشرها، وتحشر في عوالم طبيعتها.

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: 9، 10].

فنشور النفس معاريجها من طورٍ إلى طورٍ أعلى، ومن أرضٍ إلى سماءٍ، فأول معاريجها في نشورها خروجها من الطبيعة الترابية إلى فضاء البشرية، إلى الجبروتية، ثم إلى الملكوتية، ثم إلى الروحانية، ثم إلى الروحية السرية، ثم إلى الأمرية النورية للحوق

---

(1) رواه البخاري (1213/3)، ومسلم (2031/4).

بالإضاءة النورية المحمدية، والحقيقة العبدانية، صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهذه حقيقة النشور للسعداء، عكس حشر نفوس الأشقياء، أعاذنا الله برحمته منهم، إنه قريبٌ مجيبٌ.

فالنشور جمع الانتشار، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الفرقان: 70].

وكما وصف نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

ومن أسمائه تعالى: (الودود) فالنشور جمع، وقد نبَّهنا على أن لكل طورٍ نشرًا وخروجًا للنفس من حصرٍ إلى بسطٍ، ومن ضيقٍ إلى سِعةٍ، ومن وصفٍ أدنى إلى وصفٍ أعلى، وذلك في نفوس السعداء.

وقد نبَّه رسول الله ﷺ على منازل النفس ومستقراتها فيها، وخروجها من طورٍ إلى طورٍ، ومن منزلٍ إلى منزلٍ.

فقال ﷺ إخبارًا عن أول منازلها في معاريجها لسمواتها ومقاماتها النورانية، فقال لعائشة رضي الله عنها جوابًا لسؤالها إياه: **«ما مِن أحدٍ إلا ومعه شيطانٌ - أو قال: وله شيطان - فقالت لَه: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: ولا أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخيرٍ»**[1].

وقال ﷺ: **«إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيِّقوا مجاريه بالجوع والعطش»**[2].

وقال في وقتٍ آخر إخبارًا عن معراج نفسه الشريف إلى طوره الصدري الجبروتي محل الاقتباس النوري والشرح الإسلامي: **«ما صبَّ الله في صدري شيئًا إلا صببته في صدر أبي بكر»**[3].

وأخبرني عن الصديق رضي الله عنه ومعراج نفسه لمقامه الجبروتي الصدري: **«ما سبقكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بشيءٍ وقر في صدره»**[4].

---

(1) رواه مسلم (2167/4)، وأحمد (397/1)، بنحوه.

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا (256/1).

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفا (565/2).

(4) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (30/1)، والعجلوني في كشف الخفا (248/2).

وقال ﷺ إخبارًا عن معراج القلب النوراني والمحل الإيماني: «**تنام عيناي ولا ينام قلبي**»[1].

وقال في حق المؤمنين: «**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء**»[2].

وأشار بذلك أن المؤمن من شرطه أن يكون مؤمنًا، بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فقلبه بين يدي قدره وإرادته، يقلبه الحق تعالى كيف يشاء، وأخبر ﷺ عن معراجٍ آخر روحاني، فقال لما سُئل عن نهيه عن الوصال، فقيل لَه:

«**ألست تواصل يا رسول الله؟ فقال: إني لست كأحدكم - أو قال: كهيئتكم - إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**»[3].

وأخبر عن معراجٍ آخر، وهو المعراج الروحي السري فقال: «**لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه ملكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ**»[4][5].

وأخبر عن مِعراجه المحمدي ﷺ فقال: «**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما**

---

(1) رواه أبو داود (52/1)، وأحمد (220/1).

(2) ذكره ابن قتيبة تأويل مختلف الحديث (208/1).

(3) رواه البخاري (2661/6)، والترمذي (148/3)، وأحمد (377/2).
وذلك أنه ﷺ كان يواصل الصوم ويأمر أصحابه بالمواصلة ثم نهاهم عن الوصال، فلما رأوه يواصل قالوا: يا رسول الله، نهيتنا عن الوصال ونراك تواصل.
فقال ﷺ: «لست كأحدكم». وسمى بعضهم هذا المقام، أعني ترك الطعام والشراب مدة تزيد على مدة الصيام من غير فاصل مفطر مع اشتغال من هذه الحالة حالته بالله تعالى بأن يرجع إلى شهود الحق تعالى، ولا يلتفت إلى الأغيار أصلاً، وتكون التجليات القدسية واردة على قلبه بحيث لا يلتفت إلى ما سواها بمقام. وانظر: كشف الأسرار (ص213) بتحقيقنا.

(4) ذكره المناوي في فيض القدير (6/4)، والعجلوني في كشف الخفا (226/2).

(5) قال سيدي عبد الكريم الجيلي: فالأنبياء والأولياء والملائكة وسائر المقربين من سائر الموجودات ليس عندهم من المعرفة الذاتية ومحمَّدٌ ﷺ الذي هو قلب الوجود هو الذي عنده الوسع الذاتي للمعرفة الذاتية، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «لي وقتٌ مع ربِّي لا يسعني فيه مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ» اهـ.
وذكر الشيخ في هذا المؤلَف العظيم اتصاف سيدنا ﷺ بجميع الأسماء الحسنى، وجعل يذكر الأدلة على ذلك الكمالات (ص 115، 116)، وانظر: محاسن الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار للأبشيهي (ص365) بتحقيقنا.

عليه كان»[1].

فهذه المعاريج النورانية للنفس الزكية السنية البهية العروج في هذه الأطوار، فلكلٍّ منها قسم مقسوم، ونصيب معلوم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: 60].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75].

وقال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [البقرة: 105].

وهو: ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:269].

فصل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 22].

فالسموات كما تقدم آنفًا لهن ذوات، ولهن معاني وظواهر وبواطن، فظواهرهن فلكية، وبواطنهن ملكوتية، وهن السموات الطباق التي قال الله تبارك وتعالى فيهن: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ [نوح: 15، 16].

فالسموات الفلكية هن الطباقية، وهن ظواهر السموات العلا التي قال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ العُلَى*الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 4].

فالسموات العُلى حقائق بواطن السموات الطباق الفلكية، فأولهن في المعاريج السمائية الطباقية سماء الدنيا، وهي ذات النجوم والمصابيح المسمى فلكها بفلك القمر، فالقمر مستقر في دوراته وسيره وظهور سلطانه، وتحقيق ظهور بروز بزوغ انفهاق نوره في فلكه المسمى، فهو بقدرة الله ﷻ في سرعة سيره وشدة دورانه، وقيامه بالأمر العلي الوارد عليه من ربه، جار في فلكه لخدمة اللطيفة الإنسانية، والحقيقة

---

(1) تقدم تخريجه.

الآدمية في معنى التسخير لَه بالأصالة والمراتب دونه تبعًا لَه، وكذلك الشمس في جريانها في ملكها، وكذلك الأملاك الملكوتية، والذوات الروحانية النورانية السمائية، قائمون بالأمر العلي في خدمة الحقيقة الإنسانية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13].

وقال تعالى في مكانٍ آخر: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 33، 34].

وقد تقدَّم في صدر الكتاب ذكر حملة العرش الكرام، وقيامهم بالدعاء والاستغفار للمؤمنين، وذلك لشرف اللطيفة الإنسانية على كثيرٍ من خلق رب العالمين، فحقائق السموات الطباق جنات العاملين، وحقائق السموات العُلا جنات العارفين من النبيين والمرسلين، والأصفياء المقرَّبين، فالمسلمون والمؤمنون والمحسنون هم الصالحون والشهداء والصديقون، سكان جنة الناعمين المتقين، فنعم أجر العاملين الخائفين من رب العالمين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46].

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: 41: 43].

والمتقون قسمان: قسمٌ اتقوا الله ﷻ حسب استطاعتهم، فهذه جناتهم وفيها منازلهم ومقاماتهم، وقسمٌ اتقوا الله ﷻ حق تقاته، فهم أولو الدرجات العلية، والمراتب السنية، فلهم جنات المقرَّبين ذوو إكرامات رب العالمين، أخبر الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 54، 55].

فللعاملين جنات المكاسب، وللعارفين المتقين الله حق تقاته جنات المواهب، فجنات المواهب بطائن جنات المكاسب، ثمرات أعمال العاملين بظاهر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الواقفون عند حدوده، العاملون على الوفاء بوعده، الخائفون من وعيده، السالكون محجة السُّنة النبوية، والشريعة الرسالية، والاقتداءات الصحابية في السيرة المحمدية، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهما حقائق الجنات الإسلامية والإيمانية والإحسانية، المتنزل عليهم الأنوار الروحانية من بطائن الجنات الرحموتية، فالنور المنفهق عليهم من فضل الله تبارك وتعالى ورحمته من نور الكرسي الواسع،

المحيط فلكه بالسموات الطباق والأرض المدحية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة: 255].

فالكرسي ظاهره فلكي، باطنه علمي، ولهذا قال بعض المفسِّرين رضي الله عنهم: (وسع كرسيه): أي وسع علمه السموات والأرض.

وأما جنات المواهب وهي بواطن الجنات العُلا التي سقفها عرش الرحمن، فهي منازل المقرَّبين من العارفين والنبيين، والمصطفين المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فمقاماتهم عرشية، ومنازلهم علائية، ومساكنهم قدسية، ودرجاتهم فردوسية، وتلقياتهم ربَّانية، وعلومهم لدنية، ومواهبهم لاهوتية، وفهومهم رحمانية، وإفاضاتهم قدوسية، فهم قرناء الملأ الأعلى، وإخوان النبي المصطفى، وصفوة أولي النهي، وخاصة المولى، ومشاهدة الوجهة الجمالية الأبهى، جلَّ ربنا وتعالى.

واعلم أن الجنة واحدة من حيث الرتق، مفصولة من حيث الفتق، ففتقها الظهاري مفصول إلى بطائن سبع فلكية ملكوتية، وفتقها الباطن مفصل إلى بطائن سبع روحانية، فالظهارية الملكوتية هي الطباقية، والباطنية الروحانية هي العلائية، فالأنوار الربَّانية متنزلة من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، فهي تتنزل إلى كل دار قرار بما يليق بتلك الدار من قبول الأنوار واختلاف الأطوار، فظاهره قابل لظاهره بظاهره، وباطنه قابل لباطنه من باطنه بباطنه، فمن كان محله المتلقي نورانيًا قبل التلقي النوري، فتزايدت أنواره، وتضاعفت أضواؤه، وبزغت نجومه وكواكبه وأقماره، فهو ممن شمله وصف الخطاب المنطوق به في شريف الكتاب بقوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: 35]، ومن كانت نفسه مظلمة، وزجاجته كدرة، وأمه معكوسة، وأطواره منكوسة، ومرآته صدية، وأعماله موبقة مردية، تلقى التنزلات النورية، فانقلبت لَه ظلمًا وحسارًا، ولم يزدد بها إلا تبارًا، وعن طريق الهدى بُعدًا وفرارًا.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 18-21].

فالمواهب الربَّانية والعطايا الإحسانية، والإفاضات النورانية، والتنزُّلات الرحمانية

من لدن الحضرة الجمالية، والذات الصمدانية متنزلة للعالم على ترادف الأوقات والأزمان، والخلق بأسرهم متلقون آخذون بما سبق من القسمة الإلهية لهم، وما أحاط به علمه ﷻ فيهم، وقدر لهم، وقد نبَّه رسول الله ﷺ على ذلك في مواضع فقال ﷺ: «**فرغ ربكم، فرغ ربكم**[1]».

وقال في مكانٍ آخر: «**أول ما خلق الله القلم، فقال لَه: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ فقال تعالى: اكتب علمي في خلقي، ثم قال تعالى: اكتب، فقال: يا رب وما اكتب؟ فقال: اكتب المقدار، يعني المقادير، ثم قال: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ فقال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**[2]».

فالأطوار تتلقى من الأنوار بمقدار ما سبقت به الأقدار: ﴿**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ**﴾ [الأعراف:160].

فالأطوار المذكورة في الكتاب العزيز سبعة، ظاهرها جسمانية وباطنها روحانية، فللطائف الجسمانية الإسلامية الإيمانية مساكن الجنات الطباقية الكسبية، وللطائف الرحانية النورانية الجنات الموهبية، فيوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات تتبدل الكثائف الجسمانية لطائفًا ملكوتية، واللطائف الروحانية حقائقًا نورانية، فهؤلاء ظواهر لهؤلاء، وهؤلاء بواطن لهؤلاء، فتنزلات الحقائق النورانية للظهور في الهياكل الجسمانية الملكوتية؛ لتنزل الروحانية بظهور الأسرار الربَّانية، ومجموع اللطائف الجنوية إلى جنتين ظاهرتين، وجنتين باطنتين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن: 46].

ثم قال تعالى: ﴿**وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن: 62].

قال رسول الله ﷺ: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء**[3]»، فرداء الكبرياء يفرق العارفين من النبيين والمرسلين وخواص المصطفين في بحر الفردانية، ولج الوحدانية، ويصطلمهم بحقيقة اللاهوتية، ويقطع مطامع العاملين عن التطلُّع إلى أعالي المقامات الإحسانية، والآفاق الإعلانية؛ ليشتغلوا

---

(1) رواه الطبراني في الكبير (153/8).

(2) رواه أحمد (317/5)، والطبراني في الكبير (68/12)، بنحوه.

(3) رواه البخاري (2710/6)، ومسلم (163/1).

بلذيذ النعيم في دار النعيم، وقبول فيض الرحمة من البر الرحيم، فأعلى التنعيم بالنعيم كشف غطاء الحق المبين من علم اليقين، وعين اليقين بحق اليقين؛ لمصداق الكتاب المبين بقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]، فأول خلق بدا في الكون النور المحمدي، البادي خلقه من نور الله ﷻ، ثم من بعده في الخلق العقل، وهو الحقيقة العرشية القابل لسائر التشكيلات والتصورات، من غير تقييد بتشكيلٍ ولا تصويرٍ، ثم من بعده في الخلق القلم الثاني للتشكيلات والتصورات، وهو المعبر عنه بفلك الكرسي؛ إذ باطنه قلمي، ظاهره لوحي، ثم الأجسام الفلكية، والأبراج الملكية، والكواكب المضيئة، والنجوم البهائية، ثم العناصر الجسمانية من النارية والهوائية والمائية والترابية، ثم ملء ما بين كل عالمين من العوالم الأرضية والسمائية الجسمانية، والروحانية الظلمانية، والنورانية مع اختلافهن في الاسمية العلوية والسفلية الظهارية والبطانية، فعظيم نعيم كل عالم مفصول من جزئي عن كلي، عود جزئيه إلى كليه، ومن فتقه إلى رتقه، وعود ما صدر من الأطوار إلى طوره الأول، وفاءً بقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27].

فالذوات النورانية تعود إلى ما بدأت في خلقها عنه، والذوات الظلمانية تعود إلى ما صدرت عنه، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ أَلاَ لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62].

والحمد لله رب العالمين، فما صدر عن الأطوار الظهارية بالتكوين الربَّاني ممتزج في الدار الدنيوية بالنفس الرحماني، وفي يوم الفصل يعود إلى ما بدأ عنه من جزئي إلى كلي بالقدرة الإلهية، كذلك اللطائف النورانية والحقائق الروحانية تعود إلى ما بدأ صدورها عنه لنعيم ذواتها بها.

فالعارفون بالله، الكاشفون عوالم الله بالله، العلماء بالله، الناظرون بالله، يكشفون ذلك في يوم فرحهم ويوم فضلهم في تفاوتهم في درجات الكشف بتفاوتهم في درجات المعرفة بالله ﷻ، فيكشفون ما يصدر عنهم من اللطائف النورانية، والحقائق الروحانية، ما يتصور منها ويتشكَّل في العالم الروحاني، وما لطف عن التشكيل والتصوير في العالم النوراني، فكل سالكٍ إلى الله ﷻ ممن شملته درجات الإسلام، وترقَّى في مقامات الإيمان، ورقى إلى منازل الإحسان، وشرف بين الملآن، ورقى في معاريجه

إلى آفاق العرفان، واتبع الآثار النبوية، والأقدام الرسالية، والمناهج المحمدية، فاز بالفيض الربَّاني، والنور الإلهي، والعلم اللدني، فكان في أوليته سالكًا مهبطًا لموارد الأنوار الربَّانية، والتنزُّلات الرحموتية، والتنفُّسات الروحانية، والانفهاقات الملكوتية، فنال بترقيه في معاريجه العرفانية، ونور التبعية المحمدية التسوية، والتعديل للنفحة الربَّانية، فتبدو لَه منه إفاضات الأنوار الحكمية، والعلوم الكشفية.

قال ﷺ: «**مَن أخلص لله أربعين صباحًا، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**[1]».

وفي روايةٍ أخرى: «**تفجَّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**[2]».

فالسالك طريق الهداية إلى الله ﷻ عارجًا إلى مقام الإرادة لله ﷻ، فيعرج في مقامات الإرادة إلى أن يفتح الله تعالى لَه وعليه بفيض أنوار المعرفة، فتتولاَّه العناية الربَّانية والكلائة الفردانية والرعاية الاختصاصية والإضاءة الاصطفائية بجذبات الاصطناع والارتقاء إلى مقامات الرِّضا في معاريج الاصطفاء، إلى آفاق العُلا ومنازل الرِّضا، ورفعة الملأ الأعلى، وأعالي درج المنهل الأعذب الأحيا، والمقعد الأظهر الأزكى، ومنزل القرب الأقرب الأدنى، تلو إمام الهدى صاحب زمام الإحصاء، والدرجة الأشرفية الأقصى محمد المصطفى ﷺ، فالسالكون أصحاب بدايات، وهم المسلمون الصالحون التائبون العابدون المتمسكون بظواهر الشريعة المطهرة، الواقفون عند حدودها، والمريدون مدركوا ما سلكه السالكون، ولهم عليهم مزيد درجات من الإيمان والإحسان، وهم الحامدون الراكعون، وهم أصحاب القلوب النورانية، والمواقف الإحسانية، والمناقب الرضوانية، والجنات السندسية، والدرجات العلية، والأعمال الزكية، والأقوال الرضية، سالكي مناهج الصحابية المحمدية، المأمور بإكرامهم سيد البرية.

قال الله تبارك وتعالى للنبي المصطفى، والرسول المجتبى، إمام الهدى محمد سيد الورى، صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم، في حقهم ومن لحق بهم من مريدي ربهم:

﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَه﴾ [الأنعام:52].

(1) رواه القضاعي في مسند الشهاب (285/1).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا (292/2).

﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطا﴾ [الكهف: 28].

وأما الطبقة الثالثة وهم العارفون بالله، فهم قد أحرزوا ما بلغه السالكون والمريدون، وزادوا عليهم درجات عُلا ومقامات أسنى، ومعاريج بهية، وعلوم لدنية، ومعارف سمائية، وفهوم قدوسية، وأرواح قدسية، فظواهرهم بواطن السالكين، وأنوار قلوبهم منفهقة على أرواح الصالحين، وظواهر لطائفهم حقائق أنوار المؤمنين، وهم خواص المخلصين المتفجرة ينابيع الحكمة من قلوبهم على ألسنتهم.

وأما المقامات فمخصوصة بالأولياء ومن دونهم من الصديقين والشهداء والصالحين، وهم أصحاب المقامات العشرة المنطوق بها في الكتاب العزيز، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 35].

فهذه العشر مقامات الإسلامية باطنها عشر مقامات صلاحية إيمانية، قال الله تبارك وتعالى: ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:112].

فالأول مقام الصديقين والشهداء والصالحين، أصحاب مقامات التكريم، وجنات خلد ونعيم مقيم، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين، وهم أصحاب عين يقين.

وأما خواصهم فأصحاب قُرب وتمكين، وتلقيات قبول إفاضات أنوار إفهامات، وتبيين عن أنوار محمدية، تضمَّنت هدى للمتقين، فهم يتلقون من الله العلم اللدني، والفيض الرحموتي، والنور الربَّاني، والكشف الفرقاني، فهم في حضرة القدس حاضرون، ومن ربهم لعطاياه مستمطرون، ولمواهبه آخذون، وله مشاهدون، وبه ناطقون، ومنه سامعون، وبه متصرفون، وإليه راجعون، وله خاشعون.

قال رأس العارفين، وسيد العالمين، ورسول إله الأولين والآخرين، محمد خاتم النبيين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم:

«أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خشية[1]».

فخواص الخواص من العارفين هم الأصفياء المصطفون، والأنبياء المرسلون، وخواص أشراف الأولياء والنبيين، وعموم العارفين هم الأولياء الصدِّيقين، الشهداء المحسنين، المؤمنين المسلمين، فخواص الخواص من العارفين، وخواص العارفين أصحاب دائرة إحاطية جميع أوصاف الخواص من العارفين، وخواص العارفين أصحاب دائرة إحاطية، اشتملت على صفات عموم العارفين، وعموم العارفين أصحاب دائرة إحاطية اندرج في سلكها مراتب المحسنين، والمؤمنين والمسلمين، فهي في باطنها صفة محيطة بالرُّتبة الإسلامية، والرُّتبة الإيمانية والرُّتبة الإحسانية بظاهرها وباطنها، وفي بطانة باطنها شملت صفات الصلاح والشهادة والصديقية، فهي أعلى المراتب؛ إذ معرفة الله ﷻ هي لبُّ اللب، وحقيقة العلم، ودرة الكنز، وبغية الطلب، ونهاية المقصد.

وقد نبّه رسول الله ﷺ على حقيقة المعرفة بأنها سرٌّ لطيفٌ، ومعنًى خفيٌّ، فقال ﷺ: «الحج عرفة[2]».

فمن عرف معنى قيله فقد عرفه، فمشاهدة ذلك معلومة في حقيقة الحج الواجب على كل مسلمٍ مكلفٍ، مستطيع في العمر مرة واحدة، وعلى مَن توجَّه إلى الله ﷻ وطلبه، ووقف ببابه وحضر معه وناجاه، وكلمه وناداه، وشاهده وأنس به، وقبل عطاياه أن يلزم ذلك ويدوم عليه، ويقوم بحق اليقين، فإن نزل عن مقامه ذلك فيقوم بعين اليقين، فإن نزل عن ذلك المقام فيقوم بعلم اليقين، ولا يخرج من هذه المقامات الثلاث؛ فالخروج عن هذه المقامات راجعٌ إلى رتبتين: رتبة تخرجه عن مراتب المعرفة، وعن معرفته بنفسه، فيكون من الجاهلين الحائرين، فإن كان على أقدام الطلب ومعاريج الارتقاء فيكون من المريدين، تلو منازل العارفين، أعني عموم العارفين لا خصوصهم، وإن كان من المحجوبين كان من الخاسئين الخاسرين، فخواص الخواص من العارفين محمديون فهم خواص الموحدين، فهم مصطلون مستغرقون في عين الحقيقة، مسلوبين مأخوذين مجذوبين محبوبين.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه الترمذي (237/3)، وابن ماجه (1003/2).

قال رسول الله ﷺ: «من عرف الله كل لسانه[1]».

فلا لسان لهم ولا عين ولا أثر، فهم إن نطقوا نطقوا بالله، وإن شهدوا شهدوا بالله، وإن سمعوا سمعوا بالله، وإن تصرفوا تصرفوا بالله، فإذا رجعوا إلى معارفهم رجعوا إلى معروفهم، فعلى قدر معرفتهم بنفوسهم معرفتهم بربهم، فمن عرف نفسه بأفعاله عرف ربه بمصنوعاته، ومن عرف نفسه بأوصافه عرف ربه بصفاته.

ومن عرف نفسه بحقيقة ذاته عرف ربه بما لا يدخل وصفه تحت حد النطق الحسي، واللسان عن الوصف البشري، فكل لسانه عن نعوت العبارة، وأوصاف الإشارة، فتستغرقه الوحدانية في لجج الخرس والبكم، وتصطلمه الإلهية الفردانية في بحار العمى والصمم، ويخرج عن كيان كائنة الأكوان إلى فضاء كان، المسئول عنه سيد الملآن من الإنس والجان، رسول الرحيم الرحمن ﷺ، حين قيل لَه: «يا رسول الله أين كان ربنا؟ قال: كان في عماءٍ ما فوقه هواء وما تحته هواء[2]»[3].

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه الترمذي (288/5)، وأحمد (11/4)، وابن ماجه (64/1).

(3) العماء في اللغة بمعنى: السحاب الرقيق، على الأول بمعنى: الحضرة الأحدية، وعلى الثاني: بمعنى الحضرة العلمية، فالمشترك مستعمل في كلا معنييه على تقدير التعميم، أو يجعل من باب عموم المجاز.

ووجه المناسبة بين المنقول منه، والمنقول إليه: أن السحاب بين السماء والأرض، والأحدية بين الغيب المطلق والواحدية، والعلم بين العالم والمعلوم، وفي كلامه قُدِّس سره إشارةً إلى أن الإفاضة على طبق العلم، والعلم تابعٌ للمعلوم فكل ما في الخارج محذي على طبق عينه: ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:3].

وكون العلم تابعًا للمعلوم بالنظر إلى حضرة الأعيان القديمة التي أعطت الحق العلم التفصيلي بها، وأما بالنظر إلى رتبة العلم الإجمالي الكلي، فالمعلوم تابع للعلم؛ لأن الحق لما تجلّى من ذاته لذاته بالفيض الأقدس حصلت الأعيان واستعداداتها، فلم تحصل عن جهل تعالى الله عن ذلك.

ويوصف العماء بالرباني نظرًا للفيض المقدَّس في صورة التعميم، أو لأن صفة التربية كانت كامنة في الحضرة الأحدية، وآخر عطف على أول التنزلات الظهورات الأكملية؛ إذ هو ﷺ غاية الغايات، وأكمل كمال النهايات التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كيف وهو الظهور التام، والمظهر العام، وليس في الإمكان أبدع مما كان، ولوكان لكان، فإنه لأشرف من الوجود، وقد تجلَّى به كمال التجلي في الحقيقة والشهود.

وهو مرتبة الأحدية، كما صرَّح به الشريف الجرجاني في تعريفاته.

وهذا بناء على ما قررناه من حملنا التعينات على قيودات الذات الأوليَّة، التي في مقابلتها الصور العلمية كما ذكرناه، هذا وإن كان صحيحًا في نفسه؛ لأنه من اصطلاحاتهم، فهو غير مراد هنا لحضرة الشيخ، وإنما ذكرناه تتميمًا للفائدة.

وقيل: إنما يراد بالعماء النفس الرحماني الذي يعبر عنه بالوجود الحق المتعين بالتعينات، وهو أول غيب ظهر، وبه وفيه ظهرت صور الأشياء، والربَّاني نسبة للرب تعالى؛ لأن الحق فيه من اسمه الرب.

كما أنه على العرش باسم الرحمن، وهذا العماء أين الحق، وهويته: أي أول ما ظهر فيه تعالى.

وشاهد ذلك حديث: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فقال ﷺ: «كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء».

دفعًا لتوهم أن يراد بالعماء معناه اللغوي، الذي فوقه هواء وتحته هواء؛ لأنه عبارة عن الغيم الرقيق، وإذا كان أين الرب تعالى كان عينه؛ لأنه لا يكون هوية له تعالى إلا عينه، وعلى هذا يكون المراد بالتعينات ما يعين النفس الرحماني حتى يكون بذلك التعين أعيانًا وجودية علمية، سواء كانت غيبًا كالأرواح والعقول والنفوس، أم شهادات كالجسم والفلك، الكل فما تنازل عنه من عالم الشهادة، ولا شك أن أول التعينات: أي أول ما تعين به هذا النفس الذي هو العماء، وكان عينًا وجودية هو الصورة المحمدية المعبر عنها بالعقل الأول، والقلم الأعلى، والنور المحمدي، والحق المخلوق به، وقد يعبر عنها بالإنسان الكامل؛ إذ الظاهر مطابق للباطن، يعني كما أنه ﷺ أول التعينات في عالم المعاني كما ذكرنا، كان أول التعينات في الظاهر.

ولوكان غيبا فيكون مبدأ في كل عالم، ومنه تتفرع الأشياء؛ إذ هو الأب الأكبر.

قال العارف ابن الفارض مُترجمًا عن لسان الحضرة:

وإنِّي، وإن كنتُ ابن آدم صورةً   فلـي فـيه معنًـى شـاهدٌ بأُبُوتـي

شاهد ذلك قوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري».

وقوله ﷺ: «وإني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وكنت نبيًا وآدم بين الماء والطين».

وحديث الكوكب عند سؤاله ﷺ جبريل عن عمره فقال: «إن كوكبًا يظهر في كل سبعين ألف سنة مرة، وإني شاهدته سبعين ألف سنة فقال ﷺ: أنا ذلك الكوكب».

فإن قلت: كيف ذلك العدد والمبالغة فيه؟

قلت: إذا صحَّ الحديث فلا إشكال؛ إذ ذلك كان في عالم الأرواح، وهي قديمة عندهم قدمًا غير ما يقوله الحكماء.

فإن قلت: كيف تكون قديمة وهي مخلوقة؟

قلت: لا منافاة كما تقدَّم قبل هذا.

وقد ذكر حضرة الشيخ ﷺ في الفتوحات في الباب الحادي والسبعين بعد الثلاثمائة مسائل تتعلق بهذا البحث.

ولنذكر نبذة منها تبركًا بأنفاس الشيخ، قال ﷺ:

ثم أوجد في هذا العماء جميع صور العالم، الذي قال تعالى فيه أنه: ﴿هَالِكٌ﴾ [القصص:88]، يعني من حيث صوره لا وجهه، يعني إلا من حقيقته، فإنه غير هالكٍ، ولا يمكن أن يهلك.

أقول: قد جعل حضرته ﷺ في غير هذا الموضع وجه الشيء عبارة عن الحق تعالى.

قال البيضاوي: في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]: أي إلا الجهة التي تلي جهته تعالى.

وكُتب في الذِّكر كل شيءٍ حتى الكيس والعجز، فالعارف بنفسه عارف بربه، فبمقدار المعرفة تكون المعرفة، قال رسول الله ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**[1]».

وقال ﷺ: «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**[2]».

وقال الله ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]: أي ليعرفون.

وقال تعالى: «**كنت كنزًا لا أُعرف، فأحببت أن أُعرف فخلقت خلقًا فتعرَّفت إليهم، فبي عرفوني**[3]».

فخواص الخواص من العارفين هم عباد الله المخلصين.

وهم المقرَّبون لحضرة رب العالمين.

وهم الرجال الموصوفون في كتابِ الله ﷻ بأنهم الرجال الذي نطق بهم محكم القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ**﴾ [الأعراف: 46]، وهم الشاربون شراب التسنيم الممزوج للأبرار بشرابهم الرحيقي الممسك، وشراب السلسبيل، وذلك شرابٌ لا يطيقه الأبرار، وإنما هو خاصٌّ للمقرَّبين العارفين بالله، الأنبياء والمرسلين، والخواص المصطفين، رضوان الله عليهم أجمعين، فخواص الخواص من العارفين أصحاب كشف وتبيين، وحق يقين، وعلم يقين، موهبي من رب العالمين، فمعرفتهم بالله، وكشفهم بالله، وعلمهم وفهمهم بالله، ونظرهم بالله، وسمعهم بالله، وسعيهم بالله، ونطقهم بالله، وتصريفهم بالله، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتَّقون، فهم عرفوا عوالم الله بالله، وكشفوها بالله، وعلموا حقائقها بالله، فهم محمديون

=

ثم قال الشيخ: فصورة العالم بجملته صورة دائرة فلكية، ثم اختلفت فيها صور الأشكال إلى ما لا يتناهى، حكمًا لا وجودًا.

أقول: عنى بقوله: (حكمًا لا وجودًا) أن وجود العالم متناه بتناهي الدنيا دون حكمه، فإن له حكمًا في البرزخ غير هذا الحكم، وكذا في الدار الآخرة.

ثم قال: والملائكة الحافون حول العرش ما لهم سياحة إلا في هذا العماء المستدير، الذي ظهر فيه عين العرش على التربيع، وحملته من صور المعاني، وصور أجسامها الحروف الدالة عليها، وهي: أ ب ج د هـ و ز...إلخ.

وفيه ظهرت الملائكة المهيمة، والعقل والنفس، والطبيعة الذاتية، التي هي عين هذا النفس الرحماني بما فيه، وهي غير الطبيعة التي رتبتها دون النفس التي قال بها الحكماء، فإن حضرة المولى لا يقول بها أصلاً.

(1) تقدم تخريجه.

(2) حديث مشهور عند السادة الصوفية يذكرونه في بابه من كتبهم.

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفا (173/2).

الصفات، ربانيون الحقائق، قد تحلُّوا بحلا الرضوان، وتتوَّجوا بتيجان الكرائم والإحسان، واتَّزروا بإزاري الصفح والغفران، وتردُّوا برداء الذُّل بين يدي الرحمن، فاصطفاهم واختصَّهم، واصطنعهم لنفسه، إنه تعالى كريمٌ منَّانٌ، فكشف لهم عن لطائف الملآن، وحقائق الحدثان من الإنس والجان، وعن لطائف حقائق أطوار الإنسان، وما لَه من النسبة السمائية والأرضية والملكية والملكوتية، والحجابية الظلمية والنورية، والروحانية والروحية، والظهارية الآدمية، والبطانية العيسوية، والنورية المحمدية، والإنارة الربَّانية، فشهدوا وكشفوا وأيقنوا وحققوا، وآمنوا بالله ورسله، وصدقوا، وأخذوا ما آتاهم ربهم من الإفضال والعطاء والنوال، وفهموا عنه، وبه نطقوا، فهم واصفون العوالم النورية، وصافون اللطائف الملكوتية، مرقون أرباب المقامات إلى أعالي الدرجات، ومخلصي ذوي الدركات من الموحدين من مهالك الهلكات إلى سني الارتقاءات، أولئك حزب الله المفلحون، وعباده المتَّقون، فلا وصف لهم يتعبدون به، ولهم في كل لطيفةٍ حقيقة وصف، فلهم التنزل في الأطوار والعروج، فتنزلهم للظهور، وعروجهم للبطون، فعروجهم لقبول الإفاضات الرحمانية، وتنزلهم لإفاضات الأنوار الروحانية، فهم بين نفسي أخذ وعطاء، فأخذهم عن إقبالٍ، وعطاؤهم عن إدبارٍ، فهم آخذين من الله ﷻ من كل طورٍ حقيقة نورية، فأخذهم بكل من كلٍّ، فأخذهم رزقهم من ربهم بغير حسابٍ، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:212]، فهم في تنزلاتهم يتنزلون تنزلا محمديًا لأرباب الأطوار، فيتنزلون لأرباب الطور البشري بالنور المحمدي، ولأرباب الطور الروحاني بالنور الأمري السري، ولأرباب الطور الملكوتي في اللبسة الملكية الروحانية، ولأرباب الطور الجبروتي النوري بالنورانية الملكية، ولأرباب النفوس بالنور الجبروتي، ولأرباب الطور الجسماني باللطيف النوراني الضيائي الطبيعي، فيرقون الأطوار من أدنى إلى أعلى، ومن كثيفٍ إلى لطيفٍ، ومن لطيفٍ إلى ألطف، فهم خلفاء الله ﷻ في عوالمه، ورعاته على خلقه، وأمناؤه على بريته، وشفعاؤه في عبيده وخليقته، أولئك هم الراشدون الهادون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فالعارف عارف بما يتلقَّاه سره العلي من الفيض الربَّاني، والعلم اللدني الرحموتي بواسطة النور المحمدي، وما يتلقَّى طوره الروحاني من النور الربَّاني، والفهم الموهبي من الله ﷻ، وما يتلقَّاه طوره القلبي من الكتبة الإيمانية من العلم الربَّاني، والنور المقذوف القدسي الروحاني، وما يتلقَّاه طوره الصدري الجبروتي من الإلهامات الوحيية، والإلقاءات النورية، والانشراحات الإسلامية، والضياءات الملكوتية، والإضاءات التنزلية الربَّانية، وما يتلقَّاه نفسه من التنفسات الزكية، والإشراقات

الارتقائية، والانبعاثات التفهيمية، والإفاضات التعليمية بواسطة نور سيد البرية ﷺ، وما يتلقَّاه طبائعه من التسوية بعد الخلقية، والتعديل بعد التسوية، والتهيؤ لقبول لإفاضات الأنوار النورية، والقيام بالأعمال الزكية لعروج المنازل العلية، والمقامات السنية، وما يتلقَّاه جسمانيته من أنوار النفسانية، والتطهير للقيام بحقيقة العبدانية، وتشريف الهياكل التركيبية، والقوالب المثالية، ويشهد البدئية في سر العودية، والعودية في سر البدئية، وفصل الجزئيات من الحقيقة الكلية، وعود المفتوقات إلى الحقيقة الرتقية، وفصل الأيام الجزئية من الكلية، وعودها إلى حقيقتها الأولية، وولوج الأيام السرمدية والأمدية والأبدية في يوم الأزل الجامع للأيام الكلية، وفاءً بما قاله أفصح البرية الناطق بحقيقة اللغة العربية، محمد سيد ولد آدم وسائر الذرية ﷺ بقوله:

«استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض[(1)]».

فالعارف بالله لا أعوام لَه، ولا شهور، ولا جمع، ولا أيام، ولا ساعات، ولا سعائر، ولا دقائق، ولا رقائق، بل هو صاحب حقيقة وقتية لا تظهر لَه فيما هو آت، ولا التفات لَه فيما مضى من الأزمنة في وقتٍ من الأوقات، فوقته أزلي، وزمانه سرمدي، ونفسه أبدي، ونظره أمدي، وهو قائمٌ على الأثر المحمدي، لا يلاحظ حظًا سوى مولاه، ولا يشهد إلا إيَّاه، فسماعه من الله، ونظره إلى الله، ومشاهدته لله، ونطقه بالله، وعلمه بالله، وقدرته بالله، وتصريفه بالله، فإن ورد عليه أمر من الله قام به لله، وبلَّغ عباد الله ما أمره به الله، مع مداومة الحضور مع الله، فإن طلبه عوالم من عوالم الله بعطاء الله، ونيله مما آتاه الله، والإفاضة عليه مما أفاض عليه الله، أتاه من عطاء الله بحسب فهمه عن الله، ورقَّاه في مدارك جملة من توحيد الله بحسب ما أقدره الله، واستدرك وقته مع الله خيفة فواته من الله، فاستغفر الله استغفارًا محمديًا، وسلك الأدب مع الله ومع نبيه سلوكًا اتِّباعيًا.

قال رسول الله ﷺ: **«إنه ليُغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة[(2)]»**، فنظر في استغفاره ﷺ كثيرٌ من العلماء، واختلفت أقوالهم في معنى ذلك اختلافًا كثيرًا إلى أن قرب اختلافهم إلى سبعين قولاً، على ما نقله بعض الرجال العلماء الراشدين من أئمة الطريق إلى الله تبارك وتعالى، وعلماء الحديث عن رسول ﷺ، ليس من قبيل الظلمة والغشاء على القلب، فإن الغشاء الوارد على القلب والتغطية إنما يرد على الكفار، فلطيفه غشاء، وكثيفه ران، وهو تراكم الغشاء وتزايد الظلمة، فإذا تكاثف الحجاب الظلمي على القلب وطمسته الظلمة طبع على القلب، وحرم النور الإسلامي، فإن لطف

(1)حديث يذكره السادة الصوفية في كتبهم.

(2) رواه مسلم (2075/4).

الحجاب وخفَّت الظلمة، وفُتح باب البارق النوراني، ظهر لامع النور الإسلامي، ولم يبلغ الفتح باب القلب النوراني الإيماني، فإن لطف كثيف الغطاء القلبي والغشاء الحجابي ظهرت أنوار الإيمان دون لطائف حقائق أنوار الإحسان، وكلما كشف غطاء من الأغطية البطانية، والعوالم النورانية، والحقائق الروحانية، كشف الحقائق السمائية أنوار اللطائف العبدانية لبلوغ الارتقاءات العلائية للوجهة الصمدانية.

فالران: اشتداد الظلمة، والغان ضده في اشتداد النور.

فالغان: حقيقة سلطان النور الإلهي المنفهق عن القلب المحمدي، فلعظم انفهاقه واصطلامه يستلب القلب سلطان التوحيد، وعظمة الألوهية، وكبرياء الجلال، فتطالبه الحقيقة المحمدية بالرجوع للأمة، وإبلاغ الرسالة، والقيام بالأمر الربَّاني، والتنزيل لعمارة العوالم، والإفاضة على أرباب الأطوار، والرجوع إلى التحقق بالذل والانكسار، والمسكنة والافتقار، والقيام حيث أقامته الحقيقة الربَّانية، وجمعته اللطيفة الإنسانية، فيستغفر الله تبارك وتعالى امتثالاً لأمره العلي، ويرتقي إليه لمحضر بهي سني، ويسأله الوسيله التي ابتغاها، والدرجة الرفيعة التي نالها وارتقاها، فللأطوار السبعة المحمدية ارتقاءات أمدية وسرمدية وأبدية وأزلية، لكل طورٍ منها عشر مقامات تبلغ إلى أعلى العلاءات، وأقصى النهايات، وهو عارج فيها على مدى الأوقات، فهي سبعون مقامًا محمدية اصطفائية أحمدية اختصاصية عبدانية رسالية صالحية إيمانية إسلامية، مناهج السالكين من الأمة المحمدية، فاستغفاره لله تعالى استنزالاً للرحمة الرحمانية، والرُّتبة الغفرانية، ولقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: 20].

فالمغفرة بتقدم الرحمة، فبالغفران يستوي المحل لقبول الفيض الرحماني، والنفخ الربَّاني، فالغفر ستر نوراني على الحقيقة البشرية، وستر ضيائي على الطور النفساني، وستر رحماني على الحقيقة القلبية المحمدية، فإن الحقيقة الخلقية والصفة البشرية لا تطيق قبول تلقي انفهاق الأنوار الضيائية، وظهور سلطان الأضواء الشمسية، فضلاً عن انفهاق الأنوار الربَّانية، فيسأل الغفر لستر انفهاق النور الإلهي؛ ليثبت قلبه لقبول ما يرد عليه من أمر ربه، ولقد كان أحيانًا يقول: «**يا مثبت القلوب ثبِّت قلبي على دينك**[1]».

وقيل: «**قلب نبيك**».

وذلك سؤال اللطف في قبول الوارد عليه ﷺ، فإن الغفر من قبيل الستر، لا مأخوذ من المغفر، والمغفر هو المتخذ لستر وجوه الإعراب، وأما كونه نورانيًّا فإن حجاب النور ساتر للظلمة، وحجاب الظلمة ساتر للنور، فبظهور هذا بطون هذا، فهو ولوج نور

(1) رواه ابن ماجه (72/1).

في ظلمة، وظلمة في نور.

قال الله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: 61].

فبتنزل النور ترى المبصرات المفترقات، وانفهاقه وظهور سلطانه يبهر الأبصار والبصائر، فيعود الكون كالعمى لا يشهد فيه شيئًا من المخلوقات جملةً ولا تفصيلاً، فيراعي ﷺ من فهم: فقراء إلى الله أغنياء بالله، أذلة على الله، أعزة على من سوى الله، آخذون من الله، مؤثرون في استغفاره حق الله في القيام بأوامره، وحقه تعالى في القيام بدوام الحضور معه ومشاهدته، وسماع كلامه ومجالسته ومناجاته ومخاطبته، فاستغفاره استدراك للتوبة عن ملاحظة السوى، وسؤال للثبوت في الحضور، فهو في سؤاله داع، وفي دعائه مضطر إلى الله، والله تبارك وتعالى مجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فأجيبت دعوته ﷺ، وظهر أثر الإجابة حيث خُوطب في مقام الحضرة الإلهية، فقيل لَه: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**».

فثبت لرد الجواب عن الخطاب، وأجاب وأجاب بأفصح الجواب: وقال: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**»(1).

فشمل أمته في جوابه عن السلام عليه بالسلام عليه وعلى عباد الله الصالحين، وذلك التثبيت في مقام الحضرة الإلهية، والمخاطبة الربَّانية، وتلك درجة علية، ورُتبة سنية، لم يبلغها أحدٌ من البرية سواه ﷺ.

وأما «**استغفاره في كل يومٍ سبعين مرة**(2)» فذلك الاستغفار عائدٌ على أمته، فإنه ﷺ لم يتعلَّق بنيل كرامة من الكرامات الربَّانية، والإفاضات الروحانية، والمقامات الإحسانية، والإضاءات النورانية، أفاضها على ذوي الفقر والمسكنة من أمته السالكين محجته، الناهجين بسبيل شريعته، وهم المقتفون آثار أقدامه، وتنقل خطواته، المنسوبون إلى إخوته، الوارثون سني شرف شرعته وعلومه، وطرق محبته، المؤثرون ذلك على أهليهم وأنفسهم وأموالهم والناس أجمعين، رضوان الله عليهم أجمعين، فهم المتحققون بالفقر الميراثي المحمدي الذي افتخر به ﷺ، فهم فقراء إلى الله، أغنياء بالله، أذلة على الله، أعزة على من سوى الله، آخذون من الله، مؤثرون عباد الله بما آتاهم الله:

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 170].

فهذه لطيفة من بعض أوصاف العارفين، وصفة من صفات المحبين الوارثين

---

(1) رواه البخاري (2301/5)، ومسلم (301/1).

(2) رواه البخاري (427/1)، ومسلم (1865/4).

لرسول الله رب العالمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

ولنرجع إلى ما تقدَّم التنبيه عليه من خلق السموات والأرض المذكورة بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: 22]، فتقدم أن السموات ظاهرها طباقية، باطنها علائية، بين كل فلكين سمائيين جوًّا مفتوقًا مشحونًا، عوالم ملكوتية وروحانية، ففتق السموات الطباقية مشحون عوالم ملكوتية نورانية، وهي الجنات الجزائية عن الأعمال الكسبية، وبطائن الجنات جنات موهبية بطائن السموات العلائية، وعوالمها لطائف روحانية، وأشكال نورية، وحقائق عرشية، ولكل رقيقةٍ منهن حقيقة عبدانية قائمة بالتسبيح، والحمد لله رب العالمين، فما ظهر للحجابية من العوالم كان فلكيًا، فما سما منها فهو سمائي، وما دنا فهو أرضي، فلطيف سمائي وكثيف أرضي إلى أن ينتهي في التنزل والهبوط إلى الأرض الترابية، فالسموات والأرض كانتا رتقًا في عالم الأمر، ففُتقوا في عالم الخلق إلى سموات وأرضين بسر الخلق الربَّاني.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30].

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق:12].

فعوالم جسمانية لطائف روحانية سمائية لمعاريج علائية، ومقامات ضيائية، ودرجات بهائية، وعوالم جسمانية، كثائف ظلمانية لدركات حجابية، ومهابط دركية أرضية دنائية، وكلٌّ في فلك الرحمة سابحون، وفي درجاتهم عارجون، وفيما أقيموا فيه عاملون، ولربهم مسبحون، وعلى عبادة ربهم عاكفون، ولربهم ساجدون، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد: 15].

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء: 44].

وأما اختلاف الألسنة فهو راجعٌ إلى اختلاف اللغات، فإن الألسن اللحمية لا تختلف في صورها، وإنما الاختلاف في لغاتها، وكلٌّ في اختلافهم يعربون عن اللغة العربية، فإنها أصل اللغات، ومرد اللغات بأسرها إليها، فهي أفصح اللغات، ولذلك كان رسول الله ﷺ هو الناطق بها؛ إذ هي أفصح اللغات، والقرآن نزل عليه وهو المفصح عنه، والمنذر به باللسان العربي المبين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 193: 195].

فالألسن هي اللحمية، والألسنة هي اللغات، وكذلك اختلاف الألوان فإنها راجعة إلى السلالة الطينية، فإن النطفة تنسل من بين الصلب والترائب من الرجل والمرأة، فما غلب على النطفة السلالية في السبق والدفق حصل الشبه به، إما أبًا وإما أمًّا:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:4].

والحمد لله رب العالمين

نجز كتاب المعاريج ولله الحمد والمِنَّة

* * *

فهرس المحتويات